الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية

رسالة لنيل شهادة الماجستير

في علم المكتبات والعلوم الوثائقية

الكتب الموسوعية العربية باعتبارها أعمال مرجعية القلقشندي والخوارزمي نموذجين

إعداد الطالبة :
محمدي نادية

تحت إشراف الدكتور
صاحبي محمد

السنة الجامعية: 2002 - 2003

شكر وتقدير

أحيانا يكون الشكر ، ثناء غير كاف مقابل ما يقدم لك من مساعدات وتوجيهات ونصائح ، خاصة إذا كانت هذه الأخيرة عبارة عن تكوينك في دراسات عليا .

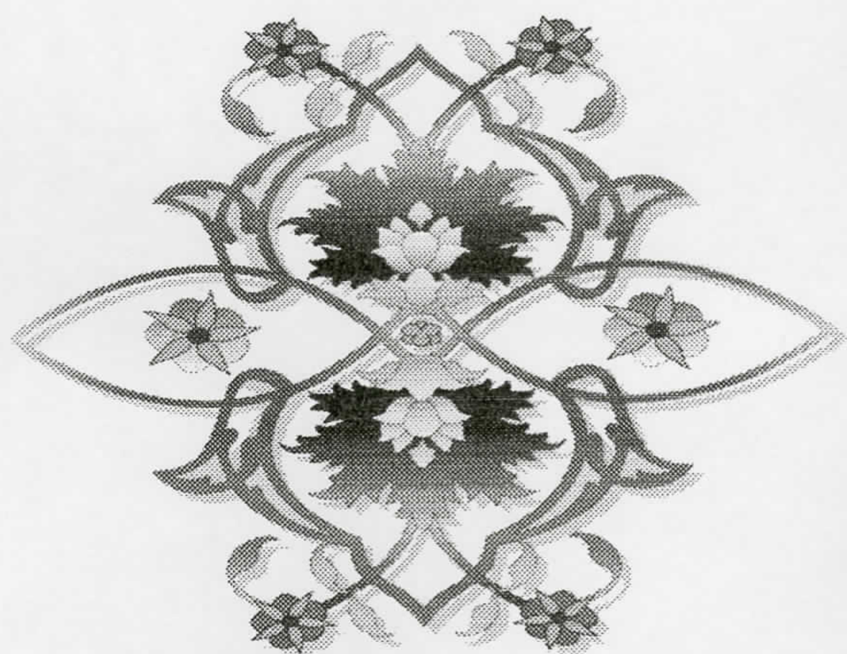
إلى أستاذي الدكتور محمد صاحبي الذي قبل الإشراف على هذا العمل وعلى تواجده المستمر ، وكذا نصائحه وصبره البيداغوجي ؛ دام رمز الوشيجة العلمية الصادقة .

أوجه شكري الخالص و تقديري العميق إلى كافة أساتذتنا الذين ساهموا في تكويننا ، على رأس القائمة الدكتور محمد القرصو .

كذلك إلى السادة : مفتشي التربية والتعليم الأساسي : فؤاد المستاري ، بوجمعة بن جديد و رويسات الذين لم يبخلوا علي بنصائحهم وتصحيحاتهم القيمة ، التي بفضلها تم لهذا العمل أن يرى النــــور . أوجه شكري كذلك إلى السيدة مديرة الدراسات بالمعهد التكنولوجي للتربية بسعيدة على مساعدتها لي . دون أن أنسى الفريق النشيط العامل بمكتبة مركز التوثيق الإنتروبرولوجي الإجتماعي و الثقافي CRASC خاصةا السيدة رقية مكتبية بالمكتبة المركزية على ما قدموه لي من خدمات . .

ن . محمدي

مقدمة عامة



لقد ترك لنا الأسلاف خلال القرون السابقة تراثا فكريا ضخما قد لا نجد له نظيرا عند أية أمة من الأمم ، وفي أية لغة من لغات البشر ، ويتمثل هذا التراث في مئات الآلاف من المصادر المكتوبة التي تحتوي على معلومات لا يستغني عنها الدارس في الحركة الثقافية والثروة الفكرية والتراث الإنساني ، أو حول تطور الحياة العلمية في العالم الإسلامي . تعد هذه المصادر المادة الأساسية خاصة إذا علمنا الاهتمام المتزايد والملحوظ بمصادر المعلومات بأشكالها المختلفة تقليدية كانت أم حديثة ، تجعلنا نهتم بمعالجة معلوماتها لأنّ الحاجة مازالت ماسة إلى هذا النوع من المصادر وأخص بالذكر المراجع ذات الطابع الاستشاري المساعد في البحث العلمي بأشكاله المختلفة .

وكثيرا ما يطرح الدارسون تساؤلات عديدة مثل: من أين أبدأ دراستي أو بحثي ؟ وما هو الكتاب أو المرجع الذي أعود إليه في البداية ؟ وكيف أبحث عن المعلومات ؟ ولماذا هذا المرجع وليس ذاك ؟ .

فهذه أسئلة كثيرة التداول عند الإقدام على البحوث ، وكلنا يعلم أنه يجب أن نبدأ بحوثنا بما هو أولي أساسي ثم نقابله بما هو ثانوي منه ، وهذا الأوّلي الأساسي يتمثل في شكل من أشكال أوعية المعلومات التقليدية المستخدمة في نقل المعلومات ، مثل الكتب المرجعية المختلفة والمتنوعة من قواميس ومعاجم لغوية وأطاليس وكشافات ودلائل إحصائية وموسوعات وتراجم وقوائم بيبليوغرافية التي تساهم كلها في إرساء قواعد البحث العلمي . إنّ الموسوعة مرجع ضروري وقيّم تعتمد على معلومات تم تسجيلها يحتاجها رواد المكتبات ومراكز المعلومات وهي موضوع دراستنا هذه .

من هنا كان تركيزنا على الكتب الموسوعية العربية القديمة أو الكتب الجامعة ، وحاولنا أن نجيب على أسئلة مثل ما هي هذه الكتب الموسوعية ؟ وكيف نشأت عند المسلمين ؟ وما المعطيات الموضوعية والذاتية التي أدت إلى ذلك ؟ ما هي خصائصها ومميزاتها وأنواعها وأهميتها ؟ وكيف لنا أن نستعين بها في مجالات البحث ؟.. لهذا كان من الضروري أن نلقي نظرة متفحصة على هذا النوع من الأعمال المرجعية لمعرفة بداياتها الأولى ، ومسيرتها المنهجية الدقيقة التي بنيت عليها . وكذلك كان منطلقنا ، فكرة أنه توجد بين هذه الأعمال المرجعية كتب موسوعية، يمكن الاعتماد عليها لإنجاز أعمالنا المختلفة والمتعددة الإشكاليات .

ومن التساؤل القائم أين تكمن أهميتها كمصدر تقليدي لمعلومات ورقية ؟ بات من الضروري وجود هذه الأخيرة في المكتبات ومراكز المعلومات لتكون في متناول الجميع في أي وقت .

فالموسوعة أصلا وجدت لتيّسر الإطلاع على المعلومات المتناثرة الموجودة في العديد من الكتب ، فهل من الممكن الانطلاق من نفس المبدأ للقول أن إنجاز الموسوعة العربية جاء لنفس الهدف ؟ مع العلم أنّ الكتابات حول الموضوع الواحد عند المؤلفين المسلمين استغرق وقتا طويلا وتطلب مئات المجلدّات . وبغض النظرعن المعطيات التي أدت بالأوروبيين لإنجاز موسوعاتهم في العصر الحديث هل يمكن الاعتقاد أو الانطلاق من فكرة بأنّ هناك معطيات مشابهة قد أدت بالموسوعي العربي إلى إنجاز عمله ؟

وعلى الرغم من ذلك فإن العرب لم يطلقوا على « موسوعاتهم » لفظ أو مصطلح الموسوعة لما لهذه اللفظة من دلالة على السعة والشمول ، بل ورد في كثير منها أنها كتب جامعة ، لأنها كانت تحاول جمع المعرفة المختلفة في كتاب واحد ، ذلك أن كاتب هذه الموسوعة العربية كان على دراية وإلمام شامل لما كان يدور من معارف في عصره مثل الجاحظ الذي تعدّ موسوعته أو كتبه الجامعة من المصادر التي يرجع إليها الكتاب في عصره وغير عصره بحيث أصبحت بالنسبة إلى الدارسين وبعض الباحثين في مجال معين تصويرا دقيقا لما كان سائدا في عصره ، في مسائل شتى سواء في العلوم اللغوية أو الأدبية أو الإخبارية أو التاريخية أو الجغرافية ...

ويمكن تقسيم هذه الكتب الجامعة مبدئيا إلى قسمين أساسيين وهما :

<u>القسم الأول:</u>

الكتب العامة التي تدخل ضمنه هي الكتب الموسوعية الجامعة المذكورة مثل : البيان والتبيّن للجاحظ وعيون الأخبار لابن قتيبة والأغاني للأصفهاني والأمالي لأبي علي القالي ، والعقد الفريد لابن عبد ربه و ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري وغيرهم كثير...

<u>القسم الثاني:</u>

الكتب المتخصصة في العلوم العلمية والمتخصصة في واحد منها أي تلك التي تتناول موضوعا واحدا مثل الفارابي الذي صنف المعرفة من خلال إحصاء العلوم

والخوارزمي الذي نقل إلينا مصطلحات العلوم الإسلامية والأجنبية المتداولة في زمنه عن طريق مفاتيح العلوم ، وكل هذا التأليف هو عبارة عن مراجع موسوعية أساسية .

انطلاقا من العصر الذي نعيشه لتناول مثل هذه الكتب الجامعة فيمكن القول بأنها أساسية بالنسبة للباحث أو الدارس وحتى السينمائي عند إنجازه لفيلم من الأفلام التاريخية يحتاج إلى معرفة مواصفات ألبسة وأزياء تلك الفترات التاريخية وتساؤلاته الاجتماعية والتاريخية والإنتروبولوجية والفلسفية أو الفنية . و يمكن القول أنه قد يجد ضالته في هذه الكتب الموسوعية أو بمعنى آخر سوف يجد أجوبة لتساؤلاته ضمن ما تضمنته هذه الأخيرة .

الواقع أنّ من يتفحص هذا الموضوع فإنه يجد البحث يقوم على فرضية ، وهي لمن ترجع الأسبقية في دراسة نوعية هذه الكتب ؟ هل للموسوعي الذي أنجز الكتاب ؟ أم إلى هذه الكتابات الموسوعية في حدّ ذاتها ؟ بمعنى آخر ، هل يكون التركيز منصبا على الموسوعي العربي المسلم الذي كان نتيجة حركة موسوعية جارفة قد عرفتها الثقافة الإسلامية ؟ أم للموسوعة التي كانت نتاجا لهذه الحركة ؟ وهل يمكن الفصل بين الاثنين ؟

أسباب اختيار الموضوع:

ترجع أسباب اختيار موضوع البحث ، إلى أسباب موضوعية وأخرى ذاتية :

الأسباب الموضوعية :

1. طبيعة ومحتوى الكتابين الموسوعيين العربيين القديمين : « صبح الأعشى في كتابة الإنشا » للقلقشندي و « مفاتيح العلوم » للخوارزمي موضوع الدراسة . فالكتاب الأول ذو طابع معرفي عام ، أما الثاني فيمكن القول أنه متخصص في كثير من جوانبه ؛ خاصة إذا تعلق الأمر بمصطلحات العلوم ، وهذا الأخير لا يمكن إلاّ لمتخصص في علم من العلوم من إدراك ألفاظه المفتاحية . من هذا الاختلاف المتباين والمتنوع كان إقدامنا على البحث في الموضوع .

2. يكتسي هذا البحث أهميته من جهتين : الأولى في أهمية الموضوع نفسه فهو يمثل صفحة حضارية هامة من صفحات حياة أمتنا ، فكل كتاب من هذا النوع المطبوع فهو يمثل معرفة معينة ، بوضعها موضع دراسة ، لتتجلى لنا قيمتها وأصالتها . فالكتابان الموسوعيان ذوا أهمية ، لا من حيث الفترة الزمنية فقط ولكن من

حيث المادّة التي يحتويانها أيضا . ثم إنّ الدراسة في هذا المجال تحتاج منّا إلى اهتمام أكثر خاصة إذا اعتبرناها وعاء مرجعيا متنوعا ومتعدد المعلومات ، قد يصعب الحصول عليها لولا وجود صبح الأعشى ومفاتيح العلوم ذاتها سيما فيما يخص تلك الحقبة التاريخية المميّزة والحاسمة . فهي عصارة إنتاج فكري ضخم يحتاج من يستفيد منه ليجعل منه ذاكرة معلوماتية يمكن الرجوع إليها .

3. تزويد المكتبة الجزائرية بهذا العمل لأن دراسة تراثنا الفكري هو عمود قوّي يرتكز عليه بناء مكتباتنا فهي النافذة التي نرى عبرها ثقافتنا ، حاضرنا ومستقبلنا.

4. أهمية هذه المصادر في حدّ ذاتها ، وما تشمله من مادّة متنوعة وعديدة ، وما تتميز به من خصائص هو ما دفعنا للتفكير في هذا البحث ، هذا من جهة ومن جهة ثانية قيمة معلوماتها التراثية الفكرية والثقافية وضرورة الرجوع إليها كمصدر مهم .

<u>**الأسباب الذاتية:**</u>

1. الدارسون منا في علم المكتبات بحاجة لمعرفة أكثر لهذا النوع من الأعمال والتعامل معها كمادة مرجعية . بحيث أرى فيها عملا تطبيقيا لنتعرّف نحن الطلاب على توظيف معلوماتها في مجالات مختلفة .

2. لا نريد بهذه الدراسة مجردّ التعريف بهذا النوع من المؤلفات التي أرادها مؤلفوها أن تكون جامعة لمعارف كثيرة متنوعة . وإنما إضافة إلى ذلك نحاول أن ندرس أمورها المعلوماتية من مقاييس إنجازها ، ووظيفتها كمراجع تستخدم بصفة دائمة من قبل الدارسين .

3. فضولنا المعرفي واهتمامنا الخاص بهذا النوع من الكتب وإدراكنا لأهمية الموضوع ، جعلنا نبحث في فضاء الكتب الموسوعية العربية القديمة المعرفي الذي ليست له حدود .

4. دراسة هذا النوع من المراجع أي « الموسوعات» العربية القديمة قد يستحق منا الاهتمام في أدبيات علم المكتبات والمعلومات لاسيّما أنّ برامج التدريس في علم المكتبات تسعى إلى تمكين الطلبة من معالجة معلوماتها من حفظ وتنظيم وتحليل إلى استرجاعها بغرض تقديمها إلى المستفيدين وجعلها في متناولهم .

حدود الدراسة :

تتحدد الدراسة بين القرن (الثالث الهجري – التاسع الميلادي) و (الرابع الهجري – العاشر الميلادي) (والتاسع الهجري – الخامس عشر الميلادي) ، لأنها شهدت نبوغ كثير من العلماء في شتى العلوم والمعارف ، وألفت كتب ضخمة كثيرة خاصة في القرنين (الرابع والتاسع الهجريين) التي لا يستطيع أن يغض من شأنها باحث . فالعصر الذي ظهر فيه القلقشندي « بصبحه » وابن حجر العسقلاني « بفتحه وتهذيبه » وابن قتيبة « بعيون أخباره » ، هذا العصر جدير بالدراسة ، وبرهان ذلك ما ذكره العديد من الباحثين على ما تحتويه مكتبات العالم من آلاف الكتب العربية المؤرخة في هذا القرن والتي حاول بها أصحابها لم شتات ما اندثر من آثارنا الفكرية ، وتسجيل ما كان مهددا بالزوال من أدبنا ، زيادة على ذلك يعد القرن التاسع الهجري نهاية العصر المملوكي الذي يمثل مرحلة ثقافية لها ملامحها التي تختلف عن العصر العثماني الذي أعقبها .

فهي جزء من تراثنا الفكري الإسلامي ، والبحث في مضمونه فيه نوع من اكتشاف والتماس لحقيقة هذه المصادر والتعرف عليها عن قرب بتصفح أوراقها التي كانت في يوم من الأيام تعد مخطوطات هامة وقيّمة أصبحت بعد طباعتها شيئا ملموسًا ، وكأنه كنز يبعث من جديد . بالإضافة أيضا إلى معالجتها وتخزينها في أقراص مضغوطة ونشرها على صفحات الويب .

بناء على ما تقدم ، يمكن السير في البحث وفق هذا التصور والذي يمكن تقسيم موضوعه إلى ثلاثة فصول أساسية :

الفصل الأول

اقتضت طبيعة البحث في الفصل الأول تتبع وتقصي المرجعية عند العلماء المسلمين والتعرف على بدايتها من القرن الثاني للهجرة ومعرفة الأسباب والدوافع لتكوّنها والمراحل التي مرت بها ، و ما هي جهودهم في هذا المجال ؟ وكذا معرفة مضمون مادّة بعض هذه المصادر والمناهج التي توصل إليها هؤلاء العلماء و طرائق التوثيق فيما ينقلونه في مختلف العلوم الإسلامية عامة ، والوقوف على القواعد التي كانوا يسيرون عليها في توثيق المادة العلمية ؛ فقد يتطلب البحث منا الرجوع إلى المصدر الثاني للمسلمين هو علم الحديث الشريف لأنه اللبنة الأساسية لجميع العلوم

التي انبثقت عن عملية التدوين ، وقد بينا كيف استطاع العلماء المسلمون في تلك الفترة البعيدة من إيجاد طرق ومناهج لتسهيل عملية البحث في المراجع ومن ثمّ توصلوا إلى أمور كثيرة مهمة سواء في طرائق البحث عن المعلومات نفسها أو التوثيق . وكل هذه الأمور جاءت تدرجيا وعلى مراحل . وكل ما توصل إليه العلماء المسلمين سواء كان قليلا أو كثيرا ساعد على تطوير مقاييس المراجع الأصول ، وجعلها مصدر معلومات اعتمد عليها كثيرا .

بهذا يمكن اعتبار الفصل الأول كمدخل تاريخي ومعرفي لكتب الأصول المنجزة بأشكالها والمسماة أحيانا بالمصنفات والمساند وبأسماء واضعيها أحيانا أخرى .

أما **الفصل الثاني**

فقد تناولنا في الفصل الثاني الكتب الموسوعية العربية القديمة كظاهرة معرفية ، لما لها من أهمية باعتبارها مصدرا للمعلومات فعرّفنا الكتـــب الموســـوعية ، وبيّنـــا أنواعها وخصائصها في بعض من جوانبها ، من خلال بعض الأمثلـــة مـــن الكتـــب الموسوعية .

لكن حتى تأخذ الدراسة شكلها الموضـــوعي اخترنـــا كتـــاب صـــبح الأعشـــى « الموسوعي » نموذجا ، فحاولنا معالجته أو الإطلاع على شكله ومحتـــواه ، فكـــان علينا أن نحصل على أجزاء الكتاب الأربعة عشر لنطلّع على مادّتـــه ومـــا تشـــمله . ومنهجه في ترتيب مادّة هذا الكتاب ، وكذا نوع المعلومات المعالجة .

الفصل الثالث

أردنا الفصل الثالث أن يكون في نوع آخر من المعلومات ، فهو يتمثل في الكتب الموسوعية المتخصصة في اصطلاحات العلوم ، فتطرقنا فيها إلى تصنيف المعرفـــة عند العلماء المسلمين ، لأنها تصوّر للمعرفة والعلم وترتيب للعلوم فلابد لهذه النوعيـــة من الكتب أن تخضع لطرقها حتى يتسنى للمطلع أن يجد معلومات كل علم .

ثم كان علينا أن نقف على أولى المعاجم الموسوعية وبدايات ظهورها عند العلماء المسلمين ، ونموذجنا في ذلك كان مفاتيح العلوم للخوارزمي ، ومن الضروري التعرف وبنوع من العلمية على مصطلحات مفاتيح العلوم وذلك بدراستها إحصائيا ثـــم تفســـير معطياتها .

المنهج المتبع :

لقد سرنا في هذه الدراسة وفق المنهج التحليلي ، القائم على عناصر تراثية من الأعمال الموسوعية ذاتها ، تحليل النصوص هو تحليل المادّة البحثية المقدمة (الموسوعات ذاتها) وكذا عناصرها وللظروف التي أنشأتها .

ولا يخفى على أحد أنّ أية دراسة سواء كانت حول كتاب أو معجم موسوعي لا تخلو من الصعوبات ، لأنّ الكتاب الموسوعي العربي القديم بصفة خاصة من طبيعته متنوع ومتعدد الميادين ودراسته دراسة دقيقة وشاملة قد لا تكون بالشيء الهين لأنها مقدمة بنوع من الوحدة .

وتكمن هذه الصعوبة أيضا في قلة المراجع التي تهدف إلى الدراسة المعمقة لموسوعة من الموسوعات العربية القديمة ، خاصة إذا تعلق الأمر بالكتاب الموسوعي مثل: « صبح الأعشى في كتابة الإنشاء للقلقشندي » مع العلم أن طبيعة الكتابة الموسوعية المتنوعة والمختلفة قد لا يشجع بعض الباحثين على دراسته . لكن علينا أن نذكر أنه لولا طباعة هذه المراجع لأستصعب علينا أمر البحث فيها أكثر .

الفصل الأول

تكوّن المراجع العربية القديمة
أسسها ومناهجها

1- **بعض مصطلحات موضوع الدراسة :**

قبل الشروع في هذه الدراسة علينا أن نقف على بعض مصطلحات الموضوع من مصدر ومرجع والفرق بينها .

1-1 **تعريف المصدر** :

وهي كلمة متقاربة في معناها اللغوي لكلمة مرجع ، فالصدر والرجوع مصدران بمعنى واحد ، واشتق المصدر من الصدر هو شيء له مكان الصدارة لأهميته والحاجة إليه ومن ثم فان المعنى اللغوي لكلمة مصدر هو المكان أو الموضع الذي يرجع إليه لمرتبته الأولية ، وعلى ذلك يمكن التميز بين المصدر والمرجع من الناحية اللغوية على أساس أن الأول أخص من الثاني لأنه يقتصر في الدلالة على ما يرتبط بالأشياء الأساسية والأولي ([1]) . لغويا اشتق المصدر من صدر أي هو شيء له مكان الصدارة لأهميته والحاجة إليه ، وهذا الفارق اللغوي بين المصدر والمرجع هو نفسه الفارق بينهما في الاستعمال الاصطلاحي في مختلف مجالات البحث ، فالمصدر في الدراسات التاريخية هو الكتاب الذي يضم معلومات أصلية عن موضوع الدراسة كالوثائق والآثار التي ترجع إلى فترة موضوع الدراسة ، والمصدر في الدراسات الأدبية هي النصوص التي صدرت عن الكاتب أو الشاعر موضوع الدراسة .

أما تسمية المرجع فيطلق على الدراسات الحديثة التي عالجت هذا الموضوع تاريخيا أو أدبيا أو غيرها من فروع المعرفة والتي نلجأ إليها لاستكمال المعلومات حول موضوع البحث أو للحصول على معلومات لأغراض المقارنة والتحليل والتفسير .وعلى ذلك فإن صفة المصدرية والمرجعية في الوعاء الفكري عند أصحاب الدراسات التاريخية والأدبية والأكاديمية بصفة عامة تقوم أساسا على درجة الصلة بين ما في الكتاب من معلومات وبين موضوع البحث ، فإذا كانت الصلة مباشرة أو أساسية فهو مصدر ، وإذا كانت غير مباشرة أو فرعية فهو مرجع . ويرى مؤلف كتاب الخدمة المرجعية النشار أن « هذا أمر نسبي يختلف بالنسبة للكتاب الواحد من موضوع إلى آخر فقد يكون الكتاب الواحد مرجعا لبحث أو موضوعا ومصدرا لموضوع آخر ، ولا هو بمصدر ولا بمرجع لموضوع ثالث لا صلة للكتاب به على الإطلاق » . إذن ليس كل كتاب مرجع ، ولهذا للمرجع خصائص تميز. فكل دارس يستطيع أن يحدّد مصادره ومراجعه في كل حالة وفقا لطبيعة دراستــه

[1] السيد النشار.الخدمة المرجعية في المكتبات ومراكز المعلومات.القاهرة - العربي للنشر والتوزيع-1992- ص9

ولمنهجه في هذه الدراسة وعند هذا يصبح كل كتاب يمدّه بالمادة الأولية « مصدرا »وكل كتاب يلقي الأضواء على هذه المادّة ، أو يقول فيها رأيا ، فهو بالنسبة إليه « مرجع » ([2])

أما المكتبين والباحثين في مجال المكتبات والمعلومات فإنهم قد استخدموا لفظ مرجع استخداما خاصا يغاير ما اصطلح عليه الباحثون في المجالات الأخرى مؤكدين على عنصري الطبيعة الخاصة بهذا النوع من الأوعية الفكرية واستخدامها المميّز، وطبقا لهذين العنصرين الطبيعة والاستخدام فإن الأوعية الفكرية نوعان :

أ- الأوعية التي وضعت لتقرأ في تتابع لغرض الترويح عن النفس وتمضية الوقت أو إضافة معلومات .

ب- الأوعية التي وضعت لتستشار أو ليرجع إليها بشأن معلومة أو معلومات معينة استجابة لمشكلة أو موضوع يتطلب تلك المعلومات .

والنوع الثاني هو ما يسمى بكتب المراجع أو الأوعية المرجعية ، فالقاموس وعاء مرجعي لأنه وضع ليستشار أو ليرجع إليه في تحديد معنى كلمة معينة أو طريقة نطقها أو التعرف على الاستخدام الصحيح لها ... الخ وكذلك الموسوعات ودوائر المعارف أوعية مرجعية ، لأنها وضعت لتستشار أو ليرجع إليها في التعرف على حقائق ومعلومات ثابتة متكاملة حول أمر من الأمور في أي مجالات المعرفة البشرية وهي عادة لا تقرأ من أولها إلى آخرها في ترابط وتتابع .

2-1 تعريف المرجع:

كلمة مرجع وجمعها مراجع ويقابلها بالمصطلح الفرنسي Référence والإنجليزي Reference وهي صيغة اسم المكان للفعل رجع وتعني الموضع أو المكان الذي يرجع إليه شخص من الأشخاص أو الذي يصرف إليه شيء من الأشياء أو الذي يرد عليه أمر من الأمور ومن ثم فإن البيت يعد مرجعا للناس بعد العمل والكتاب مرجعا لمن يريد القراءة والإطلاع ([3]) . هو مصدر ثانوي أو كتاب يساعدنا لتكملة معلوماتنا والتثبت من بعض الحقائق ، والمعلومات التي يحويها ، وتقبل الجدّة ولنضرب لذلك مثلا يوضح الفرق بين المصدر والمرجع فمثلا : الجامع الصحيح للبخاري أو صحيح مسلم ،هما مصدران ومرجعان في نفس الوقت للحديث النبوي الشريف ، بينما تعد كتب الأحاديث المختارة

[2] المرجع نفسه . الخدمة المرجعية في المكتبات ومراكز المعلومات - ص 20
[3] المرجع السابق - ص9

كالأربعين النووية من المراجع ، وأيضا يمكن اعتبارها من « المراجع الأصلية» التي يقصد بها تلك المؤلفات التي كتبت حول مصدر من المصادر في الفترة التي صنف فيها هذا المصدر أو في زمن قريب منه لأنه أخذ من المصدرين السابقين البخاري ومسلم ، ومعنى هذا أن خاصية المصدر يحوي على المادّة الأصلية .

والمرجع هو الكتاب الذي يرجع فيه صاحب هذه المادّة إلى مصدرها وأستفاد منها . وقد تصنف المراجع تصنيفا آخر وفقا لقدمها وحداثتها، فيقال مرجع قديم ومرجع حديث أما بالنسبة للمصادر فإنها تصنف كذلك في نوعين متميزين ، دون أي اعتبار للقدم والحداثة ، هما المصادر الأساسية والمراجع المساعدة .

إن كتب المصادر هي عادة كتب شاملة في مداها ومجالها ومعالجتها للموضوع مركزة وهي مرتبة بشكل معين لتسهيل عملية إيجاد المعلومات بسرعة ويسر ومعلوماتها صحيحة ومعالجتها موضوعية ([4]) .

وأما الترتيب ، فيكون إما الترتيب ألفبائيا مثل أغلب الموسوعات والمعاجم أو زمنيا كما هو الحال في الملخصات التاريخية أو على شكل جداول كما في حالة المجموعات الإحصائية أو على حسب المناطق الجغرافية كما هو الحال في الأطالس والخرائط ([5]) أو مصنفة حسب المواضيع كما هو الحال في بعض المجموعات البيبليوغرافيا وما شابهها وهذه الكتب كثيرا ما تستعمل لإيجاد بعض الحقائق فالمعالجة والترتيب الهجائي ، مطلوب إذ لم يكن المصدر نفسه مرتبا ترتيبا هجائيا فانه يكون في الغالب مزود بالفهرس أو كشاف ألفبائي مفصل .

فالمصادر أساسية وضرورية لا يمكن أن تحلّ غيرها محلّها ، لأن كثير من الباحثين يرجع إليها باستمرار ولا يمكنهم الاستغناء عنها من أجل الحصول على المعلومات لأنها ثمينة وغنية في محتواها ، مرتفعة التكاليف وليس من السهل إيجاد نسخ عديدة منها .

1-3 وظيفة الكتاب المصدر:

إنّ إيجاد أجوبة مباشرة لأسئلتنا حول موضوع ما يكون ذا طابع إخباري وتشمل عنصرين رئيسيين : أولا تقدم الإرشاد والتوجيه للمعلومات وهو ما يسميه بعض الدارسين العنصر التعليمي التثقيفي وثانيا تقدم نتاجا جاهز في شكل معلومات وهو العنصر الإخباري .

---

[4] محمد ماهر حمادة .المصادر العربية و المعربة . بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 1972 - ص 11

[5] المرجع نفسه ،ص 12

الذي يهدف من قراءتها استشارتها أو الحصول على نوع معين من المعلومات أو مقدار معين من المعرفة .

لقد عرف المسلمون الأوائل كتب المصادر وأدركوا أهميتها سموها كتب «الأصول والكتب الأساسية » أي أنها تحوي أساسيات العلم ، والحقائق ويمكن القول أنها تلك الكتب التي كان دورها تصنيف العلوم والفنون المختلفة ممثلة في الطبقات والأنساب والتراجم وغيره من الكتب المصنفة خلال فترات زمنية من تاريخ الأمة العربية الإسلامية ، فهو تراث عريق . وبات من الضروري الاهتمام بها في إطار ما يسمى بالكتب الأمهات أو الأصول والكتب المرجعية والمصادر بالنسبة للمحدثين لأنها تحتوي على أساسيات العلم وقاعدته .

فقد كان الإهتمام بهذه المصادر نتيجة لأن المعرفة العربية الإسلامية تميزت عن غيرها بنوع من الشمول والتكامل الذي سيّر تراثها إلى مدى بعيد واسع الأفق فهذه المرجعية تميزت بالعلمية من خلال تلك الأعمال المنجزة في شتى فروع العلم والمعرفة ، لأنها كتب الأولين فهي إذن مصادر أساسية تمدنا بمعلومات كثيرة حول تاريخ مضى وأوضاع مجتمعات ولّت ، ويمكن تسميتها أيضا « بالمراجع العربية القديمة التي هي نتيجة من نتائج النشاط العلمي والفكري والديني عند المسلمين منذ بداية توثيق المعلومة العلمية والدينية والأدبية» ([6]) . ولابدّ لنا نحن الدارسين أن نقف على هذه الأعمال . فمرجعية المسلمين العلمية تحيلنا بالضرورة إلى التعرف على المراحل التي مر بها التدوين والتأليف للعلوم والمعارف . ولعل من العلوم الأولى التي ساهمت في تكّون هذه المرجعية هي علوم الحديث ومصطلحاته وذلك لعدّة اعتبارات من بينهّا :

أنّ معظم العلوم والمعارف ارتبطت بعلم الحديث وكذلك انبثقت عنه علوم عديدة مختلفة المضامينّ ، وكان ظهورها متزامنا مع الفترة التي تم فيها تدوينّ علم الحديث . ثّم العوامل الفكرية والمؤثرات المحيطة في نشأة المراجع . والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف أخذت هذه المراجع شكلها المتعارف عليه إلى يومنا هذا ؟

---

[6] ليس بين المصدر والمرجع مسافة لغوية ،إذ أنهما يشتركان من حيث الدلالة في المنبع،غير أن الأول أخص من الثاني من حيث ارتباطه بالأشياء الأساسية ويأتي هذا المصطلح الحديث من الترجمة الأجنبية لكلمة source ويعني المصدر مثلا في علم الحديث كتب الأحاديث نفسها. أما المرجع الذي تقابله لفظة référence فهو الدراسة التي تعالج موضوعا ما بالاعتماد على المصدر .انظر محمد صاحبي :التراث العربي الإسلامي ومرجعيا ته دراسة إبستمولوجية في نشأة البيبليوغرافيا عند المسلمين - رسالة دكتوراه دولة ،2002.ص 15.

إنّ ظهور كتب المراجع الأولى ممثلة في مجموعات المدّونات والمصنفات التي ساعدت في تطوير منهجية التأليف ، يجعلنا نستقصي مسيرتها ومعرفة المراحل التي مرت بها وأيضا كيف استطاع هؤلاء العلماء أن يجعلوا معارفهم«الأصول » في كتب مؤلفة ؟ فما المناهج والأساليب التي تم على أساسها التصنيف وكيف كانت القواعد التي حدّدت مضمون وشكل هذه الكتب والتي سعى المثقف العربي من خلالها إلى تسهيل أمر البحث فيها ، وجعلها شاملة في مواضيعها وما المقاييس أو المناهج التي تم بها تأليف مراجع ذلك الكم الهائل من معارف القرون الكلاسيكية ؟ من هنا كان منطلقنا لدراسة هذه المراجع والتعرف عليها عن قرب حتى يتسنى لنا معرفة أسباب وضعها . هل كان ذلك لتلبية حاجة معرفية ما ؟ أم الضرورة الدينيّة حتمت وجودها ؟ وما أهميتها وتأثرّ علوم ومعارف أخرى بمناهجها ؟ هذه مجمل التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها باختصار من خلال هذا الفصل .

2- تاريخ المرجعية العلمية العربية:

تلعب الكتابة دورا مهما في توصيل المعارف فالكتاب المرجع هو ذاكرة التي بفضله الذاكرة الحيّة تستند منه معارف منظمة . واستعمال عمليات التفكير تكون أكثر صعوبة وفي كل الحالات هي بطيئة في غياب وعاء مكتوب وفضاء الذاكرة المذكورة المتوفرة لدينا المتمثل في الكتابة تحتل مكانة مميزة (7) .

لقد استعان الإنسان العربي في بدايته الأولى بقوته الحافظة في تخزين الأخبار والمعلومات واسترجاعها عندما يقتضي الأمر ذلك فإذا توافرت المعرفة بالكتابة وتوافرت وسائلها كان التدوين ، ثم التأليف بأسس منهجية وقواعد علمية .

فالكتابة وسيلة ضرورية وفعالّة لعملية التدوين ، فبواسطتها تّم إعداد كتب شملت علوم ثم معارف القرن الثاني والثالث الهجريين ، التي ساهمت بمراجعها في تسهيل الطريق للباحثين في إيجاد المعلومات سوّاء أكانت عامة أو متخصصة في مجال من مجالات الّعلم والمعرفة .

لهذا يمكن أن نبيّن من خلال طرحنا هذا ، أنّ المرجعية مرت بمراحل : التدوين فالتأليف والتصنيف وفق طرق ومناهج محدّدة . ولا يمكن التطرق إلى عملية تكوّن المرجعية

[7] Robert BATICLE. «La place de l'écrit comme mémoire» .in Revue de bibliologie schéma et schématisation.n°31.-4é trimestre.- Paris .Ed. :société de bibliogie, 1989.p32

العلمية دون التعرض إلى عملية تدوين الحديث الشريف والعلوم والمعارف لفهم بعض القضايا التاريخية المهمّة .

المعروف أنّ عهد تدوين الحديث الشريف يرجع إلى عصر الصحابة ﷺ عنهم فقد كان للتدوين أهمية ودور فعّال ، لأن المادة المدّونة هي العنصر الأساسي الذي من خلاله ننهل أنواع مختلفة من المعرفة من أجل تثقيف النفس وترويض العقل وتختمر فيه لتجعل منه بعد ذلك منبعا للتصنيف والتأليف .

1-2 تدوين الحديث الشريف والعلوم والمعارف :

2-2 تدوين الحديث الشريف:

بعدما تمت عملية جمع القرآن الكريم وتدوينه ، إذ تعتبر البداية الفعلية المهمّة لعلم التدوين . وتعتبر السنة النبوية الشريفة كما هو معروف ، المصدر الثاني للعقيدة بعد القرآن ، فقد أخذ الصحابة يدونون الحديث من تلقاء أنفسهم ، وعلى رأس هؤلاء المدّونين « عبد الله بن عمرو ابن العاص» الذي قال : « كنت أكتب كل شيء اسمعه من رسول ﷺ أريد حفظه أي تسجيله سواء بالكتابة أو بالحفظ. إذ كان منهم عدّة أشخاص يكتبون ويحدّثون مما كتبوا([8])، لكن قبل هذا التاريخ معظمهم كانوا يحفظون في صدورهم إذ نهوا عن كتابة الحديث في بدء الإسلام خشية منهم لاختلاطه بالقرآن . فكان أبو هريرة المعروف بحفظه الكثير لأحاديث رسول ﷺ وروايته المشهورة يشهد لعبد الله بن عمرو بن العاص فيقول : « ما أجد من أصحاب رسول ﷺ أكثر حديثا مني إلاّ ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب » ([9]) . بمعنى أنّ عبد الله بن عمرو أكبر رواة الحديث ثم يأتي بعده أبو هريرة وسائر الصحابة ﷺ عنهم فعلم الحديث يمثل الناحية التطبيقية للدّين ، فقد اهتموا به وبكتابته لأنه أمر بالغ الأهمية وفي زمن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (تـ 99 -101هـ) وأمر بكتابة الحَديث في كل الأمصار الإسلامية ، فجمعوه . لكن عمَلية جمع الحديث الشريف أصبحت في الوجود بعد ما قام محمد بن عبد الله

---

[8] ذكر البخاري في صحيحه «كتاب العلم» أنّ عبد الله بن عمرو كان يكتب الحديث فإنه روى عن أبي هريرة أنه قال ما من أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا عنه مني إلاّ ما كان من عبد لله بن عمرو فإنه كان يكتب و لا أكتب .

[9] محمد بن إسماعيل البخاري. الجامع الصحيح تقديم: أحمد محمد شاكر.- بيروت : دار الجيل ،1313 هـ/1895م .ج1 .- ص 39

بن شهاب الزهري (تـ 124 هـ) « بأول محاولة لتدوين الحديث[10] إذ قال عمر بن العزيز : عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنّة الماضية منه .

ورأى المسلمون أن المصدر الثاني للتشريع ضرورة لجمعه مهما كانت الصعوبات التي تعترض طريقه . وعلى إثر ذلك بدأ جمع الحديث يأخذ شكله النهائي وانتشر تدوين الحديث والفقه والتفسير . فقد قام الإمام الجليل مالك بن أنس (تـ 93 – 197 هـ) على جمعه في كتابه « الموطأ » في المدينة ، وصنف أبوحنيفة الفقه والرأي، وقام عبد الملك بن عبد العزيز بنفس الشيئ في مكة (تـ 150 هـ) ، وعبد الرحمن الأوزاعي في الشام (تـ 183هـ) ، وسفيان الثوري في الكوفة (تـ 161 هـ) وصنف محمد بن إسحاق المغازي[11] . وكثر تدوين العلم وتبويبه ، ودونت العربية واللغة والتاريخ . وكل هذه الجهود تمت في القرن الثاني للهجرة ، وهؤلاء الرجال الذي سبق ذكرهم عاشوا في نفس الفترة الزمنية وعاصر بعضهم البعض .

وفي الثلث الأخير من القرن الثاني حتى القرن الثالث عاش الإمام أحمد بن حنبل طول حياته منكبا على جمع الحديث الشريف ، فصنف كتابه الشهير« المسند » . ثم يأتي الإمامان الجليلان : محمد بن إسماعيل البخاري (تـ 256 هـ – 870م) عاش في بخارى ومسلم بن الحجاج القشيري النسيابوري (تـ 261 هـ–875 م) عاش في نيسابور في إيران . وهما صاحبا « صحيح الحديث » وهما أكثر كتب الأحاديث النبوية الشريفة ثقة عند جمهرة المسلمين .

ويتسع مجال جمع الأحاديث وتحقيقها فتظهر كتب أخرى أربعة كبيرة في السنن هي: سنن محمد بن يزيد بن ماجة (تـ 273هـ–886 م) وسنن أبي داوود السجستاني (تـ 273 هـ– 888 م) وسنن أبي عيسى محمد الترميذي (ت 279هـ–892 م) وسنن أحمد بن علي النسائي (تـ 303 هـ– 915) أطلق عليها تسمية« الكتب الستة » وهذه الكتب لها ثقة مطلقة واحترام كبير بين المسلمين بحيث أنّ قيمة هذه

---

10 خير الدّين الزركلي.الأعلام قاموس تراجم – ج7- ط 2 - [ب.م] : مطبعة كوستاس توماس وشركاؤه- 1956 - ص317 .

11 عبد الله الحافظ النيسابوي . كتاب معرفة علوم الحديث،تصحيح معظم حسين - بيروت : دار .المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ،1935.- المقدمة ص(ي)

المراجع تظهر على أنها جمعت في صعيد واحد كل ما اتفق المسلمون في عهدهم الأول على أنه صحيح ([12]) .

لقد اهتم العلماء المسلمون بتدوين الحديث اهتماما شديدا وذلك من خلال رحلاتهم من بلد لآخر لجمعه من خلال الاستماع إلى حفاظ الحديث الصحيح . لكن الاهتمام بالحديث الشريف لم يتوقف عند الرحلة والرواية فحسب وإنما تعدى ذلك إلى وضع معايير لمعرفة مدى مقدرة هؤلاء الرجال وصدق روايتهم بحيث جعلوا منهم طبقات يفضّل بعضها بعضا . ولقد كان أيضا للرواية قوانين وأصول علمية ، بدأت في أول الأمر سهلة لكنها تميزت بالدّقة الشديدة . كما اتبعوا مناهج لاسترجاع الحديث الصحيح ، وهذا ما سمي بنقد المرويات وذلك بعرض الحديث على نصوص الدين وقواعده ([13]) . ثم أخذ المسلمون الأوائل باستعمال وسائل دقيقة منطقية منها ، الإسناد ومعرفة ما إذا كان الحديث ضعيفا أو موضوعا ، هكذا لم يكد ينقضي القرن الأول إلاّ وقد أصبحت للحديث علوم ومصطلحات ، عرف منه الحديث المرفوع والموقوف والمتصل والمرسل .

ويبدأ علم الحديث ، أو علم مصطلح الحديث في الازدهار بدقّة ومنهجية ، بحيث في القرن الثالث أصبحت مجموعات كتب الحديث نصّا، وعلومه مصطلحا ([14]) ، ووضع رجال علم الحديث الشريف أصول المناهج لم يسبق له في تاريخ العلوم أي أمة من الأمم السابقة وهذا ما جعل بعض المستشرقين يهتموا بمنهج علم الحديث ومصطلحه ذلك لأنّ هذا المنهج اعتبر من أرقى المناهج لتوثيق الرواية ، ثم النّص أو المتن ([15]) . إن ذكاء وعبقرية علماء الحديث وأيضا سعة المعرفة لديهم جعلهم يقسمون مواضيع علم الحديث بعد دراسة مراتب الحديث نفسه من صحيح وحسن وضعيف ، مسند متصل ، مرفوع . ثم دراسة رواية الحديث وتحمله ، ومعرفة كتّاب الحديث وكيفية ضبط الكتاب وتقيده ، معرفة كيفية رواية الحديث وشروط أدائه وما يتعلق بذلك من معرفة آداب المحدث ، معرفة آداب طالب الحديث وتحمله معرفة الإسناد وغيرها من الأمور الخاصة بعلم الحديث .

---

[12] ترجمة الشنتاوي خورشيد و [أخ] .دائرة المعارف الإسلامية .- المجلد السابع ، [-19]. القاهرة: وزارة المعارف العمومية .- ص341.

[13] دائرة المعارف الإسلامية - مج 7 ، ص 335 .

[14] محمد عجاج الخطيب .الوجيز في معرفة علوم الحديث و نصوصه .- الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 1998 .- ص 162

[15] مستشرقين أمثال جولدتيسر(Goldhizer) في كتابه الدراسات المحمدية طبعة هال و براجرستراسر في كتابه أصول نقد النصوص .

وبهذا فقد وضع علماء الإسلام مراجعهم في نطاق منهج دقيق ومفصّل وهذا ما يدّل على بعد نظر هؤلاء الرجال ومعرفتهم لأهمية العالم المدقق ومدى مقدرته على ذلك، الأمر الذي جعل كل هذه المعطيات وخاصة منهجهم العلمي مرجعا لا غنى عنه في التأليف العربي والغربي ([16]) . فالعلوم الإسلامية تولدت من المعارف التاريخية والفلسفية والشرعية (القانونية) ، ولها أهميتها عند العالم الإسلامي إذ اعتبرت هذه المعارف علوم ، ونقطة بدايتها كان القرآن ثم الحديث الشريف فكل من البخاري ومسلم شرعوا في جمع الأحاديث الصحيحة ، فاختص بعض العلماء في دراسة القرآن وتفسيره ، و بحث آخرون من المصادر نفسها (أي القــرآن الكريم والحــديث الشريف) فتأسس التشريع الإسلامي أو الفقه الذي توسع وهؤلاء هم الفقهاء . فظــهرت على الساحة الفكريـــة العقيديـــة آراءهم المختلفـــة والمناقضـــة لبعضها البعض ، في فهم القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فبرز إلى الوجود مذاهب فقهية للتفسير الأربعـــة الوحيدة المعروفة بصحتّها « مالك بن أنس » وأبو حنيفة » و« الشافعي وابن حنبل» ([17]) .

3-2 تدوين العلوم و المعارف :

يمكن القول بأنّ التدوين بدأ في عهد معاوية بن أبي سفيان فقد جاء هذا الأخير بعبيد بن شرية الجرهمي (ت 213هــ) من اليمن إلى دمشق وسأله عن أخبار العرب وأيامهم وأمر افتراق الناس في البلاد وأخبار العجم وملوكها وسياستها لرعيته([18]) ، إلى غير ذلك من الأخبار السالفة ومما سأل معاوية عبيد بن شرية ، فكان يجيبه إجابات مفيدة مما أدى بمعاوية بتدوين هذه المعلومات ، وأن تنسب إلى مدونها عبيد بن شرية ([19]) هذا الأمر يدّل على حرص الخلفاء على تتبع أنواع أخرى من الثقافات غير الدينية وحرصوا على تدوينها محافظة عليها من أن تضيع بموت صاحبها ، وكي ينتفع بها الناس مقروءة لا مروية هذا من جهة ومن جهة ثانية فهو بمثابة حق المؤلف في وقتنا الحاضر.

---

[16] مصطفى الشكعة. مناهج التأليف عند العلماء العرب .- بيوت:دار العلم للملايين،1998.- ص46

[17] Robert, Mantran. L'expansion musulmane vii- xi siecle.-2éme ed. paris:puf,1969.-174p.

[18] الحسين بن علي المسعودى . مروج الذهب ومعادن الجوهر /تحقيق محي الدّين عبد الحميد . ج1 ص347. القاهرة ،1967-ج2ص24. وسالم السيد التاريخ و المؤرخون العرب - بيروت : دار النهضة العربية، 1981 - ص45

[19] اسحق بن أبي يعقوب محمد أبو الفرج النديم / تحقيق رضا تجدّد .كتاب الفهرست .- طهران : [ب ن] ، 1971 - ص 102.

، وينسب لعبيد بن شرية هذان الكتابان هما « كتاب الأمثال » وكتاب « أخبار الملوك الماضين »

كما ألفّ آخرون مثل : وهب بن منبه كتاب في « تاريخ المتوجين من ملوك حمير » .

والمهم في هذا هو أن التدوين تطلّع نحو معالجة موضوعات خاصة بأخبار العرب القدماء وأنسابهم ومغازيهم والسيّر والفتوح ، ثم الاهتمام بأخبار الخلفاء . ثم اتسع ليشمل معارف كثيرة من سيرة رسول ﷺ ومغازيه وتاريخ العرب والمسلمين ، ثم اللغة والأدب إلى ميادين أخرى . غير أنّ كتب المغازي والسيرة والأنساب تعّد من أقدم المراجع قبل تدوين الحديث الشريف ، فقد اعتمد عليها المسلمون الأوائل في التشريع الإسلامي والنظم الإدارية والتاريخ الإسلامي وغيرها من الأمور الأخرى .

يذكر صاحب الفهرست أن محمد بن الحسين الذي كان هاويا لجمع الكتب في نهاية أوائل القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس . فقد كان عند محمد بن الحسين ، مجموعة أوراق في خزانة شملت قطعا من الكتب القديمة وأبوابا من النحو والأدب واللغة ، كما وجد عنده جلود وصكاك وورق صيني وجلود أدم فيها تعليقات عن العرب وقصائد ومفردات من أشعارهم وشيء من النحو والأخبار والحكايات والأسماء والأنساب وكان على كل ورقة توقيع العلماء بخطهم ([20]) .

إن تأليف بعض الكتب التي ظهرت في عهد الصحابة وخلال الخلافة الأموية، لم تكن في علوم الدّين أو علوم العربية والأخبار فقط بل فيها بعض من كتب الكيمياء والعلوم المعملية أيضا . فقد روي أنّ خالد بن يزيد بن معاوية قد كتبها ، وذكر منها ابن النديم : كتاب الحرارات وكتاب وصيته لابنه في الصنعة ، وكتاب الصحيفة الكبير والصغير ، هذا فضلا عن ديوان شعر .

ومن مؤلفي الكتب وجامعيها ، أو أصحاب المكّتبات الخاصة بلغة عصرنا « أبو عمرو بن العلاء » الذي أحرق مكتبته التي ملأت بيته إلى قرابة سقفه بعد تنسك فلما رجع عن تنسكه لم يكن عنده من العلوم إلاّ ما وعاه في قلبه([21]) . والأمثلة عن ذلك كثيرة لا يتّسع المجال لذكرها ، كما ألّفت كتب في الأنساب خاصة في هذه الفترة المبكرة من زمن

---

[20] المصدر السابق . الفهرست ،ص 365 .

[21] أبو الفرج الأصفهاني.الأغاني - ج3 - ص308 و شمس الدّين أحمد بن محمد ابن خلكان / تحقيق إحسان عباس . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .- ج3 .- بيروت : دار الثقافة ، 1970- ص 466 .

الأمويين . ويتسع مجال تدوين وتصنيف العلوم والمعارف إلى العصر العباسي وفيه تضخمت موجة التأليف واتسعت دائرته ، وتفرعت أصوله وأعطت ثمارها من تدوين وتصنيف .

ومن هذا المضمون نستطيع القول أنّ عملية التدوين الشاملة التي عرفتها الفترة الأولى من تاريخ الإسلام والشروع في البحث عن الطرق العلمية للتصنيف والمنهجية الأكثر تسهيلا للوصول إلى ما نريد البحث عنه ، بمعنى أنهم كانوا يمهدون الطريق إنجاز أدوات بحث على قدر إمكانيات تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الفكر والمعرفة العربية الإسلامية .

4-2-2 <u>تصنيف المراجع</u> :

لم تكن المراجع في أول الأمر مصنفة حسب الموضوعات ، وإنما كانت مصنفة حسب أسماء الرجال ، وسميت بالمصنف أو« بالمسند » قياسا على ما تضمنته من أحاديث كاملة الإسناد وأحسن هذه الكتب هو مسند أحمد بن حنبل المتوفي سنة (241هـ= 885 م) كتب الحديث ألفت على نوعين : المساند والموضوعات منذ القديم بعضها مرتب على الأبواب ، أي موضوعات الفقه وأقدمها موطأ مالك([22]).

وحسب المستشرق الألماني« Goldziher » صنفت أمثال هذه « المسانيد » أيضا في القرن الثالث ، ورتب بعض العلماء الأحاديث الموجودة في المصنفات الكبرى للتيسير ، على حروف المعجم ([23]) وذكروا فيها الأحاديث على أسماء الشيوخ ، أو البلدان أو القبائل ومرتبة على حروف المعجم وهي أشبه بالفهارس لكتب الحديث منعهم من جعلها فهارس حقيقية عدم وجود الطباعة في ذلك الوقت؛والعلماء المسلمون هم أول من رتب اللغة والأعلام، على حروف المعجم و أول من وضع أساس الفهارس .

غير أنّ مجموعات علم الحديث التي صنفت في أواخر القرن الثاني للهجرة كانت القاعدة في تصنيف معظمها وفقا لمضمونّها ، وصنف بعضها الأخر على الأبواب وسمي بالمصنف ([24])كما عرف المسلمون في القرن الثالث للهجرة ، ستة مصنفات كانت حجّة في موضوعها وأصحابها هم الإمام البخاري ومسلم وأبو داود السجستاني والترميذي والنسائي

[22]دائرة المعارف الإسلامية . ترجمة الشنتاوي ،خورشيد و[أخ] - مج7 - ص 341 .
[23]دائرة المعارف الإسلامية - مج7 - ص 342
[24]كتب السنة المرتبة على الأبواب قديمة ، أقدمها الموطأ ، ثم الكتب الستة الصحاح البخاري ومسلم و الترميذي و النسائي وابن ماجة وغيرهم كسنن الدرامي ، و الدراقطيني ، وكلها مؤلفة في القرن الثالث إلاّ الموطأ كان في القرن الثاني الدرا قطني فإنه في القرن الرابع انظر دائرة المعارف الإسلامية.- مج7 ، ص 341

وابن ماجة. وأخرى مشهورة كذلك صنفت في القرن الثالث ، مثل : سنن عبد الله الدراقطيني المتوفي سنة (255 هـ= 868 م) .

وكانت مؤلفات هؤلاء تهدف بالدرجة الأولى إلى إعداد مجموعات أكثر شمولاء نقلوا فيها عن الكتب الستة وأضافوا إليها أحيانا أخرى المجموعة المشهورة التي ألفها ابن حنبل ثم رتبوا ذلك كله على طرق مختلفة ، ونذكر منها كتاب البغوي المتوفى سنة (510هـ= 1116 م) ويسمى « مصابيح السنة » ، وهو كتاب شامل وبترتيبه نال شهرة بين المسلمين ومن المصنفات المطولة نذكر كتابين للسيوطي المتوفى (94هـ= 1505م) أحدهما « الجامع الكبير » والثاني « الجامع الصغير » وغاية السيوطي من هذين الكتابين هي وضع مؤلف شامل للمراجع الموجودة [25] واهتم علماء آخرون بالتخصص في مجال معين أو قسم معين الوارد في المجموعات الكبرى ، كأن يقتصروا على ما تعلق بالأخلاق وحدها ، أو يقتصروا على عدد معين من المجالات الملاحظة على هذا النوع من المراجع ، أنّها اتجهت نحو التخصص .

كما أن هؤلاء العلماء دعتهم الحاجة إلى تأليف الشروحات فألفوا شروحات لمجموعة مراجعهم من الكلمات والعبارات المهجورة التي تحتاج إلى شرح ومن أحسنها وأشهرها ، شرح ابن حجر العسقلاني (تـ 852 هـ= 1148 م) ، وشـــرح الـقسطـــلانـــي (ت 932 هـ-1517م) على صحيح البخاري ، وغيرها من الشروحات وبها بدأ ترتيب المراجع في أبواب في الوقت الذي عرفت فيه الحركة العلمية في المجتمع العربي الإسلامي مدّونات جامعة أو كتب جامعة بمفهومنا المعاصر .

وقد بدأت مع بداية الربع الثاني من القرن الثاني للهجرة ، والترتيب وفق مضمون هذه المراجع ظهرت مع أواخر القرن الثاني للهجرة [26] . وقد ثبت أنه في أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي ، قد وجد في مناطق مختلفة من الدولة الإسلامية ، في المدينة

---

[25] كتاب الجمع الكبير ويسمى أيضا«جمع الجوامع » كتاب ضخم جدّا قصد به السيوطي جمع الأحاديث التي وجدها فيها وقع من كتب الستة سواء أكانت صحيحة أم غير صحيحة ،ورتب فيه الأحاديث على الحروف على أوائل اللفظ النبوي فيها ورتب ترتيبا مقاربا لأحاديث « الأفعال » أي التي فيها وصف لحادثة ونحو ذلك ، وهذا الكتاب لم يطبع ، توجد منه نسخ غير كاملة في دار الكتب المصرية أما الجامع الصغير فإنه مختصر مشهور وهو مرتب على الحروف أيضا . انظر دائرة المعارف الإسلامية ج7 ص 343 .

[26] فؤاد سيزكين/ ترجمة محمود فهمي حجازي ،أبو الفضل. تاريخ التراث العربي علوم القرآن-علم الحديث إلى غاية سنة -430 ه /1039م.- مج1 – القاهرة :الهيئة المصرية للكتاب ، 1977 – ص98

والبصرة والكوفة عدد من علماء الحديث وصفوا بأنهم أول من صنف الكتب وأول من صنف علم الحديث باعتباره الأسبق في أوساط العلوم .

هذا كما شملت هذه المصنفات العلمية كل ما يتعلق بها ، فكان بعضها مصنفا وبعضها الآخر يسمى جامعا أو مجموعا ومعظمها يضم أحاديث نبوية وفتاوى بعض الصحابة والتابعين . مراجع الحديث رتبت وفق أسماء صحابة النبي ﷺ في كتب تسمى المسند ، فهي تعتبر عند الباحثين أول مرجع ألفت على أساس منهجي . ومنها كان منطلق العلوم الإسلامية الأخرى . ولاشك أنّ هذه المصنفات كانت بمثابة البداية لتاريخ المرجعية العلمية من خلال الكتب النصّية التي برزت إلى الوجود وأرسى قواعدها علماء أكفاء اهتموا بجمع تصنيف وتبويب مراجع علم الحديث .

لقد كان لطريقة تصنيف مراجع علم الحديث ، تأثيرها على باقي العلوم الإسلامية ، لأن المراجع التي ظهرت فيما بعد اعتمدت على المنهجية المتبعة لديّها .

وعلى هذا الأساس يمكننا ، القول بأنه بدأ تكّون المرجعية المدّونة من خلال البدء في التأليف بعناية في الترتيب وبمناهج للتصنيف ، التي تبنتها المعرفة العربية الإسلامية بكل معالمها وحيثياتها التي صنعت لنفسها تاريخ وأفق علمية ارتكزت عليها معارف القرون التي أتت بعدها .

5-2-2 الجانب المنهجي :

لهذا الجانب أهمية بالغة ، في دراسة القرون الأولى من حركة التدوين والتأليف لأن منهج علم الحديث غلب في كل شيء : من دقّة في الرواية ونقدها للرواة وحرصهم على السند والإجازة ([27])إذ تعتبر نقطة البداية ، كما اعتبرت مناهج علوم الحديث علمية ، في توثيق الأخبار . فقد كانت الأساس الأول في الدّقة والمنهجية ، بحيث اعتمد علماء الحديث ، التقسيم في الموضوعات بّعد الدراسة الواعية والأهم من ذلك هو كيفية ضبط الكتاب ، وشروط أدائه وما يتعلق بذلك من إحالات مرجعية .

كل هذا يجعلنا نستنتج بأنّ المرجعية عند المسلمين جاءت على أسس متينة صحيحة ، من خلال الشكل ونقصد به المدونات أو المصنفات والمجموعات وهذه التسميات عرفت بها كتب الحديث أما المضمون فيتمثل في طريقة الجمع والتدوين والمناهج المتبعة لديهم في

---

[27] محمد الصباغ . الحديث و مصطلحه بلاغته كتبه .- دمشق: المكتب الإسلامي ،1981 - ص202- 203

العلوم الأولى أي علوم مصطلحات الحديث وكيف تمت عن طريقه عملية التأليف فيما بعد . ولما كانت الانطلاقة الأولى إذن بالرجوع إلى الروايات الشفوية ، فكان كل جيل يستمد أخباره من الجيل الذي سبقه وهو بدوره يستمد أخباره من السماع ([28]) عن الحفاظ الموثوق بهم وهو ما يعرف « بالأسانيد » فقد كانت تلك وسيلتهم في الإجماع على صحة الخبر بمعنى مصدره .

وتبينّ لنا أيضا أنّ للمؤلفين المسلمين الأولين طريقة خاصة في توثيق معلوماتهم ، وهي من أولى المناهج المؤسسة للمرجعية مهما كان نوعها .

3- **طرق توثيق المراجع عند العلماء المسلمين:**

لقد عانى العلماء عناية شديدة بتوثيق النصوص مند أن دوّنت العلوم ، وكان لهم في هذا المجال مناهج واضحة المعالم ، يدفعهم إلى ذلك حرصهم الشديد على أمانة النقل وصدق الرواية ، وهذا كله ظاهر في كتبهم .

3-1 **الاعتماد على المصادر:**

هناك نوعين من التأليف : التأليف العلمي والتأليف العام لعامة الناس ، وفي هذا كان هناك تفاوت في النشاط الفكري بين علماء مفكرين وعامة النّاس . الكتاب العلمي الموجه لفئة متخصصة من العلماء يعني أن مؤلفه يذكر مصادره ومراجعه بدقة وشمول على عكس الكتاب الموجه لعامة الناس فالأمر مختلف ، بحيث نجد أن أصحاب التأليف الدين فإنهم كانوا يكتفون بذكر المصادر الرئيسية التي يأخذون عنها مرّة بعد مرّة . (وعلم الحديث الذي كان يستند على صحّة الإسناد ، وعلم الفقه الذي يستند على الاستشهاد كان لها أثر ظاهر في أسلوب التأليف عند سائر العلماء) ([29]) .

أما التأليف في الطب وسائر العلوم الطبيعية فقد كان أصحابه في غنى من ذكر مصادرهم التي أخذوا عنها ، لشعورهم أنّ معارفهم الطبية التي يدونونّها قد أصبحت حقائق علمية معروفة أما علماء الحديث والفقه كانا يستندان في الدرجة الأولى على الدقة والأمانة في ذكر المصادر المأخوذة عنه لأن الأسانيد هي جزء من مادّة البحث . وكانوا يشدّدون على ضرورة الأمانة والدّقة في النقل ، فإن الصدق في إيراده له أهميته في البحث العلمي عند العلماء لأنه ييسّر للطالب معرفته بآراء أهل الخبرة في علم من العلوم .

---

[28] المرجع نفسه .الحديث و مصطلحه بلاغته كتبه - صص 213 -214 .
[29] فرانتز روزنتال ،مناهج العلماء المسلمين .ص 115

البيانات التوثيقية تعد من الأدوات أو الوسائل التي يستعين بها الباحث و يلجأ إليها المفهرس لتصحيح تاريخ التأليف ، أو تاريخ وفاة مؤلف ، أو نسبة كتاب أو نفي فكرة معينة أو غير ذلك عن العلماء الأوائل . هذا ما عرفه العلماء المسلمون من خلال مصطلحات كثيرة في هذا المجال ، ونخّص بالذكر مفهومي المقابلة والمعارضة فقد عرفوه في أواخر القرن الثاني للهجرة ، وهذا للدلالة على عمل علمي في غاية الأهمية، وهي أيضا مظهر من مظاهر توثيق المصادر الأولى« الأصول » . لأنها الوسيلة التي يتم بها التحقق من سلامة النّص وصحته بمطابقته على النسخة الأصلية المعتمدة ، رغبة منهم في إثبات ما كتبه المؤلف وإحالة الشيء إلى أصله ([30]) . وبها اتخذ علماء الحديث مصطلحاتهم في العرض والمقابلة أساسا لتوثيق الأحاديث النبوية، وقلدّهم المؤلفون الآخرون في مختلف مجالات العلم والفن آنذاك . ويعدّ هذا المنهج الذي أخذ به العلماء المسلمون في مقابلة النصوص بعضها ببعض بكل عناية ودقة دليل واضح على اهتمامهم بتوثيق النصوص .

وفي هذا المجال يقول روزنتال : « أن أسلم طريقة ، لا بل الطريقة الوحيدة ، للتثبت من صحةّ نص مخطوطة ما هي معارضة« المخطوطة » المراد التحقق من صحتها بمخطوطة أخرى من نوعها معارضة دقيقة » ([31]) ؛ أما أصحاب الكتب التاريخية فكانوا يشدّدون على ذكر المصادر التي يأخذون عنها ([32]) .

كما اهتم العلماء الأوائل بطرق التوثيق كالإسناد والسماعات ([33]) والقراءات ([34]) ، فكل سماع أو قراءة أو إجازة يحتوي على أسماء الأشخاص الذين تلقوا هذا الأصل عن سابقيهم ، حتى نصل إلى مؤلف الكتاب الأول .

فهي بمثابة شهادات توثيقية لنقل هذه المادّة مضمونة ، مضبوطة كما وضعه مؤلفها ([35]) . لأنها ذات فوائد توثيقية قيّمة في ضبط المراجع والمحافظة عليها ، واشترط الأخذ من كتب

[30] عادل سليمان المشوخي – أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري – ط1 – الرياض مكتبة فهد الوطنية – 1994 – ص 49

[31] فرانتز روزنتال – مناهج المسلمين في البحث العلمي / ترجمة أنيس فريحة .ط4 بيروت :دار الثقافة 1983 – ص 82 .

[32] روزنتال ، المرجع السابق ،ص116

[33] أن يحدث المحدث الراوي بحدث أو خبر سواء كان ذلك التحديث شفاها من الصدر أم قراءة من كتاب . والسماع أي أن تكون على النسخة سماعات ممن قرأ على المؤلف أو ممن عرف بإتقانه للكتاب وتصحيحه . معرفة مصادر المؤلف ، وإرجاع النص إلى مصدره وتتبع النقول التي نقلت عن المؤلف للتثبت من صحة النص ومراجعة مختصرات النص والشروح والتعقيبات والحواشي التي عملت عليه .

[34] القراءة وهي أن تكون النسخة المقروءة على المؤلف وعليه خطه ، وأن تكون مقروءة على ثقة ، أي عرف بإتقانه للكتاب

[35] المرجع السابق . أنماط التوثيق في المخطوط العربي – ص10 .

المصادر. فكتب التراجم والتواريخ والطبقات ضبطت لنا تاريخ هؤلاء الرجال وأحوالهم وشيوخهم وطلابهم وولادتهم ووفاتهم ومكانتهم العلمية، ويقصد بالتوثيق إثبات صحّة المصدر وصحته أي نسبته إلى مؤلفه ويتم ذلك بطرق عديدة منها :

2-3-3 **الإسناد :**

الإسناد ظهر في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري وكان سببه ضرورة الشهادة على الرواية نقلا عن مصدرها الأول ([36]) وهو منهج لتوثيق المراجع عند مؤلفي الإسلام ، وهو يعد عماد التوثيق ، بمعنى أن يكون الكتاب المصدر مسندا إلى مؤلفه عن طريق طلابه أو الرواة بالسند الصحيح .

3-3-3 **الإسناد في الاصطلاح :**

هو طريقة المتن أي سلسلة الرواية الذين نقلوا المتن عن مصدره الأول وسمي سندا إما لأن المسند يعتمد عليه في نسبة المتن إلى مصدره ، أو اعتماد الحفّاظ على السند لمعرفة صحة الحديث أو ضعفه ([37]) .

4.3.3 **أهمية الإسناد في توثيق المراجع :**

يعدّ الحديث صحيحا عند العلماء المسلمين إلا إذا تتابعت سلسلة الإسناد من غير انقطاع وتتألف من أفراد يوثق بروايتهم ، إذ لم يكتفوا بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم لمعرفة الوقت الذي عاشوا فيه وأحوال معيشتهم ، ومكان وجودهم ، بل فحصوا أيضا قيمة المحدّث صدقا وكذبا وعن مقدار تحريه للدقة والأمانة في نقل النص ليحكموا علي الراوي إن كان ثقة في روايته ، ويسمى نقد الرجال باسم « الجرح والتعديل » .

وفي هذا مؤلفات اهتمت بهذا الموضوع منها كتب الطبقات تناولت سيرة العلماء ورواة الحديث كما كان أيضا التحقيق في مادّة الحديث المروي نفسه ([38]) وتتمثل أهميته أيضا في ربط قيمة الحديث ومنزلة المحدثين ، كانت نظرة ناقدة إلى الرواة بواسطة الكتّاب المدونين أو بمفهومنا الحديث الرجوع إلى مصدر المعلومة . وإدخال عنصر البحث والتحري في جمع المعلومات خاصة المروية منها . وبهذا تكوّن أساس متين لدراسة العلوم ثم المعارف لأن موضوع علم الحديث : السند والمتن والمقصود بالسند رجاله ومؤلفوه من حيث صدقهم

---

[36] رفيق المعجم – موسوعة مصطلحات التاريخ العربي الإسلامي – بيروت / مكتبة لبنان 1999 – ص 46 .
[37] دائرة المعارف الإسلامية – مج 7 – ص 336 .
[38] دائرة المعارف الإسلامية – مج 7 – ص 336 .

وضبطهم وحسن سماعهم لما يروونه ، وعدم تغير شيء عليه من زيادة أو نقصان أو تحريف أو تصحيف ([39]) وهذا للحفاظ على مضمون الحديث فكان الإسناد هو الضبط في النقل عن رسول ﷺ حتى اعتبروا أن الإسناد من الدّين فقال ابن المبارك « لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء » . وبه تم ذلك الجمع والتصنيف في أمهات المدونات والكتب .

إن المتفحص للأسانيد يرى أنها لا تشير إلى مرويات شفوية فحسب بل تدل على الرواة الثقاة بأسمائهم ، وعلى ضوء المصادر وفي المجال الأدبي يمكن أن نذكر على سبيل المثال ، أنّ كتاب الأغاني للأصفهاني يقتبس مثلا عن طريق الإسناد التالي: أخبرنا أبو خليفة الفضل ابن الحباب فيما كتب إليه عن محمد بن سلام أو أخبرني إجازة عن محمد ، من طبقات الشعراء للجمحي ([40]) . فالمعلومات التي نحن بصدد البحث عنها ، نستطيع أن نحدّد مؤلفي المراجع المستخدمة من خلال الإسناد . والعلماء المسلمين ، استطاعوا أن يتعرفوا على معظم الكتب وهذا اعتمادا على الأسماء في الأسانيد ، ولم يبيّنوا لنا ذلك إلاّ في إشارات عابرة وفي حالات نادرة للغاية .

فكان على الباحثين أن طبقوا منهجا لدراسة كتاب البخاري على سبيل المثال ([41]) عن طريق الإسناد في الكتب وارتباط المصادر ببعضها ، وأن تثبت من المخطوطات التي وصلت إلينا فالأسانيد كانت إذن توضح المصادر وأن المؤلفين في تلك الفترة كانوا يتلقون المادّة عن بعضهم البعض اعتمادا على نصوص مدوّنة .

والإسناد هو ما يعرف بالمصطلح المعاصر بالاستشهاد المرجعي ([42]) ، بمعنى إذا نصّ المؤلف على النتاج الفكري السابق الذي اعتمد عليه أو استشهد به في كتاب ما وفي هذا

---

[39] تصحيف :صحّف الكلمة أخطأ في قراءتها وروايتها في الصحيفة أو حرفها عن وضعها . ابن منظور - لسان العرب - مج9 - ط3 - بيروت : دار صادر ، ص-187 - 1994 ،و المنجد في اللغة والإعلام- ط31 - بيروت : دار المشرق ،1986 - ص 417 .

[40] فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي - ص89 .

[41] تبحث الكتب على النحو التالي :تجمع كل أسانيد الكتاب الذي نبحث مصادره المباشرة في جزازات ، وترتب هذه الأخيرة وفق أسماء أخذة الرواة،وننطلق من الاسم الأول والمشترك باحثين الأفراد الآخرين منقبين عن المزيد من الأسماء المشتركة ، وآخر هذه الأسماء هو اسم مؤلف المصادر التي استخدمت في الكتاب الذي نبحثه . فإذا كانت أسماء الرواة لا تتفق إلاّ في الاسم الأول ،ثم تختلف بعد هذا فهذا هو مؤلف المصدر المستخدم وترجع مادته إلى مصادر مختلفة . وإذا كانت الأسماء الأولى المشتركة هم الرواة و إن الاسم المشترك الأخير السابق للتفرعات هو اسم مؤلف المصدر .فإذا أردنا أن نحدّد أولا مصادر كتاب ما ، أمكننا أن نبحث أصول هذه المصادر بنفس الجزازات و بنفس الطريق،وقد ثبت في بحث عن مصادر البخاري أنه تسعين في المائة منها يرجع إلى شيوخه . وأنه نادرا ما استخدم كتبا لمؤلفين سبقوه بجيل أو ثلاثة أجيال فقد أخذ مادته من حوالي مائتي كتاب للجيل السابق عليه .انظر:المرجع السابق، تاريخ التراث العربي - ص 117 .

[42] أحمد تمراز .الاتصال العلمي في التراث العلمي .-عن «دراسات عربية في المكتبات و علم المعلومات » ، س1، ع1، يناير، 1996 - ص 196 .

الصدد يمكن الإشارة ، إلى أنّ الإسناد أو الاستشهاد المرجعي في تراثنا الفكري وخلال القرون الأولى للهجرة وما بعدها قد مرّ بثلاث مراحل ، بحيث إذا ما تتبعنا النتاج الفكري نجد أن الاستشهادات أو ذكر المؤلفين للمصادر التي اعتمدوا عليها في تأليف كتبهم قد مرت بهذه المراحل ([43]) : فقد اعتمد المؤلفون في أولها على الأسانيد لبيان مصادر المعلومات التي يستشهدون بها .

ففي المرحلة الأولى كانت العناية منصبة على نقل الآثار والبحث في أحوالهم والتفتيش في مروياتهم ، بعد جمعها ، وفحصها . أثمرت هذه الغربلة تميز الرجال ، ومعرفة الثقة ودرجة ضبطهم وإتقانهم ، والخلل والنسيان أو التساهل وعدم الدقّة وعدم الاهتمام ، عند أحد المحدثين في أسانيد الأحاديث النبوية فنشأ علم مصطلح الحديث ، و طبقات الرجال والجرح والتعديل ، والتراجم توخيا للدقة و حرصا من أي تحريف ([44]) . وجمع الأحاديث في دواوين ومصنفات على مناهج مختلفة فظهرت المصاحف وأصبح الاعتماد على ما فيها .

وفي الثانية قاموا باختصار هذه الأسانيد أما في المرحلة الثالثة فقد أهملوا ذكر الأسانيد في أحيان كثيرة ومالوا إلى ذكر عناوين كتب المصادر المستشهد بها وأسماء مؤلفيها . ضبط المرويات بعد مرحلة التدوين ، وانقطاع مرحلة الرواية والاعتماد على المصنفات بعد أن استمرت معظم الأحاديث النبوية في « مدونات السنة» المختلفة وأصبحت هذه الأخيرة هي المصادر التي يعتمد عليها ([45]) .

وكتحصيل حاصل هو أنّ الطرق العلمية والمنهجية لعلوم الحديث وما شهدته من عناية شديدة ودقّة فائقة وما توصل له علماء الحديث لتأسيس مرجعية علمية دفعهم لمعرفة مناهج أكثر نجاعة لجميع مراجع العلوم الإسلامية ، فسارت الحجر الأساس التي بناها هؤلاء العلماء على مدى قرون متتابعة من الزمن ثم اعتمدها من خلفهم ، وكان لهم الفضل في تأليف مراجع معارف القرون الموالية .

5.3.3 السماع و القراءة وأهميتهما في التوثيق :

بعد أن أصبح الاعتماد في المراجع الأولى التي يراد منها الجمع انصرف العلماء إلى ضبط هذه المصنفات ، والتحري في نقلها ، ومن كان المتلقي ، ومن تولى ضبط ذلك

---

[43] المرجع نفسه ،أحمد تمراز . الاتصال العلمي في التراث الإسلامي.- ص 200
[44] عادل سليمان المشوخي . أنماط التوثيق ص 37 .
[45] المرجع نفسه ، ص37

المجلس ، ومن شارك فيه ، ومن تولى القراءة ، وأين كان ذلك ، ومتى ، وما القدر المقروء أو المسموع . وهل شارك الجميع في هذا القدر إلى غير ذلك مما يعد وثيقة تاريخية الإفادة بأنّ مضمونها قد سمع في حلقة سماع ، على شيخ معروف بتخصصه في علم يتعلق بموضوع النسخة ، وهذا يمنح المراجع الأولى ، ثقة في صحة مادتها ونصّها ([46]) .

– الكشف عن قيمة المرجع ، ومدى اهتمام النّاس به في عصره و بعد عصره ومدى الثقة به وبمؤلفه.

– تعطينا في آخر الأمر صورة عن الحركة العلمية ومدى انتشار الثقافة ، ومدى عمقها في عصر من العصور([47]) .

6.3.3 الإجـــازات:

في القاموس المحيط أجاّز له استجاز طلب الإجازة أي الإذن... ([48]) . وتعد الإجازة وسيلة مهمة لضمان صحة المؤلفات العلمية وصحة نسبتها فالمحدّثون هم أول من اهتموا بالضبط والتوثيق ، والعناية بالمصادر، تحريا لمأخذوه فقد كانوا أيضا أول من استعملوا لفظة الإجازة لغاية علمية ([49]) . ومثالنا في هذا إجازة حصل عليها ، أبو العباس القلقشندي أجازه بها « سراج الدّين أبو حفص عمر الشهير (بابن الملقن) » في القرن التاسع الهجري.

7.3.3 أهمية الإجازات :

لم تقتصر مهمة الإجازة على حفظ سند الحديث ، بل أنها ساعدت على حفظ الكثير من الكتب في مختلف الفنون ، وهذا برهان كبير على التقدم العلمي المعرفي لعلماء تلك العصور، خاصة ما تعلق بالمنهجية المتبعة لدّيهم لأنها تعّد من الوثائق الصحيحة والدليل على ثقافة العلماء في تلك القرن الثامن الهجري ([50]) وكثيرا من المعلومات وهي قبل هذا تعد أحد أنماط التوثيق الرئيسية في مصادر التأليف الأولي .

وكذلك يرد التوثيق الدقيقّ للمعلومات والإسناد والاستشهادات عند كل من محمدّ بن إبراهيم جمال الدّين ابن جماعة (تــ 733 هــ- 1333م) في كتابه« تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» وعبد الباسط بن موسى بن محمد العلـموي الـمتوفـــى

---

46 عادل سليمان المشوخي . أنماط التوثيق في المخطوط العربي، ص82.
47 عبد الستار الحلوجي . المخطوط العربي.- ط2 .- جدّة : مكتبة مصباح ، 1989- ص 173
48 محمد بن يعقوب الفيروزآبادي . قاموس المحيط .- ج1.-ط2.- القاهرة : مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، 1952.- ص 188. مادّة جاز.
49 عادل سليمان المشوخي . أنماط التوثيق ..ص 105.
50 عادل سليمان المشوخي . أنماط التوثيق ، ص.- 125.

(981هـ = 1573م) في كتابه « المعيد في أدب المفيد والمستفيد » الذي يذكر فيه قضية أسلوب المراجع المدونة للعلم وأساليبها وطرائقها وشروطها في التفاصيل التي يتناولها تنطبق أكثر على علمي الفقه والحديث خاصة ، ولكن لها من الأهمية في مجال البحث العلمي الإسلامي بأجمعه .

8.3.3 علامات الاقتباس :

قبل ظهور الطباعة كان العلماء والمؤلفون ، عند إشاراتهم إلى المراجع التي يأخذون عنها ينقلون النّص كاملا أو بشكل مختصر ، إذ لم يكن لديهم وسيلة أخرى مرضية لإطلاع القارئ على المصدر الذي أخذوا عنه ([51]) أو إلى صفحات سابقة ولم يكن بالأمر السهل وصف الكتاب أو جزاء منه فكانوا يقلون عن مؤلف ما أنه كتاب صغير أو كتاب كبير ، وكانوا أيضا يشرون إلى عدد أوراق الكتاب وأجزائه . وإذا كنا اليوم نجد من الضروري الدقة في الوصف فإنه كان يذكر أيضا حجم الصفحة .

إذا كان الاقتباس رواية شفوية ، وإذا كان المؤلف قد اعتبرها رواية شفوية ، فإن مجرّد استعمال « قال » دلالة كافية على بدأ النقل والاقتباس وأصبح تقليدا مألوفا عند العلماء أن يضعوا إشارة أو دلالة على انتهاء النقل أو اقتباس ، فإنه لم يكن منتشرا على نطاق واسع قبل القرن الثالث عشر الميلادي ، ومن المصطلحات المستعملة للدلالة على بدء النقل الألفاظ أو العبارات التالية : « هذا نص ..» « هذا كلام ..» هذه الألفاظ ، « هذا قول » أو هذا ما قاله.. » واستعملوا أيضا إلى هنا قول... » هذا نهاية كلام ...» انتهى ما ذكره أو حكاه أو أورده ... » انتهى كلام » أو قول.. » ، آخر كلام...» ([52]) .

ويمكن للاقتباسات أن تلعب ، دورا مهما في معرفة بعض المصادر الأخرى المتشابهة التي فقدت ، كما تعين المفهرس والمحقق معا على تحديد تاريخ المصدر إذ لم يكن مؤرخا .فلم يعرف العلماء الفاصلة المتعارف عليها اليوم أو الفاصلة المنقوطة، وعلامات الاستفهام والتعجب وغيرها من العلامات . فكانوا يضعون خطا فوق أول كلمة من الفقرة وبعضهم يميز تلك الكلمة بأن يكتبها بمداد مخالف أو يكتبها بخط كبير ([53]) . غير أنه كانت ترسم دائرة مجوفة [O] للفصل بين الكلامين ، أما الدائرة الفارغة أو المنقوطة : توضع في نهاية

---

[51] روزنتال . مناهج العلماء ص 102

[52] روزنتال.مناهج العلماء ،ص 107 .

[53] عبد السلام هارون .تحقيق النصوص - ط4 - القاهرة :مكتبة الخانجي ،1977ص 87 .

أحد أجزاء الكتاب بعد ذكر تاريخ النسخ باليوم والشهر والسنة ، كما وردت في الجامع الصحيح لمسلم المتوفى سنة (261 هـ) . واستعملت في بعض كتب التراجم ، ثم الدائرة في وسطها خط [θ] الدائرة المغلقة أو المصمّتة [●] كما عرف العلماء علامات أخرى كثيرة استعملت في الترقيم ([54]) .

أما فيما يخص الترتيب الألفبائي لمواد الكتاب ، فإنه يمكن القول أنه كان من السهل العثور عليها خاصة عندما يكون الترتيب على الحروف الهجائية ، ونأخذ على سبيل المثال الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد ،المرتب ألفبائيا وقام بتعديل الترتيب لاعتبارات دينيّة فاحتراما للنبي ﷺ ذكر اسم المحمدين أولا ، وقلّده في ذلك مؤرخون كثيرون . وهدفه كما يقول في ترتيب مواد الكتاب على الحروف الهجائية هي عون القارئ على مراجعة مؤلفه . يقول : « فإني رأيت الكتاب الكثير الإفادة ، المحكم الإجادة ربما أريد منه الشيء فيعمد من يريده إلى إخراجه فيغمض عنه موضعه ، و يذهب بطلبه زمانه ، فيتركه وبه حاجة إليه ، وافتقاره إلى وجوده » ([55]) والأمثلة كثيرة عن هؤلاء الذين قلدّوا هذا التعديل كابن حجر العسقلاني المتوفي سنة (852هـ) في كتابه تهذيب التهذيب مثلا وكمال الدّين الدميري (تـ 742 - 808هـ) في كتاب الحيوان الذي يبدأه بالأسد لأنه أنبل الحيوانات ([56]) .

9.3.3 **المحتويات والفهارس** :

ترتيب مواد الكتاب ترتيبا مفصلا بشكل فهرست هو أمر لم يكن معروفا عند علماء المسلمين ، ولكنهم أخذوا يثبتون في مستهل كتبهم قائمة بمحتويات الكتاب على أنه أخذ يظهر في مؤلفات العصور المتأخرة ما يشبه الفهرست مثل نجم الدين بن فهد توفي (سنة 1480م) الذي وضع فهارس لكتاب« طبقات الحنابلة» لأبي عبد الله شمس الدّين الذهبي وكتاب « الضوء اللامع» لمحمد بن محمد شمس الدين السخاوي (تـ 831 هـ-1497م) . مثلا وغيرها من الكتب ويقول ابن فهد أن غايته من هذه الفهارس هو تيسير استعمال هذه الكتب لدى قرائها» ([57]) .

---

54 المرجع السابق ،أنماط التوثيق - ص.158 .
55 أحمد بن علي الخطيب البغدادي.تاريخ بغداد ،ج1 .ص 213 .
56 كما ل الدين بن موسى الدميري . حياة الحيوان الكبرى - الجزء الأول .- القاهرة : مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاؤه ، 1956 . صص 2- 15 .
57 روزنتال . مناهج العلماء المسلمين ، ص112 .

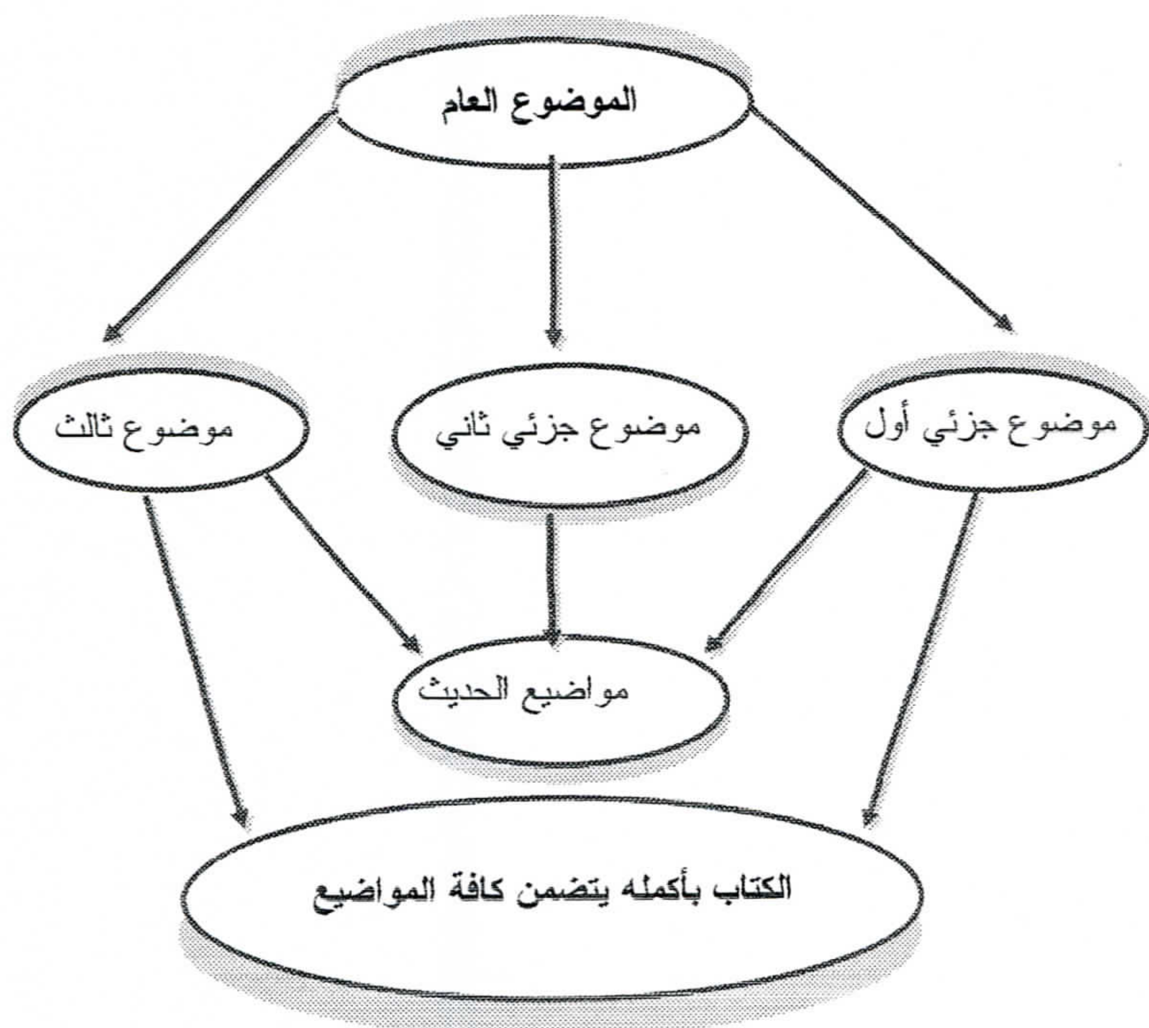
4- مناهجهم في تصنيف وترتيب مراجعهم :

بدأ الاهتمام بترتيب وتصنيف المعارف عند المسلمين منذ الوهلة الأولى التي تجّمع في نفس الوقت عدد هائل من المعلومات الدينية المختلفة واللغوية وغيرها . فكان أن اتبع المسلمون نظام تحقيق الجوامع والمصنفات والهدف من وراء ذلك ، هو تسهيل مهمة المسلمين من مشرعين فقهاء وفلاسفة لغويين في الحصول على المعلومات بأسهل الطرق أي الرجوع إلى الكتب المصنفة ، وأصبحت بذلك مراجع أساسية يعتمد عليها والرجوع إليها للاستشارة والأخذ بطرقها ومناهجها في تصنيف مراجع العلوم والمعارف المختلفة . فقد اتبعوا لتحقيق ذلك منهجا وهذا تصميم بسيط لتسهيل فهم التصنيف المتبع في هذه المراجع هو كالآتي :

1.4.4 المنهج الأول :

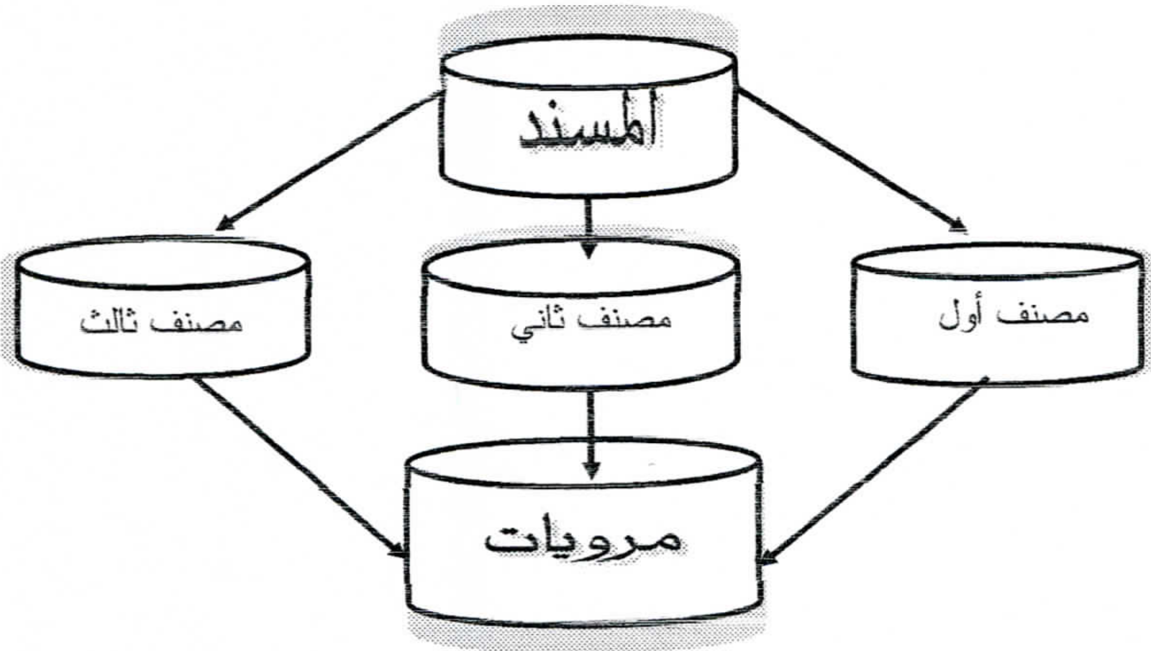
وهو التصنيف على الأبواب حيث يرتب المؤلف كتابه حسب الموضوعات والموضوع الواحد يتناول موضوعات جزئية من الموضوع العام ، وتحت كل موضوع جزئي عدّة أحاديث (لأنه في البداية كان الاهتمام مركز على علم الحديث ومصطلحاته) تفصيلية توضح الموضوع الذي أدرجت تحته ، وقد تعارف علماء الإسلام على جعل هذا النوع من المصنفات في عدّة كتب كل كتاب يتناول موضوعا عاما . وتحت الكتاب عدّة أبواب يتناول كل باب جانبا من الموضوع العام ، فنرى مثلا«صحيح مسلم» يضم أربعة وخمسين كتابا تحت كل كتاب عدّة أبواب ، ففي كتاب الإيمان من صحيح مسلم مثلا ستة وتسعون بابا يضم كل باب عددا من الأحاديث ، فيتناول مثلا :

- الباب الأول (الإيمان و الإسلام و الإحسان) وفي سبعة أحاديث .
- الباب الثاني (باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام) وفيه حديثان .
- الباب الثالث باب السؤال عن أركان الإسلام) وفيه حديثان . وهكذا في سائر الكتب المصنفة على الأبواب ، هذا النوع من المصنفات يساعد الباحث للوقوف على موضوع معين . وهذا وإليكم بعض من المناهج في أشكال بياني ليزيد من التوضيح :



2.4.4 المنهج الثاني :

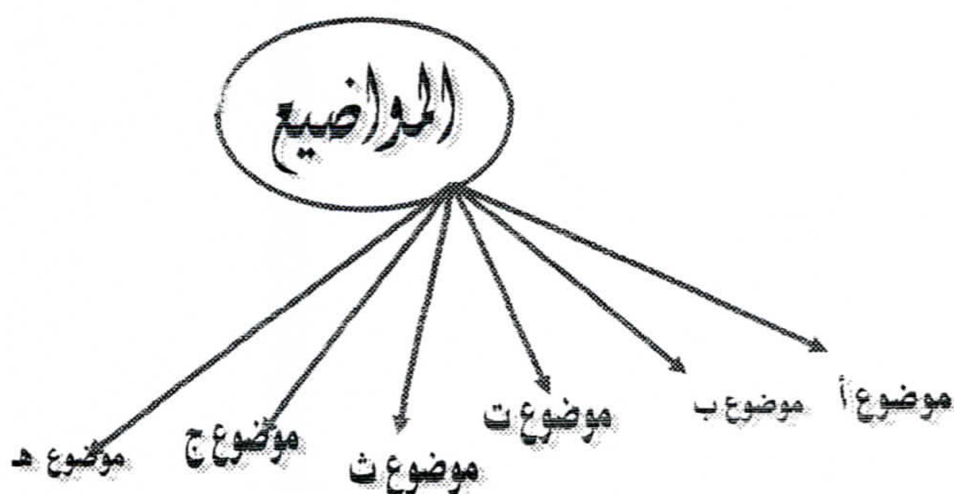
المسانيد جمع مسند ، فهو أن يجمع المصنف أحاديث الصحابي ولو كانت في موضوعات مختلفة ، تحت عنوان (مسند فلان) ويضم « مسانيد الصحابة » في مصنفه الذي يحمل اسمه ، فيقال على سبيل المثال مسند أبي داود الطيالسي (تـ 204 هـ) ومسند أحمد بن حنبل ويقصد بذلك مصنفه المرتب على مرويات الصحابة لا على الموضوعات وهذا النوع من المصنفات يساعد الباحثين الذين يرغبون في الوقوف على مرويات أحد الصحابة أو معرفة حديث رواه صحابي دون غيره .



3.4.4 المنهج الثالث :

صنفت مراجع علم الحديث ورتبت على حروف الهجاء ، فيراعى المصنف أوائل الحديث ويلحق كل حديث بالحرف الذي ينضم تحته ، كما يراعى ترتيب أحاديث كل حرف ومثال هذا النوع « الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير» لإمام الحافظ جلال الدّين السيوطي (849هـ-1505م) الذي اختار من كتابه الكبير « جمع الجوامع» فقد رتب كتابه الجامع الصغير على حروف المعجم وراعى فيها أول حديث وما بعده تسهيلا على الباحث فيه ، ويشير فيه إلى درجته من الصحّة أو الحسن أو الضعف ([58]) وهذا النوع من المصنفات يعين الباحث إذا كان يعرف أول الحديث فيقف على الحديث بتمامه ، وعلى روايته ودرجته ، وعلى مخرجه .

[58] وجعل السيوطي للجامع الصغير ذيلا سماه زيادة الجامع ، وقد ضم الشرح يوسف النبهاني هذه الزيادة إلى الجامع الصغير وأحسن ترتيبه وسمى الجميع (الفتح الكبير في ضم الزيادة للجامع الصغير) . محمد عجاج الخطيب .الوجيز في علوم الحديث ونصوصه - الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،1989. الوجيز في علوم الحديث - ص 256

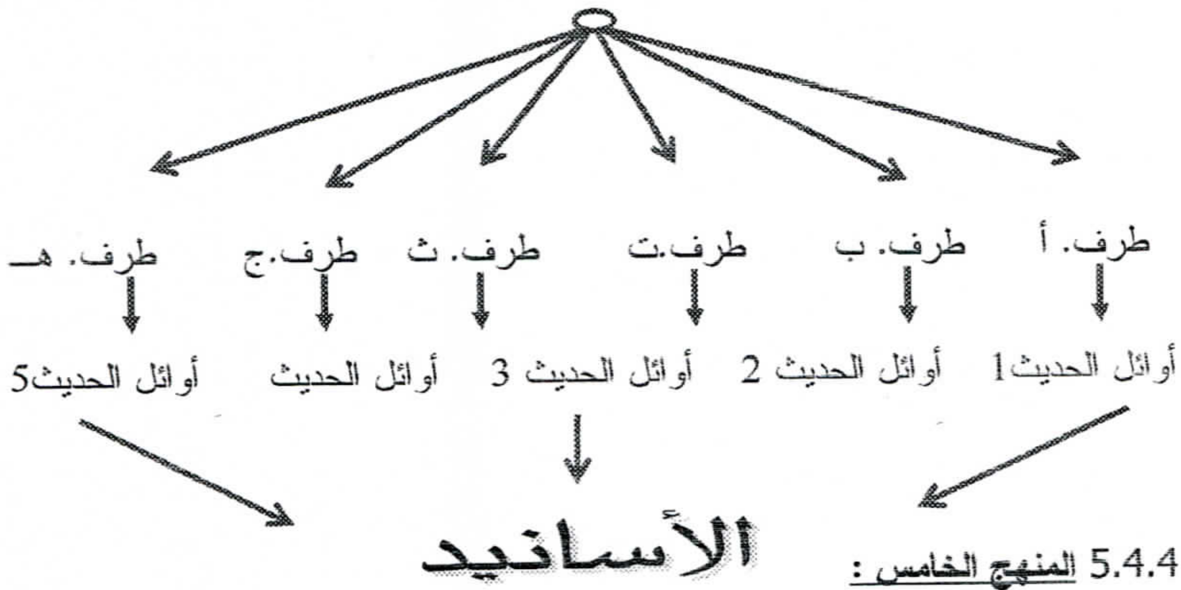


4.4.4 المنهج الرابع:

كتب الأطراف جمع طرف ، وطرف « الحديث » أوله ، وكتب الأطراف هي الكتب التي تقتصر على ذكر أوائل الحديث الدالّة على بقيتها مع الجمع لأسانيد كل حديث ، إما على سبيل الاستيعاب أو على جهة التقيد بكتب ناقصة وكتب الأطراف قديمة جدّا وكثيرة ([59]) . ومن أشهرها كتاب « تحفة الأشراف لمعرفة الأطراف» يوسف بن عبد الرحمن المروزي (تـ– 742 هـ) وهو في ثمانية أجزاء رتب فيه أطراف الكتب الستة على مسانيد الصحابة

فالباحث إذا عرف رواة الحديث (طرفه) في مسند الصحابي من كتاب ذخائر المواريث فيدله على مواضع الحديث من الكتب المذكورة .

[59] المرجع نفسه . الوجيز في علوم الحديث ونصوصه - ص 303 .

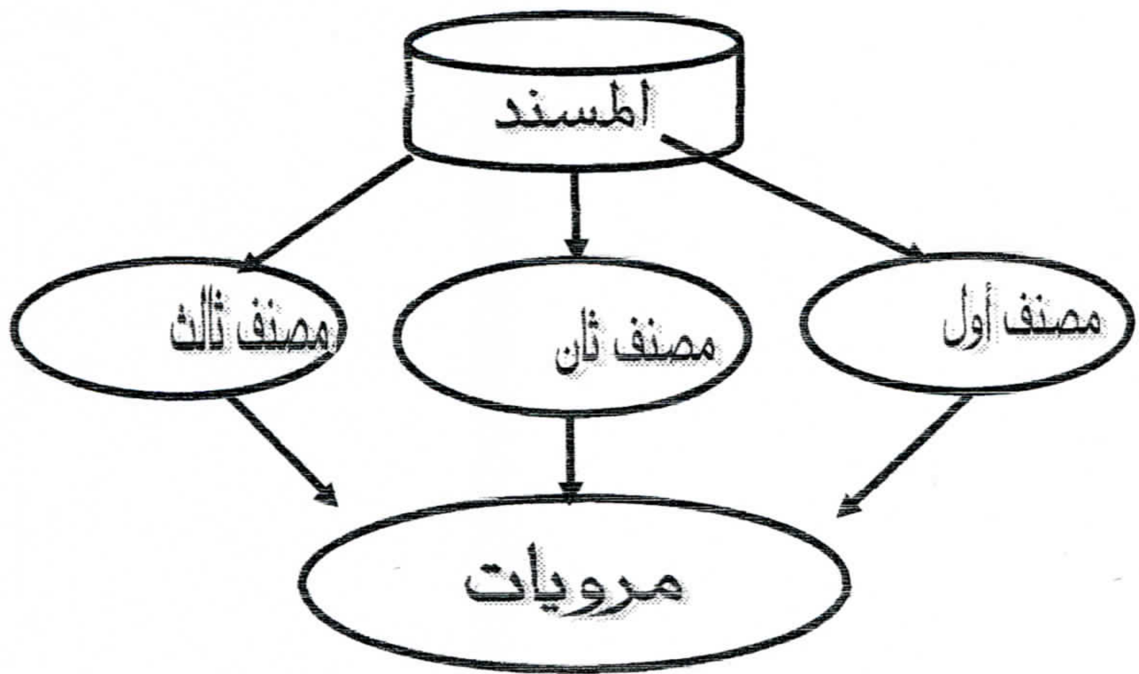


5.4.4 المنهج الخامس :

رتب بعض المصنفين كتبهم على أسماء شيوخهم ترتيبا معجميا على حروف الهجاء ، فيذكر المصنف تحت الحرف« الحديث » عن شيخه بسنده ثم ينتقل إلى ذكر مروياته عن غيره من الشيوخ وهكذا ، وقد أطلق العلماء على مثل هذه المصنفات اسم معاجم الحديث ، كالمعجم الصغير والمعجم الأوسط والمعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (– 360هـ) .

وترتيب الأحاديث في هذا النوع من المعاجم على المسانيد ، أي وفق ما يسنده المصنف عن طريق شيخه ، فالمنهج في المعجم كالمنهج في المسند [60] ، غير أن أصحاب المسانيد رتبوا مسانيدهم على أسماء الصحابة ، وأصحاب المعاجم رتبوا كتبهم على أسماء شيوخهم ، وهذا النوع يفيد في معرفة شيوخ المصنف ، ومروياتهم عنهم ، والتعريف بهم من خلال مرويا تهم فقد أطلقوا على هذا النوع من المصنفات اسم المعاجم ، لأنهم رتبوا أسماء شيوخهم على حروف المعجم ، وهناك مصنفات أخرى يضيق المجال لذكرها

60 المرجع السابق .الوجيز في علوم الحديث ونصوصه - ص 304 .



هذا ما تعلق بعلم الحديث ومناهجه فكيف كان تأثر العلوم والمعارف الأخرى ببياناته التوثيقية ومناهجه ، وأدوات البحث فيه ؟

5- **تأثير مناهج تصنيف علم الحديث ومصطلحاته على العلوم والمعارف:**

إن اتساع الحركة العلمية الدينية ، ونشأة علوم القرآن من تفسير وتأويل وقراءات وتجويد ونشأة علوم الحديث ، استتبع ذلك ظهور الفقه والتوحيد والأصول وارتبطت بها علوم اللغة ، والنحو والصرف ، ثم علوم الأخبار وكان من الطبيعي أن تظهر حركتان ، حركة أدبية بما فيها من أخبار ونوادر وسير وأسماء تركز على اللغة والشعر والنثر والخطب وأخرى تاريخية ، اهتمت بسيرة الرسول ﷺ والخلفاء والمغازي والفتوح وسير الأمم وأخبارهم فقد انبثقت ثورة علمية فكرية حين نبغ عدد قليل منهم في أصول المعرفة وأصبحوا أصحاب امتياز في ميادين شتى ، في القضاء وعلم الحلال والحرام والمواريث وتقسيم الغنائم وقراءة القرآن([61]) .غير أن تأثير علوم الحديث ومصطلحاته على ثقافة القرون الثلاثة الأولى وما يليها من ظهور علم الحديث ومصطلحاته كان ظاهرا جلياً ، فلقد صبغت طريقته كل فنون ومعارف تلك الفترة التاريخية فنجد طريقة السند عمت كل أنواع الكتب من أدبية لغوية

[61] مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب .- ط11 .- بيروت : دار العلم للملايين ، 1998.-ص2

نحوية وتاريخية وغيرها إذ يعتمد السند في طرح أخبارها ومعلوماتها مثل كتاب « الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني وعيون الأخبار لابن قتيبة ، وكتاب « الأمالي » لأبي علي القالي (تـ 288هـ- 967 م) و « تاريخ الرسل والملوك » للطبري بل فإن كثيرا من العلوم ما كان ليوجد لولا علوم الحديث ومصطلحاته .

فطبقات الرجال وكتب التاريخ وكتب التراجم والسيرة التي هي في الواقع الأساس الذي انطلقت منه الكتب الموسوعية العربية ؛ وكل هذه المعارف كانت ثمرة من ثمرات الحديث الشريف ، لأنه فتح باب التأليف بقواعد ، لا تزال أسسها وجوهرها متدارسة في الأوساط العلمية حتى يومنا هذا وهيأ لظهور كتب الطبقات مثلا في كل فن ، فقد بعث على نهضة علمية في ثقافتنا من تنوع وتعدد وتلون في العلوم والفنون والمعارف منذ مطلع القرن الثالث، بدأت تأليف العربية في تراجم تقليدية للصحابة والتابعين وتابعيهم ، ورواة الحديث .

ثم عرف المسلمون نمطا جديدا يعرف بالطبقات وتصنف تصنيفا تنازليا في فئات أو درجات بغض النظر عن تاريخهم ومكانهم وترتيب أسمائهم داخل كل فئة أو طبقة يلجأ إلى الترتيب الهجائي أو الجغرافي أو التاريخي تيسرا على الباحثين ([62]) . وكتب الطبقات هي الكتب التي عالج مؤلفوها سير طائفة معينة من الفقهاء أو القضاة أو الصحابة أو الأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم جيلا بعد جيل وطبقة بعد طبقة .

1.5.5 التأليف في الطبقات وتراجم الأنساب :

يعدّ التأليف في الطبقات من أولى التآليف عند العرب المسلمين ، وهي أيضا صورة من صور التأليف الخاصة بتلك الفترة التاريخية المميّزة ، بطريقة تصنيفها للمعلومات إذ تمدّ الباحث بمعلومات كثيرة عن الأمور الاجتماعية المتصلة بحياة البيت وأمور اللباس والطعام والشراب وجوانب من الحياة التجارية وعن كثير من النواحي الثقافية والأحكام الفقهية وعشرات المواضيع الأخرى وهي أنواع مثل : كتاب طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين لمحمد ابن سلاّم . وكتاب طبقات المحدثين والفقهاء لأبي عبد الرحمن ابن الهيثم عدّي وكتاب طبقات أهل العلم والجهل لواصل بن عطاء الغزال ، وكتاب طبقات المغنيّن لأبي أيوب المدني وكتاب طبقات الشعراء لابن قتيبة ، وكتاب طبقات النحويّن البصريين لمحمد بن يزيد

---

[62] عبد الستار الحلوجي. مدخل لدراسة المراجع ،دار الثقافة ، [ب.ت] - ص 63 .

بن عمير بن حسان المبرّد [63] ، وكتاب طبقات الكتاب لأبي علي بن إسماعيل بن الخطيب « الأنبا ري» وغيرها من كتب الطبقات والأنساب .

أما كتب الأنساب فقد عني العرب بحفظ أنسابهم قبل الإسلام ، وقد عرفوا منهم برواية النسب فكانوا بمثابة المرجع الذي يعودون إليه إذا اختلط عليهم الأمر فقد كان أبو بكر الصديق نسابة ([64]) وقد أخذ عنه جبير النسب وعن جبير أخذ سعيد بن المسيب([65]) . وتجمع الأنساب تراجم وسير أشراف العرب حسب أنسابهم ، فهي دراسة تاريخ الأرستقراطية العربية على حسب أنسابها كما يقول الدارسون .

ارتبط التأليف حسب الطبقات بعلم الحديث ارتباطا وثيقا ، لأنه جاء نتيجة لفكرة صحابة رسول الله الثقة فيما يرون عن رسول الله ، فطبقة ابن سعد تراجم لشخصيات محدّثة ، استقى مصادر معلوماته من كتب الواقدي مثل كتاب « أخبار مكةّ » وكتاب « طعام النبي » وأيضا من كتب« المغازي » .

2.5.5 كتاب طبقات ابن سعد نموذجا في التأليف من ناحية التصنيف :

لقد خصّ محمد ابن سعد الجزأين الأولين لسيرة الرسول الله ﷺ ومغازيه ثم أخذ يترجم لثلاثة آلاف من الصحابة والتابعين موزعين على طبقات على أساس سابق إلى الإسلام فالطبقة الأولى للصحابة الذين شهدوا بدرا مع تقديم المهاجرين على الأنصار، والطبقة الثانية لمن لم يشهد بدرا من المهاجرين ، ثم الصحابة الذين اسلموا قبل فتح مكة . ثم انتقل ابن سعد إلى تصنيف الصحابة والتابعين تصنيفا إقليميا ، فإلى جانب تراجم المكيين والمدنيين ، وأيضا تراجم لمن نزل الطائف واليمن والبحرين واليمامة والكوفة والبصرة وبغداد والشام ومصر وإفريقيا . وقد قسمت تراجــم رجال الأقاليم المختلفة إلى طبقات يتفاوت عددها من إقليم لآخر، فالتابعون من أهل المدينة مثلا وزعــوا على سبع طبقات ، والمكيّون وضعوا في خمس طبقات.

ويختم ابن سعد الجزء الأخير من كتابه الذي خصصّه للنساء وقد راعى فيها عنصر الزمان والمكان أما عنصر الزمان فقد تدخل في بناء الطبقات من أولهّا إلى آخرها والطبقة

---

[63] ابن النديم.الفهرست ، صص 65 ، 75، 112 ، 126، 138 ، 203، 288

[64] أبي عمر بن محمد بن عبد ربه الأندلسي .العقد الفريد - ج3 - بيروت : دار الكتاب العربي ، 1982 - ص 326

[65] عمر بن بحر الجاحظ .البيان والتبين - ج1/ 2 .- [د.ط] .- القاهرة ..- دار الفكر للجميع 1968 - ص303

السابقة على الإسلام . ثم يدخل عنصر المكان، فأخذ يترجم للصحابة ومن بعهدهم على حسب الأمصار التي نزلوا بها([66]) وفي تقسيمات ابن سعد كانت هناك تقسيمات جزئية مؤسسة على (الرواية) وظل العامل الزمني معتبرا أيضا هذه التقسيمات المكانية وخاصة عند الحديث عن التابعين لأنه ترجم لهم في الطبقة وهي تساوي جيلا أو عشر سنين وفي كتاب ابــن سعد تساوي عشرين سنة تقريباء فمثلا تراوح نهاية الطبقة الثالثة بين سنتي (108 –113 هــ)

وتتراوح نهاية الطبقة الرابعة بين سنتي(162– 132 هــ) ([67]) وقد اعتمد على الأسانيد مما يجعل من كتابه وثيقة مصدرية بالغة الأهمية إذ يعتبر من أوائل ما ألّف في هذا الموضوع وما سبقه إلاّ طبقات الواقدي .

فالكتاب قيّم من حيث هو مصدر قديم بحيث أنه أحد النماذج الأولى في موضوع الطبقات وهو أيضا مصدر هام عند ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق ومصدر هام في تاريخ الإسلام وفي « تجريد أسماء الصحابة وسير أعلام النبلاء » و« معتمد في الإصابة » و« تهذيب التهذيب » لابن حجر العسقلاني وكذلك مرجعا لمن كتبوا في السيرة من المتأخرين كالمقريزي في« إمتاع الأسماع » ولكثير من المؤلفين . ففي صفحاته كنز من المعرفة لمن شاء أن يدرس سيرة الرسول ﷺأوحالة القرنيين الأوليين من تاريخ الإسلام وهو المنبع الذي يمدّ الباحثين بموضوعات مختلفة عن كتابة السيّر والبحث عن طريق الإسناد. ([68])التأليف في هذا الجانب كثر ، وانقسم التأليف في الطبقات إلى قسمين : قسم خاص بالصحابة وقسم خاص بسائر رجال الحديث من بعدهم . فهناك طبقات الشافعية لتاج الدّين السبكي وطبقات الصوفية للسلمي وطبقات الحنابلة والطبقات الكبرى للشعراني تراجم لشخصيات فقهية ([69]) رتبت في طبقات على أساس زمني بحيث يتقدم المتقدم ويتأخر المتأخر، إلاّ أن الترّتيب داخل كل طبقة ترتيب هجائي مع البدء بالأحمديّن في «طبقات الحنابلة» و بالأحمدين ثم المحمدين في « طبقات الشافعية » .

كما نجد أن للكتابة في الطبقات انعكست على ميادين أخرى كاللّغة والأدب ومن أقدم ما ألف في هذا الفرع من المعرفة كتابان هما« طبقات فحول الشعر والشعراء»

---

[66] محمد بن سعد.الطبقات الكبرى.تحقيق إحسان عباس ،ج1 - بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر،1960- ص12
[67] المصدر نفسه.الطبقات الكبرى ، ص1
[68] *السيد عبد العزيز سالم. التاريخ والمؤرخون العرب .- بيروت : دار النهضة للطباعة و النشر، 1981 - ص174*
[69] ابن سعد . الطبقات الكبرى ،ص16 .

لمحمد ابن سلام (تـــ231) ثم « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ونضيف إلى ذلك طبقات الأطباء لابن أصيبعة وطبقات الشعراء لابن المعتز(تـــ296) وطبقات النحويين للزبيري وغيرها من كتب الطبقات كثيرة ومتعددة خاصة في مجال الأدب التي ظهرت كمؤلفات في القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع (القرن الثامن والتاسع ميلادي) . فالمجال لا يسمح بالتوسع فيها .

أما المراجع التي اعتمد عليها مؤلفو الطبقات فقد تباينوا في طريقة ذكرها ، فمنهم من يذكرها في مقدمة كتابه أو يكتفي بذكرها في مواضع النقل كابن حجر (تـــ 825)

كتب الطبقات والتراجم التي عرفها المسلمون ابتداء من القرن (الثاني الهجري والثامن الميلادي) ، كانت نتاجا لعملية التصنيف الأولية للمعرفة قائم ثم على موضوعات محدّدة أو على أساس أجيال مثل ما هو الشأن عند ابن سعد في طبقاته كما أسلفنا الذكر .

وعلى هذا الأساس يمكن الانطلاق من فكرة أن هذا النوع من الأعمال الأولية فتحت الطريق أمام المشتغلين في حقل الثقافة العربية الإسلامية من أجل إعادة ترتيبها وتصنيفها وفق قواعد فلسفية ومعرفية عامة ، ولولا اجتهاد علماء الحديث بهذا العمل وحضور ما تم إنجاز هذه الأعمال بالشكل والقالب الذي عرفت به .

6-بعض أنواع المراجع في العلوم والمعارف المختلفة :

أخذ المسلمون في التأليف بعد أن كانت العلوم في القرنيين الهجريين الأوليين نقلية إنما تحتاج إلى الادخار في الذاكرة ، أصبحت بعدهما عقلية تعتمد النظر والقياس والتحليل والتركيب . وبعد نضج العلم في القرن الرابع للهجرة فما بعده نبغ عدد من الأطباء والمعماريين والفلاسفة والفقهاء واللغويين وغيرهم ...

فالحركة الفكرية النشيطة التي عرفها المسلمون في القرون الإسلامية الأولى وما تلاها حتى القرن العاشر ميلادي التي انبثقت عن علوم الحديث ومصطلحاته نشأت عنها علوم شتى وأول هذه العلوم ما كان متصلا منها باللغة العربية من حيث ضبط القراءة والكتابة ونشأ علم يدرس تاريخ الخط العربي وأصوله وأخذ ينمو حتى استكمل تهذيبه ابن مقلة([70]) (248هـ 383م) كما نشأ علم قواعد اللغة ومن أئمتهم المجيدين أبو الأسود الدؤلي([71])

---

[70] أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة أشهر خطاطي المسلمين .الزركلي - قاموس الأعلام - ج5 .ص117.

[71] ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي واضع علم النحو .خير الدين الزركلي - ج3- ط2 بيروت:دار العلم للملايين [ب.ت].ص340 وابن خلكان ،وفيات الأعيان وفيات الأعيان- ج1 بيروت :دار الثقافة ، 1968 .- صص 429- 432

(ت66.688 م) الذي عاش أيام الأمويين ، وقد تلقى أصول قواعد اللغة من علي ﷺ وهو من وضع قواعد النحو،والخليل بن أحمد الفراهيدي ([72]) (تـ 175 -791) فهذب ما كتبه أبو الأسود ، وبوبه في كتابه المشهور العين . وسبويه ([73]) تـ 183-799) أكمل ما كتب في النحو ووضع كتابا عرف باسمه ، وأتى بعده الكسائي ([74]) (تـ 189 -805) والأصمعي (ت 213 -828) والزجاجي (تـ 339 - 950) .

اهتم المسلمون أيضا بتحليل تراكيب اللغة ، وهو ما عرف بالبلاغة وأشهر من ألف في ذلك الجاحظ (تـ 255-896/868) والسكاكي (تـ 626-1229) والفراء (تـ757هـ-822 م) كما نشأ علم فقه اللغة . كذلك الجاحظ (255هـ) أول من ألف كتابا في النقد من خلال البيان والتبيّن والحيوان وغيرها من مؤلفاته كما ألف ابن قتيبة (828 .889م) أدب الكاتب وأصبح بعد ذلك علما مستقلا بذاته ، له أصوله وقواعده من أعلامه قدامة بن جعفر وكتابه نقد الشعر . كما فكر المسلمون في تأليف المعاجم وأولها العيّن للخليل بن أحمد وكان العرب بذلك أول من أنشأ علم المعاجم كما اهتم المسلمون بالتعليم وأساسه الدّين ، لاسيما في حفظ القرآن والحديث وقاموا بتأليف كتب فيه ، فألف الغزالي (تـ 505-1112) كتابا سمّاه إحياء علوم الدّين . ثم عرفوا علوم الأصول في علم الفقه ، الاجتهاد ، القياس والإجماع ونجد كذلك الشافعي الذي كتب كتاب سماه « الأم » والذي جمعه سراجّ الدّين البلقني (تـ 805- 1403) ولدينا أيضا أحمد بن حنبل الذي ألف « المسند» مرتب حسب الرواة .

أما علم الكلام الذي يتناول العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ظهر هذا العلم بانتشار الإسلام بين الشعوب المتحضرة ، فظهر للدفاع عن الإسلام والرّد على الأديان الأخرى ، وعلم الكلام الإسلامي يتناول مسائل عقيدية مثل التوحيد والآخرة ، القدر الخير ، الشّر وحقيقة النبوة وخلق القرآن ([75]) وكتب فيه الكثير نذكر علي سبيل المثال : الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (تـ 456 -1064) ، الملل والنحل للشهرستاني (تـ 548 - 1153) وغيرهما وكتب أخرى لمؤلفين من فرق عديدة ومختلفة من المتكلمة.

---

[72] ابن خلكان . وفيات الأعيان، ج 1 .- 1968.- ص 307-309 .

[73] المصدر نفسه، وفيات الأعيان .ص 103- 105

[74] علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن الكسائي إمام في اللغة والنحو والقراءة - الزركلي ،قاموس الأعلام .ج5. ص93 .

[75] عبد المنعم ماجد. تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.[د ط].القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، 1963م .- ص 202

أما علم التصوف ، والذي نعني به العكوف على العبادة والزهد فيها والانقطاع عن الدنيا ، فأصلها ربما يكون هنديا ، حيث أن الأفكار البوذية تتحكم في السيطرة على النفس قد دخلت الإسلام . وفي هذا كتب كثيرون غير متصوفة فنذكر منهم الحلاّج (تـ 309 – 922) كتاب الطواسين ، والطوسي (تـ 378 –988) اللامع في التصوف ، والغزالي (ت 505- 1112) المنقد من الضلال ، والسهروردي (تـ 622 /1234) عوارف المعارف وابن عربي الحاتمي (تـ 638- 1240) فصوص الحكم وغيرهم.

أما الأدب فقد تطور على ما كان عليه ، وأصبح يدّل على المعارف عامة إلى أن اقتصر في آخر المطاف على الإجادة في فني النظم والنثر وكتابة الرسائل والمؤلفون كثيرون من شعراء و خطباء ومعربين للدواوين فنجد ابن نباتة (ت 374 – 984) والقرن الرابع الهجري ، هو العصر الذهبي للكتابة الديوانية ، على يدّ ابن العميد (تـ 360 –971) وابن قتيبة في أدب الكاتب ، وأدب الكتّاب للصولي ، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي الذي سوف يأتي الحديث عنه في الفصل الثاني .

كما نجد أيضا أن المسلمين كتبوا في علم التاريخ الإسلامي لاتصاله بعلم الحديث لقد كان تاريخ العرب الأوائل عبارة عن قصص وأخبار، ودعت الحاجة إلى تدوينه في أواخر القرن الثالث الهجري لضبط ونقل أحاديث النبي والسيّر والمغازي وكان هذا بداية تدوين التاريخ الإسلامي والتاريخ اتبع نفس طريق الحديث في تدوينه وحتى في الجمع من نفس رواة الحديث في سلسلة الإسناد .

واشتغل المسلمون بالتاريخ واهتموا بتأليف الكتب فيه فألف مؤرخوه آلاف الكتب عناوينها كانت دالة على محتوياتها مثل : قصص الأنبياء ، وسيرة الرسول ﷺ وهي مؤلفات عامة نجدها بعناوين « أخبار وسيّر ومغازي وتاريخ فتوح » ، ومعظمها مرتب على الحوليات أو الموضوعات ونجد عناوين لكتب الأنساب ، والتراجم والطبقات والوفيات معظمها ينظر في المواليد والوفيات .

أما فيما يتعلق بالعلوم العقلية أو البحتة والتطبيقية التي أطلق عليها العرب والمسلمين بعلوم العجم أو بالعلوم القديمة أو علم الأوائل والتي تشمل : الفلسفة وعلم النجوم ، والموسيقى والطب والكيمياء والتاريخ والجغرافيا فقد ظهرت متأخرة قليلا خاصة مع بداية

حركة الترجمة ، التي نشطت في أواخر القرن الأول الهجري ، الميلادي([76]) فلقد ترجم العرب تراث الأمم ، فأضافوا إليه كثيرا ، وجعلوا ما توصل إليه غيرهم مقدمة لأبحاثهم . فقد أبدعوا في بعض العلوم وكانت بواعث ذلك ما ثبته الدّين الإسلامي من حب العلم والعبادة، إضافة إلى تشجيع الحكام الذين أحبوا العلم وأكرموا العلماء على الإبداع كما أنّ الفتوحات الإسلامية كانت عامل التقاء بين الثقافة العربية وثقافات الشعوب التي دخلت الإسلام . فحاجة العرب إلى علوم ليست عندهم ، جعلتهم يقبلون على الترجمة ، فما أن استقرت الدولة العربية الإسلامية وازدهرت سياسيا واقتصاديا حتى اتجهت النفوس إلى الحركة الفكرية ، فترجمة الكتب الإغريقية والفارسية والسريانية ونقلت ذخائرها في العلوم إلى العربية . وبلغت الترجمة أوجها في عهد المأمون (198 هـ- 833 م) الذي كان يقبل الجزية كتبا ، ويدفع وزن ما يترجم ذهبا ([77]) . فكانت بذلك مكتبة بيت الحكمة في بغداد ، والجامع الأموي في دمشق ، والجامع الأزهر بمصر ، وجامع قرطبة في الأندلس، والجامع الكبير في صنعاء منارات للعلم يفد إليها الطلاب من كل مكان . وتخرّج منها عدد كبير من العلماء تميزوا بغزارة الإنتاج في العلوم و الفنون .

وتنقسم العلوم التي اشتغل بها العرب إلى علوم أصيلة وعلوم محدثة أو دخيلة كما سميّت عندهم ، فالأولى نشأت في ظل دولة الإسلام وعلى أيدي العرب أنفسهم ، أما الثانية فتلك التي نشأت خارج البيئة العربية ، ثم دخلت في بلاد الإسلام و طوّرها العلماء ([78]) .

عني العرب بكل العلوم المحدثة من طب ، وصيدلة وكيمياء و فيزياء وعلوم رياضية وعلوم الأحياء وعلوم الأرض وفلك وجغرافيا . ولكي يطّلع العرب على هذه العلوم كان أمرا طبيعيا أن ينقلوها من لغاتها الأصليّة إلى لسانهم العربي وأول نقل تم في عهد خالد بن يزيد بن معاوية (75 هـ- 704 م) ([79]) وحركة الترجمة هذه لم تتسع إلاّ في العصر العباسي وخاصة في عهد المأمون . فقد برز في ظل الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والعسكري ، علماء و مفكرون أبدعوا في شتى مجالات المعرفة منطلقين مما نقل من معارف الأمم

---

[76] مجموعة مؤلفين .الموسوعة العربية العالمية - ج 24 ، ط2b .- الرياض : مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر و التوزيع ،1999 .- ص 423.

[77] الموسوعة العربية العالمية ، ص 422

[78] الموسوعة العربية العالمية ، ص 423

[79] الموسوعة العربية العالمية ،ص 423

الأخرى التي أخذوها بحذر شديد بعد نقد وبحث عميق ، فصارت لهم طرقهم الخاصة التي تعتمد على التجربة والملاحظة التي اعتبروها حجر الزاوية لدراسة العلوم .

وقد كان دائما لأسلوب الجرح والتعديل الذي اتبعه علماء الحديث في تنقية الحديث وتمييز الصحيح من الموضوع أثر كبير في توجيه منهج العلماء المسلمين في البحث العلمي لذا نجد أن العلماء المسلمين في شتى ميادين المعرفة جعلوا البرهان دليلا وشاهدا ، ولم يكن تفكيرهم العلمي يختلف كثيرا عن المنهج العلمي الحديث . والأمثلة عن العلماء كثيرة نذكر مثلا جابر بن حيان شيخ علماء الكيمياء والحسن بن الهيثم وابن سينا والخوارزمي محمد بن موسى ، ويعقوب بن إسحاق الكندي وفخر الدّين الرازي وغيرهم ... ولهم مؤلفات عدّة في العلوم والفنون المختلفة .

7- خصائص المعرفة الإسلامية من خلال بعض المؤلفات:

لقد كانت المعرفة عند العرب المسلمين في أول عهدها معرفة بسيطة ، لا تتعدى الاهتمام بالعلوم الدينيّة معتمدة على النقل عن السلف ، وذلك لحاجة المسلمين الملحّة لضبط الشرائع ، لذلك كانت علوم كثيرة مهجورة ([80]) مثل الطب والكيمياء والجغرافيا .

وعند قيام الدولة العباسية وتأييد الشعوب المفتوحة لها ، توسعت المعرفة الإسلامية لأن الشعوب الموالية كانوا حملة العلوم . في رأي « ألسندر بوساني » ([81]) أنّ الجانب الأكثر أهمية يكمن في أصالة وتوسع المعارف العلمية ونشرها بين مختلف طبقات الشعوب . ولم يكن ذلك نتيجة التعميم في العالم الإسلامي بل الأمر لا يمكن التفكير به بهذا المنطق لكن كان ذلك بفضل نشر للكتابة المدونةّ في الإسلام والعالم القديم وفي الغرب الوسيط ، هذا ما خلق نوع من مجموعة قوانين متينة من المعارف العلمية التي أثرت طويلا في الثقافة الأوروبية فيما بعد وكذلك لأنّ العالم الإسلامي تبنى في وقت مبكر أضخم مؤسسة لترجمة المؤلفات السنسكرتية والسريالية واليونانية والفارسية ونفس الشيئ قامت به أوروبا في نهضتها أعادت ترجمت من اللغة العربية وكثيرا بواسطة العبرية ([82]) .

---

[80] ماجد عبد المنعم. تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.- [د .ط] .- القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، 1963 .- ص 147

[81] باحث إيطالي في الدراسات الإسلامية .

[82] Francesco Gabrieli, Giacomo E.carreto /Francesco Gabriel -.Histoire et civilisation de l'islam en Europe .arabe turc en occident du vii é aux xx é siécle.- paris : bordas ,1983.-p158.

بدأ التوسع عن طريق النقل والترجمة من علوم الأوائل كالفرس واليونان والهنود والمصريين ([83]) واقتصر في أول الأمر على ترجمة ما يلبي حاجتهم كالطب والرياضيات ثم شملت الترجمة جميع المعرفة المختلفة . فهذه المعرفة الإسلامية جاءت ، نتيجة تفاعل ثقافي مثمر لثقافات وشعوب مختلفة ، فكان فيهم العرب والفرس والروم والنصارى والهنود وغيرهم من الملل الخاضعة للدولة الإسلامية آنذاك في فارس وخرا سان وما وراء النهر والهند وفي المغرب والأندلس ، فهذا الامتداد الجغرافي والتنوع في العنصر البشري وتوجهاتها الفكرية والمنهجية .

فقد كان دور العرب والفرس غالبا عليها ، باعتبارهما العنصرين المحرّكين والموجهين لحركة الإبداع العلمي والمعرفي ، دون أن نغفل العناصر الأخرى الهندية واليونانية . وهذا التفاعل الفكري بين الشعوب الإسلامية قد أتى ثماره ، نتيجة لاتساع آفاق العلوم الإسلامية نفسها التي سارت في خدمة العقيدة والثقافة الدينيّة من حديث وفقه وعلم كلام وتفسير ولغة ونحو وصرف وأدب وتاريخ وغير ذلك .

هذا ما أكسب المعرفة الإسلامية صفة الثقافة الشاملة والمتعددة المعارف ، كما أكسبها طابعا إنسانيا يستند إلى التنوع المعرفي الخاص استجابت لحاجات الإنسان ومتطلباته ، وهذا ما جعل مواهب العلماء المسلمين تتعدد معارفهم وتتنوع؛فقلما نجد عالما مسلما اكتفى بصنف واحد من المعارف فمعارف التاريخ والأدب والفنون تتداخل مع معارف الجغرافية والمسالك والطب والجراحة والاستشفاء مرتبط بالفقه والفلسفة والرياضيات والفلك والعلوم الدينّية تتداخل مع الجبر وعلم البصريات والكيمياء والعلوم الطبيعية . تعدّد مؤلفات العلماء المسلمين واتساع بحوثهم ، فقد احتوت مؤلفاتهم البحث في كل ما أنتجته قريحة الإنسان في تلك الفترة الزمانية ، من الطبيعيات والإلهيات والعقليات والرياضيات ودعت أبحاثهم الواسعة إلى التشعب والتفرع في العلوم ، وبأنواعها العامة والمتخصّصة ، حتى اعتبرت من الكتب الموسوعية الضخمة وعدّت بالعشرات وحتى الآلاف .

إن المعرفة الإسلامية عرفت توسعا كبيرا واصطبغت بعلمية خاصة والدليل على ذلك الكم الهائل من الإنتاج المعرفي في كافة المجالات المعروفة وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى المؤلف « ناصر رمضان » صاحب كتاب « الاتصال العلمي في التراث الإسلامي»

---

[83] المرجع نفسه.تاريخ الحضارة الإسلامية .- ص 148

الذي قام بتحليل لكتاب الفهرست« لابن النديم » ويمكننا الاعتماد على تحليله لأنة قاس حجم النشاط العلمي الذي شهدته القرون السبعة الأولى للهجرة من خلال عنصرين المؤلفون والإنتاج الفكري بالنسبة لعدد المؤلفين الذين عاشوا خلال هذه الفترة حسب تخصصاتهم فقد بلغ 7188 مؤلفا من بينهم(47 %) تخصصوا في العلوم الشرعية (الفقه – الحديث – القرآن) ، بينما بلغ عدد المتخصصين في اللغة العربية و آدابها(42 %) (الشعر– اللغة – النحو– الأدب– الخطابة) وبلغ عدد المتخصصين في الجغرافيا والتاريخ(10 %) .

أما عدد المؤلفين في العلوم العقلية فبلغ 1210 مؤلفا في مجالات الفلسفة والطب، والرياضيات ، والفلك ، الموسيقى ، الكيمياء ، النبات والحيوان([84]) .

أما من حيث مضمونها كانت تعبيرا صادقا عن حاجات المجتمع الإسلامي الذي يقوم على أساس العقيدة عبادة وسلوكا وقيما فكان المسلمون يعتبرون الإسلام المقياس الذي يرون به الأمور وهذا ما ساعدهم على تكوين مراجع تسند إلى النصوص الدينيّة، فكانت العلوم الفقهية أساسا لشرح مبادئ العقيدة وعلوم اللغة مرجعا لفهم نصوصها ، والتاريخ بتعدد فروعه نابع من الحاجة إلى تفسير الأحداث المرتبطة بأمور الدّين سواء ما كان له علاقة بسيرة الرسول... أو بالقصص القرآني ، كما أنّ علوم الفلك والهيئة والجغرافية دعت الحاجة إلى ضبطها ، كما أنهم أثروا جوانب عديدة من المعرفة الإنسانية التي اقتبسوها بملاحظتهم وشروحاتهم([85]) وتصحيحا تهم ولذلك كان اقتباسهم للتراث الهلنستي ومحاولة الاستفادة منه .

والملاحظ على المؤلفات الضخمة أنها تحتوي على مواضيع متنوعة مختلفة ، فالعقد الفريد كتاب في الأدب ، لكنه يحوي معلومات كثيرة في الشعر والعروض والأخلاق والتاريخ ومعجم ياقوت الحموي موضوعه الأصلي في الجغرافية لكنه يشمل فوائد ذات شأن في تاريخ العرب وآدابهم في الجاهلية وأوائل الإسلام وغيرها من سائر كتب التراجم والتاريخ المطولة ، ومن هذا القبيل الكتب الطبية كالشفاء لابن سينا ، فإنه عبارة عن قاموس جامع لشرح فنون الطب كالتشريح والفيسيولوجيا والباثولوجية والنبات والصيدلية وغيرها ، وقد يجمع الكتاب الواحد موضوعات متباعدة ، ككتاب حياة الحيوان للدميري ، فإن موضوعه علم الحيوان ولكنه حوى كثيرا من التاريخ والأدب والأخلاق والطب والصيدلية

---

84 أحمد تمراز. الاتصال العلمي في التراث الإسلامي.عن مجلة « دراسات عربية في المكتبات و علم المعلومات» س1،ع1 ،يناير 1996 .- ص ص 197- 204

85 سعيدوني ناصر الدّين . أساسيات منهجية التاريخ - الجزائر دار :القصبة، 2000 ، صص 151- 152

النبات والكشكول كتاب في الأدب والحكم ولكن فيه مقالات وفصول في فنون متناقضة كالجبر الهندسة والمنطق ، النجوم الفلسفة اللاهوت الفقه والحديث وغيرها ([86]) .

وهذا ما أكسب المعرفة الإسلامية طابع المعرفة المتكاملة والشاملة التي يمكن الإحاطة بجوانبها لمعالجة أحد العلوم وإنما يقتضي ذلك ثقافة موسوعية تجمع تصور عام لواقع المجتمع وحاجاته الفكرية المختلفة .

وخلاصة لكل هذا يمكننا القول أنه إذا كانت بداية المرجعية العربية الإسلامية الممثلة في المصنفات والمساند أو الكتب في علوم الحديث ومصطلحاته التي ألفها علماء اجتهدوا في ترتيبها وتبويبها بطرق ومناهج مختلفة من أصحاب الكتب الستة إلى البغوي السيوطي وضعوا شروحات لكتبهم بمثابة المعاجم مثل : شرح ابن حجر العسقلاني وغيرهم كثيرون المجال لا يسمح لذكرهم،واهتموا أيضا بتوثيق مراجعهم وعرفوا البيانات التوثيقية البيبليوغرافية بطرقهم الخاصة ، من الإسناد وعلامات اقتباس وإجازات وتعليقات وقراءات وكل وما لازم عملية توثيق المعلومات، تساعدهم في الاعتماد على مراجع ، وهذا يمكن أن يتبينه المتتبع للنتاج الفكري المخطوط ، يجد أن هذه الإستشهادات أو ذكر المؤلفين للمصادر التي اعتمدوا عليها في تأليف كتبهم قد مرت بمراحل ثلاث . « فقد اعتمد المؤلفون في أولها بطريقة الأسانيد لبيان مصادر المعلومات التي يستشهدون بها ، وفي الثانية جنحوا إلى اختصار هذه الأسانيد أما في المرحلة الثالثة فقد أهملوا ذكر الأسانيد في أحيان كثيرة ، ومالوا على ذكر عناوين الكتب أو المستشهد بها وأسماء مؤلفيها» ([87]) .

وما يمكننا قوله أيضا على هذه البيانات البيبليوغرافية ، أنها تبدو مشابهة في كثير منها إلى حدّ ما لما هو معمول به ولو من الناحية الشكلية في وقتنا الحاضر. لأنهم استعانوا بطرق بيانات إما لتوثيق معلومة ما ، أو للتحقق من مرجع ما على أنه الأصلي أومن أن صاحب الكتاب ، أملى أو نسخ له المرجع . وهذا كله فقط لتبين أهمية وجود هذه المراجع الأولية المؤلفة من المصادر القديمة النشأة والقيّمة المنهج وعليه يمكننا أن نلخّص القول بأنّ مراجع القرن الثالث وما يليه والتي بدأت بالجمع والحفظ والتدوين بكل مراحله وحيثياته الأولية ، من خلال هذه المراجع التي ظهرت وكانت ولازالت تمثل المنبع الأساسي للتعرف على مضمونها وخصائصها وبالرغم من أنها كانت تختص أو تركزّ على العلوم الدينية وما

---

86 جرجي زيدان .*تاريخ التمدن الإسلامي*- ج 3 بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ،1967 - ص 191 .

87 أحمد تمراز. «لاتصال العلمي في التراث الإسلامي»،س1،ع1 ،يناير 1996 .- ص 198 .

يحيط بفضائها وهذا للضرورة الحتمية الشرعية ، إلاّ أنها حملت بين طياتها معلومات اختلفت محتوياتها .

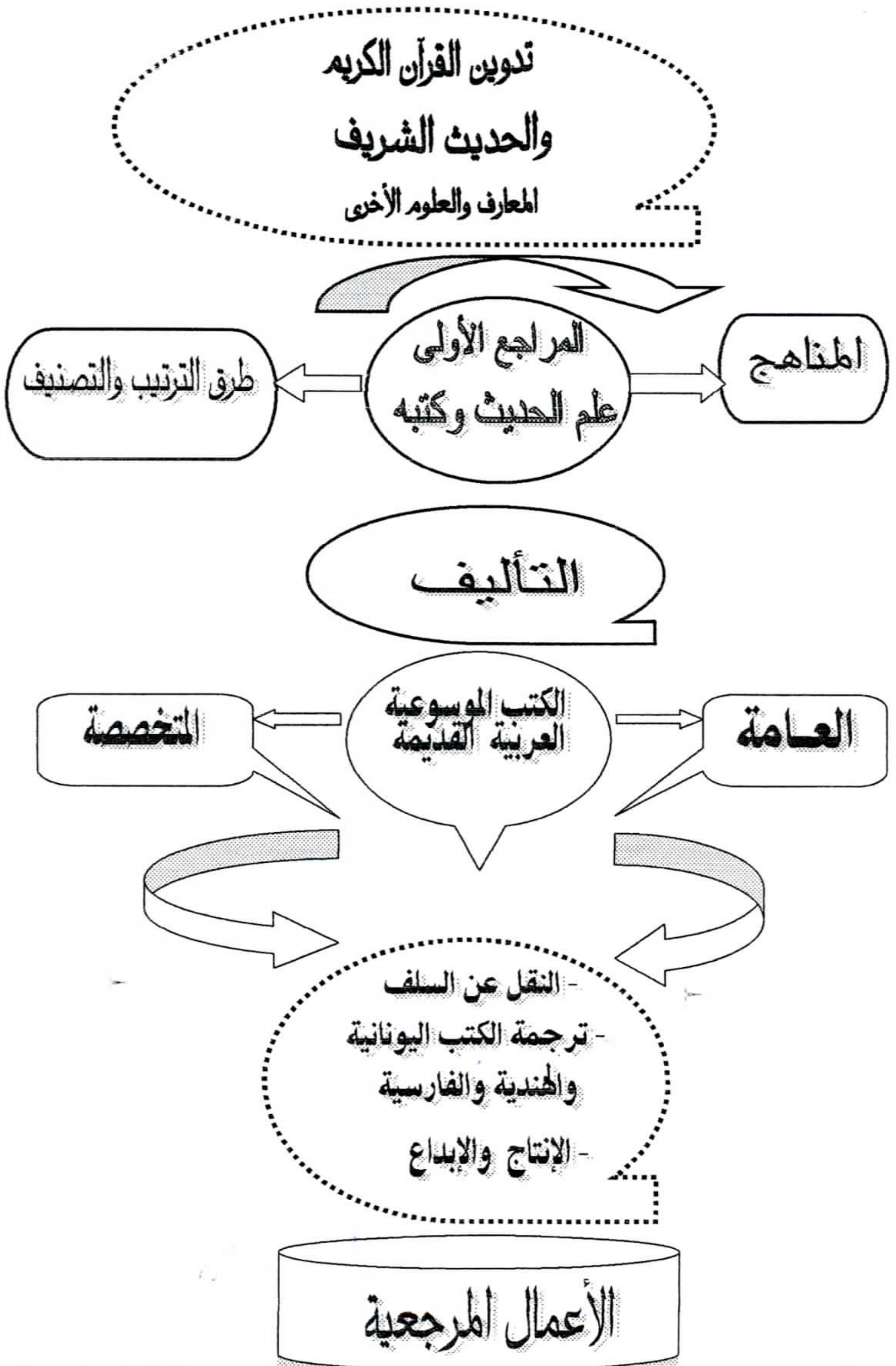
وحتى تكتمل نظرتنا على هذا النوع من المراجع ، فإننا إذا ألقينا النظر بتفحص وتمعن، نجدها ومن الوهلة الأولى أنها أخذت صبغة الشمولية ، نلاحظ من خلال بحثنا هذا كيف أنّ مؤلفي المراجع ، بدءوا بجمع أشتات المعلومات الخاصة بالحديث ومصطلحه وكيف كان ترتيبها والمناهج المتبعة لديهّم التي حاولوا عن طريقها تقويم مراجعهم من جهة وتسهيل البحث فيها من جهة أخرى ، وبطرق علمية نابعة من معطيات العصر الفكرية . فهي إذن لم تنشأ بمجردّ صدفة بل كانت ثمرة جهود كبيرة وكثيفة من قبل علماء أجلاّء لا يستهان بها واحتياجات معرفية هامة، وأيضا انطلاقا من الحاجة إلى ترك أثر بوضع مرجعية علمية معرفية خاصة بهم ، دقيقة ذات منهجية علمية بوسائل بحث وطرق توثيق محكمة ، وبترتيب وتصنيف مّميز

فبالرغم من كونها نتاج أولي ، لمراجع تلك الحقبة الزمنية أي القرون الهجرية الأولى فقط ،إلاّ أنها تميّزت وتفردّت بخصائص، فهي المصدر الأصل الذي نهلت منه المراجع اللاحقة وغرفت من ينابيع تأليفها كما اعتمدت عليها كليّا وبطرق متعددة مختلفة فيما يتعلق بترتيب الفهارس لديّها تسهيلا لعملية البحث عن معلومة ما. ومنها كان الأخذ والتطبيق فيما جاء بعد ذلك من مراجع ومن تم كان الإبداع في التصنيف.

ولا يسعنا إلاّ أن نقول في هذا المقام بأنّ هذه الأعمال حقيقة مهدت بل فتحت الطريق وحتى أنها سهلته لأنه بتوسع المعارف وظهور علوم أخرى وكثرة النتاج المعلوماتي وانتشاره بين الأوساط المثقفة في ذلك الوقت ، كان لها الدور الإيجابي والفعّال على هؤلاء المؤلفين فقد استطاعوا هم كذلك أن ينجزوا أعمالا كثيرة وضخمة عرفت بالكتب الموسوعية، من طراز عربي إسلاميّ أصيل المنبع هذا ما سوف نعالجه من خلال الكتب الموسوعية العربية القديمة العامة باعتبارها مصدرا للمعلومات العامة.

ويمكن تلخيص مسيرة المرجعية العلمية انطلاقا من تصورنا الخاص لهذه الدراسة في الشكل البياني التالي:

مسيرة المرجعية العلمية العربية:



الفصل الثاني

الكتب الموسوعية العربية
مصدر للمعلومات العامة

لقدعرف المثقفون العرب الأوّلون ابتداء من النصف الثاني من القــرن الهجـري توســعا وتشعبا في المعارف والعلوم ، لأنّ التشعب والتوسع كان نتاج حركة علمية شارك فيهــا كــل من كان على أرض الإسلام.فنتج عن ذلك تأليف موسوعي استجاب لحركة الفكر والمعرفة عند العرب والمسلمين هدفه بالدرجة الأولى : تقديم ونشر معلومات هذه المعارف الإنسانية بشكل أوسع .

ولما كانت المعلومات التقنية ([1]) والفنية ([2]) علامــة مميزة للموسوعــة وشاملة لكل مـا يمس الفكر والمجتمع الإسلامي من خلال كتب موسوعية فإنّنا نجدها عند ابن قتيبة في«عيون الأخبار» وعند الجاحظ في « البيان والتبين » والأصفهاني في أغانيه تتضمن معلومات ثقافية أدبية عامة والمعلومات الأخرى الخاصة بالتصنيف المعرفي للعلــوم نجــدها عنــد غيــرهم كالفارابي في إحصاء العلوم وابن سينا في « أقسام العلوم العقلية » إضافة إلــى المعلومــات البيبليوغرافية المعروفة عند ابن النديم في «الفهرست» وحاجي خليفة في« كشف الظنون» .

وهذه المعلومات مجتمعة قدمتها الكتب الموسوعية العربية والإسلامية منذ بــدايتها مــن الكندي ثم ابن النديم إلى غاية القرن الثامن عشر ميلادي عند حاجي خليفة ورياضي زادة إنما هي في الواقع معلومات يحتاج إليها كل مثقف متخصص وغير متخصص يرجع إليها لأنهــا تعكس ما كان يعتمل داخل المجتمع العربي من نشاط علمي ثقافي ديني فني سياسي وكل مــا تعلق بالاتصال المعرفي والعلمي آنذاك .

وهل كان ذلك بغرض نشر المعرفة كما هو الحال بالنسبة للموسوعة الغربية أم لمسألة أخرى ؟ فالموسوعة من الناحية البنائية تتبع أسلوبا معينا في الترتيب لا يخرج عن إحدى الطريقتين : الترتيب الألفبائي أو الموضوعي . فما هي الخلفية الفكرية والفلسفية التي أدت بالكتّاب إلى تأليف هذا النوع من الكتب الموسوعية ؟

فما الدافع الذي أدى بابن قتيبة إلى تقسيم عمله إلى عشرة أجزاء في «عيون الأخبار» أو القلقشندي الذي قسم هو الآخر كتابه « صبح الأعشى » إلى مقدمة وعشر مقالات. ثم إنه سبق إلى هذا التقسيم العشري عدد من الباحثين في مجالات أخرى من الحضارة الإسلامية حيث يظهر ما هو معروف عند ابن سلام الجمحي في دراسته للشعر العربي القديم خلال القرن الثالث الهجري . مع العلم أنّ هذا التقسيم والترتيب الذي عرفه هؤلاء ، ظهر مؤخرا

[1] تقن : أتقن الأمر : أحكمه .انظر المنجد في اللغة والإعلام .- ط21 .- بيروت : دار المشرق ، 1991 .- ص63 .
[2] فن :فنا الشيء : زينه . تفنن الشيء : تنوعت فنونه في الحديث أوفي عمله . المرجع نفسه .- ص 596 .

عند الباحثين الهنود ثم الأوروبيين في القرن التاسع عشر ميلادي ما يعرف بتقسيم ديوي العشري Dewey [3] .

فإذن التقسيم أو البناء القائم على الأجزاء العشرة ليس غريبا على الفكر العربي الإسلامي آنذاك فماهي الكتب الموسوعية العامة ؟ وفيما تتمثل خصائصها من الناحية الشكلية والضمنية وما ظاهرة الموسوعية بكل حيثياتها في عملية الكتابة والتأليف في هذا المجال وأين تكمن أهميتها ليجعل منها مصدرا لمعلومات فريدة وغنية في محتواها ومتنوعة في مواضيعها ؟

1- تأليف الكتب الموسوعية العربية القديمة :

لقد شهدت الحضارة الإسلامية في القرون الهجرية : الثالث والرابع والخامس وما بعدها حركة في التأليف الشامل عكست نبوغ المؤلف العربي ، وأظهرت محاولاته المبكـرة نحـو تأليف الموسوعات فأخذت الكتابات العربية الإسلامية في كل فروع العلم تأخذ شكلا موسوعيّا وإن كان منهجها في الترتيب مختلفا عن الموسوعة الحديثة [4] فكتاب الأغاني لأبـي الفـرج الأصفهاني الذي تقوم مادتّه على جمع الأغاني المتميزة في عصره والعصور السابقة له يعد مرجعا أساسيا للشعر العربي وللحياة في الجاهلية و العصور الإسلامية ، وابن قتيبة الذي كان من الأوائل في وضع مرجع موسوعي عربيا هو كتاب عيون الأخبار، جمع فيه شتى المعارف وقسمه إلى أبواب مقرنا الباب بمثله ثم جمعها في عشرة كتب:كتاب السلطان ، كتاب الحرب، كتاب مخايل السؤدد ، كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة ،كتاب العلم والبيان ،كتاب الزهـد ، كتاب الإخوان ، كتاب الحوائج ، كتاب الطعام وقليل من طب العرب والعجم والعاشرهو كتاب النساء [5]. وقد عاصره الجاحظ الذي صنف كتابه البيان والتبيين ، وهو أحد أوائـل الكتـب الموسوعية . وفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وضع إخوان الصفا وخلان الوفـا « موسوعة » حاولت التوفيق بين المعرفة العربية الإسلامية والمعرفة الإغريقيـة ، سـميت برسائل إخوان الصفا ، و الأمالي لأبي علي القالي وهو مرجع ضخم يشمل علوم اللغة والأدب

[3] Annie BETHERy , Abrégé de la classification décimale de dewey.- .nouvelle Ed.-Paris Ed: cercle de la librairie ,1990.p.

و تقسيم أو تصنيف ديوي العشري هو نظام وضعه مليفل ديوي (Melvil Dewey) قسم فيه المعرفة بحيث يمكن تطبيق هذا التقسيم على الكتب إلى عشرة أقسام رئيسية ، أو عشرة فصول classes وهي الفلسفة – الديانات –العلوم الاجتماعية – اللغات – آداب اللغات - العلوم البحتة- الفنون النافعة – الفنون الجميلة– التاريخ والجغرافيا – ثم المعارف العامة ،ثم عاد فقسم كل فصل من هذه الفصول العشرة إلى عشرة أقسام ، ثم قسم كل قسم إلى عشرة أبواب ، ثم كل باب إلى عشرة فروع ، وهكذا حتى يصل في تقسيمه إلى الحدّ الذي لا يحتاج بعده إلى أي تقسيم. خالد الحديدي . فلسفة علم تصنيف الكتب .- القاهرة : مكتبة النهضة ،1969. ص154

[4] مجموعة مؤلفين.الموسوعة العربية العالمية .- مج24 - ط2b ، الرياض : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ،1999 .- ص 434 .

[5] أبي عبد الله بن مسلم بن قتيبة .عيون الأخبار .- مج 2/1.- بيروت : دار الكتب العلمية ،1998 .- 882 ص

والنحو والصرف ، وكذلك ألفّ المقدسي كتابه الموسوعي ، «البدء في التاريخ» وذلـك فـي القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) . والقرن السّابع الهجري ظهرت مصـنفات موسوعية أخرى عديدة من«نهاية الأرب في فنون الأدب» في ثلاثين مجلدًا لمؤلفه أحمد بـن شهاب الدين النويري . أما مؤلفنا أحمد بن علي القلقشندي فقد صنف موسوعته« صبح الأعشى في صناعة الإنشا» في (القرن التاسع الهجري-الخامس عشر ميلادي) .

2-1 أنواع الموسوعات:

الموسوعة أصبحت كتاب مرجعي بكل ما للكلمة من معنى ، للعلم أن الكتاب الذي نطلّع عليه في موضوع معين ،مفهرس بطريقة ألفبائيا ،وهذا الترتيـب معتمـد عليـه فـي كـل الموسوعات الحديثة المتعددة والمتنوعة . فبعضها يتقرب من القاموس مع عدد مهم من مداخل المقالات بشكل مختصر.بعكس الموسوعات التي تركّز على حصر الموضـوع مـع توسـع وتبسّيط للمقالات .-أما القواميس الموسوعية الحديثـة والموسـوعات مثـل المنجـد الكبيـر العالمي(6) Le grand Dictionnaire universel du xixé siécle de pierre larousse. يوّضـح مبـد الأبواب الصغيرة. أما الموسوعات فهي تحتفظ دائما بمزج المنوغرافيات مع مقالات تحليلية(7)

3-1 تعريف الكتب الموسوعية :

إنّ البيبليوجيا أو علم الكتابة هو مجال يتطرق لجانب من جوانب وسائل الاتصال العلمـي ويتمثل ذلك خاصة في الكتاب كمادّة معرفية له دور مهم في توصيل المعارف ، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه مهما تطورت تكنولوجيا الكتاب ، « فهو إذن ذاكرة اصطناعية ووعـاء مـادي للقراءة ، يتميز بالمرونة والمتانة ، والديمومة ،وجد ليكون محتواه محفوظـا سـواء أكانـت معلومته حديثة الإنتاج ، أو غير مجدّدة وله مقاييس مقننة »

أما طريقة إنتاجه فتكون في سلسلة وبضع مئات أو آلاف النسخ ثمنه غير مكلف كثيرا ويمكن حمله بدون جهد عضلي إضافي إلى سهولة ترتيبه على رفـوف المكتبـات ذات قيمـة » (8) عظيمة « ويعدّ الكتاب المنوغرافي(9)(Monographie) من بين الوسائل العديدة والكثيرة التي تكّون البيئة العلمية الإنسانية فإن له مكانة جدّ خاصة ، وظيفته الأولى هي إيصـال محتـوا

---

6 لم نجد قاموس عربي بنفس المعطيات، لذا وقع اختيارنا على هذا القاموس كمثال فقط لنوضح به الفرق .

7 Encyclopédie encarta. « Encyclopédie».-support CDROM.1999.p3.

8 Moles Abrahams, Claude zeltman. La communication. Dictionnaire du savoir moderne.-paris .Ed : la presse des petit fils de léonard donel,1971.- p368

9 الكتاب المنوغرافي هو الكتاب الذي يعالج موضوعا موحدا ويصدر سنويا لا يخضع للنشر الدوري عكس الدوريات

اللغوي مثل باقي الوسائل المستخدمة[10] . فهو وسيلة من الوسائل الحديثة للتعلم لأنّ الكتابة تبقى صيرورة ذلك التواصل الأكثر إنتاجا ونفعا» ([11]) .

أولا وقبل كل شيء علينا تعريف مبسط لكلمة موسوعة ، هي كلمة يونانية الأصل (Egkulopardia) هو كتاب يعرض فيه وبطريقة ألفبائية مجموعة من المعارف الإنسانية أو الخاصة بميدان من الميادين ([12]) . فالقواميس والموسوعات الأوروبية تعرّف الكتب الموسوعية على أنها تلك الكتب والأعمال العلمية والفنية الشاملة التي تهدف بالدرجة الأولى إلى تقديم ونشر معلومات أوسع ما يكون عن المعارف الإنسانية المتنوعة

والفرق بين الموسوعات والكتب الموسوعية هو : أنّ الموسوعة يشترك في تحريرها عدد ضخم من المؤلفين المتخصصين ، يعالج كل منهم موضوعا أو أكثر في مجال تخصصه وترتب المقالات ترتيبا هجائيا يساعد الباحث على الوصول إلى ما يريده بسهولة ويسر .

أما الكتاب الموسوعي فهو الذي يؤلفه فرد واحد ويعالج فيه ألوانا مختلفة من المعارف بحيث يصعب تصنيفه تحت علم من العلوم أو موضوع من الموضوعات[13] . وهو لا يفتت المعرفة إلى أجزاء بالترتيب الهجائي في عرض موضوعاته ، وإنما يتناول موضوعات واسعة يقسم كلا منها إلى أقسام صغرى متخذا الوحدة الموضوعية أساسا في كل قسم من تلك الأقسام بصرف النظر عن الترتيب الهجائي[14] وهو أيضا وعاء مرجعي وتّعرف على أنها : تلك الكتب التي تملك من طبيعة التنظيم ومن المعلومات ما يجعلها غير صالحة لكي تقرأ من أولها إلى آخرها ككيان فكري عام مترابط ، لكنها تصلح ليرجع إليها الباحث أو القارئ بشأن معلومة أو معلومات معينة([15]) .

---

[10] Encyclopédie universalis. «livre».in universalis. vol.10.-Paris.Ed :s.a ,1980.-p21.

[11] Françoise Richaudeau. . « Le livre encyclopédique comme outil moderne d'enseignement » in Schéma et schématisation revue de bibliologie n°29 4ème trimestre, 1988.- paris .Ed :société de bibliologie .p68.

[12] Encyclopédie encarta.« Encyclopédie» in support CDROM.1999.p1

[13] عبد الستار الحلوجي . مدخل لدراسة المراجع - القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ،[– 19] -ص 29 .

[14] المرجع نفسه . مدخل لدراسة المراجع - ص 31

[15] سعد محمد الهجرسي .المراجع ودراستها في علوم المكتبات - القاهرة : جمعية المكتبات المدرسية، 1977 - ص 19 .

4-1 مميزات الكتابة الموسوعية العربية:

لقد مرت الكتابة الموسوعية العربية من الناحية الكرونولوجية[16] بثلاث مراحل هامّة هي:

- **المرحلة الأولى :**

الكتابة الموسوعية نمّت في فترة ازدهار الثقافة العربية الإسلامية ، أي من القرن الثاني للهجرة إلى غاية القرن الخامس الهجري (الثامن والحادي عشر ميلادي) . وكان يمثلها قادة الفكر والعلم والأدب أمثال : الفارابي الجاحظ وابن النديم وابن قتيبة والمبرد وغيرهم وكان التأليف عندهم ، وبالشكل الموسوعي من الضرورات التي أملتها ظروف العصر الذي كان يتجه نحو العلمية والمنهجية .

- **المرحلة الثانية:**

وهي التي أتت بعد تعرض التراث العلمي والفكري والأدبي الإسلامي إلى الهجمات والتدمير سواء من قبل التتار والمغول أومن قبل التناحر والاقتتال والحرب بين المسلمين أنفسهم ، كما هو الشأن عند القلقشندي في صبح الأعشى أو عند النويري في نهاية الأرب[17] ومن أهم مميزاتها من الناحية الموضوعية ، يمكن القول أنها تقع في أربعة أنواع رئيسية هي:

- **النوع الأول :**

ويتضمن الكتب الأدبية العامة ، التي تحاول طبقا لما كان معروفا من فنون عصرها أن تجمع فنون الأدب المختلفة من شعر ونثر وأمثال ، بالإضافة إلى محاولة إعطاء صور صادقة عن الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية للإنسان العربي ، كما هو الحال عند الجاحظ في البيان والتبيين أو الأصفهاني في الأغاني وغيرها من كتب هذا النوع.

- **النوع الثاني:**

ويشمل المؤلفات البيبليوغرافية ، التي تعتني بالتعريف بالمؤلفات والمؤلفين كما نرى ذلك عند ابن النديم في « الفهرست » وطاش كبري زادة في «مفتاح السعادة» وحاجي خليفة في « كشف الظنون » وهي لم تكتف بالتعريف بالكتب والمؤلفات وتبويبها فإنها قد تعدّت ذلك جزئيا إلى التصنيف والترجمة أيضا .

---

[16] محمد صاحبي .محاضرات حول حركة الموسوعيين ، 2000 .- صص 4 – 5

[17] سعود بن عبد الله الخزيمي . المراجع العربية دراسة شاملة لأنواعها العامة و المتخصصة .- الرياض : الإدارة العامة للبحوث - 1987 - ص71 .

- النوع الثالث:

وهي تلك التي تهتّم بتبيّان حدود المعارف وتصنيفات العلوم ورصد مجالاتها وموضوعاتها . ويقع في هذا النوع عدد لا بأس به من المؤلفات ، مثل إحصاء العلوم للفارابي ، وأقسام العلوم العقلية لابن سينا وحدائق الأنوار وحقائق الأسرار لأبو بكر بن زكريا الرازي« موسوعة العلوم لعبد الرحمن البسطامي» . وتتميز عن غيرها في أنّ واضعيها من الفلاسفة والمفكرين البارزين الذين كان لهم إنتاج ضخم في حقل الحكمة والمعرفة .

- النوع الرابع:

فهو الخاص بالكتب الجامعة الموسوعية التي تشمل على معلومات أو مختصرات للمعارف والعلوم والممارسات الثقافية الاجتماعية،وتم ترتيب موضوعاتها وفق الترتيب الألفبائي أو الموضوعي . ويأتي على رأس هذا النوع من الكتب الجامعة كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ورسائل إخوان الصفا والمواعظ والاعتبار والآثار للمقريزي وغيرها ([18]). هذا عن أنواع هذه الموسوعات التي تدخل ضمنها أيضا بعض المعاجم الموسوعية التي تهتم باصطلاحات العلوم«كمفاتيح العلوم لمحمد بن يوسف الخوارزمي» وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد بن علي التهانوي والجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار وغيرها وهذا النوع هو موضوع دراستنا في الفصل الموالي .

المرحلة الثالثة :

وهي التي عرفت المؤلفات الموسوعية المهتمة باختصارات العلوم والمعارف والكتابة عن الكتب أوالبيبليوغرافيا المصطلح المعاصر كما هو الحال عند التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون وطاش كبري زادة في مفتاح السعادة وأسماء الكتب لرياضي زادة ولقد تمت في أغلبها بعد القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي .

5-1 خصائص الكتب الموسوعية :

5-1-1 طريقة تنظيم الكتب الموسوعية :

أما فيما يخصّ طريقة ترتيب المواد والموضوعات وبنائها ، فقد روعي في ترتيب موادها وموضوعاتها إحدى الطريقتين : إما المنهج الموضوعي ، وذلك بتقسيم العمل الموسوعي على أبواب رئيسية وتقسم كل باب إلى مباحث وفصول فرعية كما هو الشأن عند ابن قتيبة في عيون الأخبار أو الطريقة الألفبائية ، مثلما هو الأمر عند« الموسوعيين» البيبليوغرافيين من

[18] سعود الخزيمي . المراجع العربية دراسة شاملة لأنواعها ،ص 71

أمثال«حاجي خليفة» على أنّ الطريقة الأولى الموضوعية كانت هي الغالبة([19]) . أما مسألة التأليف الجماعي للموسوعة ، التي هي خاصية من خاصيات الموسوعة الأوروبية الحديثة فيمكن القول بأنها كانت نادرة الوجود ولم يعرف في ذلك إلاّ إخوان الصفا في رسائلهم .

6-1-1 التخصص والتبسّط :

يعتبر التخصص والتبسّط في عملية الكتابة والتأليف ظاهرة معروفة لدى الحضارات القديمة اليونانية والرومانية ، والمثقفون المسلمون الأولون لم يبتعدوا عن هذه القاعدة .

يرجع أمر التبسط أو « السعة » في ذلك إلى نوع من «الانفجار في المعلومات» وتعددّ في المواضيع . وكما يشير إلى ذلك « فرانتز روزنتال » في مناهج العلماء المسلمين في البحث « أنّ حملة الأدب والعلم كانوا يدركون أنّ هنالك اختيارا بين أسلوبين التخصص والتبسط ويأتي بمثالين عن ذلك ، هما الجاحظ الذي كان يحبذ التبسط بدل التخصّص ، والكاتب المتخصص «أبوبكر الصولي » . فقد جاء عن الجاحظ قوله : إنّ لكل شيء من العلم نوع من الحكمة وصنف من الأدب سببا يدعو إلى تأليف ما كان فيه مشتتا ، ومعنى يحدو على جمع ما كان متفرّقا ، ومتى أغفل حملة الأدب وأهل المعرفة تمييز الأخبار واستنباط الآثار وضم كل جوهر نفيس إلى شكله وتأليف كل نادر من الحكمة إلى أهلها بطلت الحكمة وضاع العلم([20]) . ونستنتج من ما ورد من الجاحظ أنه كان يعتبر جمع المعلومات والحقائق والأخبار المتنوعة من الأعمال الجليلة . وهذا تقريب العلم والمعرفة للناس حتى يتسنى للمتخصص ولغير المتخصص الإلمام بها .

وعلى عكس هذه النظرة الواسعة للأشياء ، ينظر الصولي إلى التبسّط نظرة تكاد تكون مناقضة للأولى ويظهر ذلك من خلال قوله : «رأيت أعزك الله أكثر المتحلّين بالأدب في زماننا هذا على خلاف ما عهدت عليه القدماء الماضين و العلماء : يطلب الرجل منهم فناً من فنون الأدب فيقسم له حظ فيه وينال درجة منه ، فلا يرى أن اسم العالم يتمّ له ولا أن الرياسة تنجذب إليه » . ([21]) وفي وصف الصولي هذا نقد واضح لاتجاه عصره الذي يتجه نحو الموسوعية والتبسّط في العلم ، وهو الأخذ من جميع العلوم بطرف لفهم الإنسان .

ومن خلال هاتين النظرتين المختلفتين ، نتبين أن التنوع كان سمة من سمات العصر الثقافية وبصفة خاصة بعد القرن الثالث الهجري . أي القرن الرابع الذي يقول عنه آدم ميتز

[19] المرجع نفسه . المراجع العربية دراسة شاملة لأنواعها ،ص 71

[20] فرانتز روزنتال .مناهج العلماء المسلمين.- بيروت: دار الثقافة ، 1980 .- ص 164 .

[21] المرجع نفسه ، ص 165

« لقد صدر فيه الأدباء الذين نشأوا حول الخلفاء وفي قصورهم وتعلموا الأدب على تقاليد الفروسية أدباء من طراز جديد ، يلمون بكل شيء ، ويشبهون في عصرنا بالصحفيين غير المتخصصين الذين يتكلمون في جميع الأمور ولهذا نجدهم يفرقون بين الأدباء والعلماء »وحتى ابن قتيبة قال : « من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون أديبا فليشـ في العلوم » ([22]) . غير إنّ العشرات ممّن عرفوا بطابع كتاباتهم الموسوعية مثل الجاحظ وابن قتيبة والقلقشندي وغيرهم مشهود لهم بغزارة العلم فكانوا شيوخ عصورهم ، بل إن أعمالهـ التي سوف نلقي نظرة عليها اتصفت بالدراسة العملية ومن تنظيم المعارف ، وعناية في تأليفه وقد أنجزوا كتبا ينّم عن أصالة في التفكير وابتكار في المنهج([23]) . فقد شهد مثقفو هذا العصر حركة موسوعية كبرى بحيث كان لها دور فعاّل في نشر معرفة امتدت آفاقها إلى يومنا هذا .

2-1 أهمية الكتب الموسوعية العربية القديمة :

لقد أسهم التأليف الموسوعي العربي الذي كان استجابة لحركة الفكر والمعرفة السياسـي والاجتماعي ، في تطوير التأليف الموسوعي الحديث والأوروبي منه على وجه الخصوص وهذا بشهادة العديد من الباحثين والمستشرقين الموضوعيين المرموقين ، مثل « كـارل بروكلمان» واضع أهم بيبليوغرافيا عن الإنتاج العلمي والأدبي العربي الإسلامي . وحتى وإن لم تتميز الموسوعة العربية بما تميزت به مثيلاتها الحديثة من حيث التنظيم المحكم والتصنيف الدقيق والتصحيح الدوري للمعلومات التي تقدمها فإنها قد اشتركت معها على الأقل في الأهداف المرجوة من الموسوعة وهي : الاتساع والدّقة والإنسانية (*Humanisme*) ([24]) وعلينا أيضا أن نذّكر بأننا بصدّد دراسة نوع معين من الكتب الموسوعية ، لها ميزتها الخاصة وطابعها المتفرد قد تصعب المقارنة بين « الموسوعة » العربية والأخرى الغربية.

وإذا أردنا تطبيق هذا المبدأ العام المعاصر على « الموسوعة العربية » فإنه كان بهدف تقديم ونشر معلومات عن المعارف الإنسانية قاطبة فالمعارف العلمية وغير العلمية التي حوته كتب المسّلمين الجامعة ، عند إخوان الصفا في رسائلهم أو عند الجاحظ في البيان والتبيين على

---

22 ميتز أدم. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري / محمد أبو ريدة .- ج1 .- بيروت القاهرة : دار الكتاب العربي ، مكتبة الخانجي ،1967 .- ص 328

23 لابن قتيبة مؤلفات في غاية التخصص مثل أدب الكاتب الذي قال عنه عبد الرحمن ابن خلدون في كتاب العب والمبتدأ و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان .الأكبر. -مج 1. ط3.- بيروت :دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،1967.- ص1070 «وأصول هذا الفن أركانه أربعة دواوين (الأدب وهي أدب الكاتب لابن قتيبة ،وكتاب البيان والتبين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي وما سوى هذه فتب لها وفروع لها ». وهي من المصادر المعتمد عليها عند الباحثين في هذا المجال .

24 محمد صاحبي ، محاضرات حول حركة الموسوعيين العرب - ص 3

سبيل المثال معارف إنسانية شملت كل ما كان متواترا ومعروفا عند الشعوب آنذاك ، على اختلاف عقائدهم .

وإذا كانت عولمة القرن الواحد والعشرين التي نعيشها لها طابع أمريكي أوروبي فقد كانت في ذلك الوقت «عولمة» ذات طابع عربي إسلامي ، ولو لم يكن الحال كذلك لما اعترف بعض الدارسين الأوروبيين أنفسهم أمثال « جورج سارتن » مؤرخ العلوم الشهير و«أدم ميتز» وغيرهما بأن ما كان من معارف وعلوم وفنون خلال حكم العرب والمسلمين للعالم كان محصلة لما كان شائعا من تسامح بين المسلمين والنصارى واليهود ، هذا التسامح الذي لم يسمح بمثله خلال القرون الوسطى الأوروبية قاطبة ([25]) .

وكان لزاما وفي هذه الحال أن تقدم المعارف في شكل متميّز ليجعل من تلك الكتب الموسوعة العربية القديمة مصدرا مهما من مصادر المعلومات عن الشعوب والفنون والعلوم لا يستغني عنه الباحث أو الأديب أو عالم الاجتماع وحتى السينمائي([26]) ، إذ تعمق للتعرّف عن قرب على الحياة الاجتماعية للإنسان العربي وغير العربي في فضاء المدينة العربية الإسلامية .

إنّ هذه الكتب الموسوعية العربية تقرّ بأهميتها وبدورها الحضاري ، وتكمن أهميتها في الطابع الذي كتبت به والمنهج الذي سارت عليه ، وهو ما جعلها أيضا مصدّرا آخر مهما لا يتضمن معلومات كافية من فروع المعارف المختلفة فحسب ، بل يتضمن أيضا نصيبا وافرا من حياة المسلمين الأدبية والاجتماعية والنفسية وغيرها . ولعل المطالع والمتفحص لهذه «الموسوعات » ، يدرك أمرين لا يمكن تجاهلهما :

الأمر الأول : وهو محاولة الموسوعي العربي من خلال عمله إعطاء صورة صادقة عن النشاط العلمي والمعرفي لعصره ،والكشف عن ذلك بطريقة وأسلوب مبدع .

الأمر الثاني : فهو اعتبار كل عمل موسوعي من هذه الأعمال ، عملا متفردا بمطالبه ومضمونه بل إنّ كل عمل هو من وجهة نظر صاحبه العمل الذي لا ترقى إلى مستواه بقية الأعمال([27]). ومنه يمكننا القول ، إنّ هَم الكاتب الموسوعي العربي كان محاولا لكشف ما توصل إليه من العلم والمعرفة ، واعتبار ما يكتبه هو خلاصة للمعرفة الإنسانية قاطبة

---

[25] أدم ميتز . الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ،ص75

[26] المرجع السابق، محاضرات حول حركة الموسوعيين ،ص 2 .

[27] المرجع نفسه ، محاضرات.- ص 10 .

والمفتاح الذي من خلاله يصل القارئ إلى ما يبحث عنه . وعناوينها دالة على ذلك فمثلا البيان التبيين فهو المبالغة في التوضيح

- عيون الأخبار والعين هي الأصل .
- الكامل للمبرد وهو عكس الناقص .
- العقد الفريد الجوهرة النفيسة التي لا مثيل لها وقس على كل العناوين التي يقترحها الموسوعيون على أعمالهم .

والواقع أن ما تم إنجازه في هذا الإطار ، فهو قليل بالقياس إلى ما هو في صدور المخطوطات كان ولا يزال من الأعمال المرجعية أو المصادر الضرورية التي يعتمد عليها الباحث في جميع التخصصات الإنسانية اعتمادا أساسيا ؛ من أجل الوصول إلى استجلاء حقائق ثابتة عن الأهمية والدور الحضاري والثقافي الذي قام به هؤلاء العلماء والأدباء المؤلفون .

ويمكن أيضا اعتبار هذه « الموسوعات » على اختلاف موضوعاتها من أمهات الكتب التي تتجلى لنا من خلال إشكاليتها وطروحاتها ، حركة الثقافة الإنسانية برمتها في فترة تاريخية معينة . لكن هذا القول كله ليس معناه أنها كانت بدون نقائص بل على العكس هذا يسمح لنا بالتعرّف أكثر على نقائصها مثلها مثل جلّ الأعمال ذات نفس الطابع الموسوعي التي ينجزها مؤلف بمفرده .

2-2 نماذج لبعض الكتب الموسوعية العامة:

ومن نماذج لبعض الكتب الموسوعية التي نريد بها أيضا التعرف عن قرب والتركيز عليها كوعاء فكري مرجعي ، ذلك حسب مضمون مادّتها العلمية والمعرفية . هذا النوع من المؤلفات تميّز بجمعه لمادّة إخبارية مهمة ولم تسع إلى تنظيم معلوماتها ؛وهي التي تتضمن الكتب الأدبية العامة التي يحاول فيها أصحابها جمع فنون الأدب المختلفة ويأتي على رأس هذا النوع : البيان والتبيين للجاحظ والأغاني لأبي فرج الأصفهاني .

2-1-1 الجاحظ:

ولد الجاحظ بالبصرة سنة (163هـ - 869 م) . ([28]) أي أنه عاش مخضرما بين القرن الثاني والثالث الهجري وعاصر فترة حكم الخليفة «المهدي»المتسمة بالصراعات السياسية

[28] عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الشهير بالجاحظ .خير الدين الزركلي. قاموس الأعلام.- ج 5.- ص 239

والفكرية والعقائدية وقد تعرّف عن قرب على عدد لا بأس به من الخلفاء العباسيين من أمثال المتوكل والمأمون والواثق ثم المعتصم .

هذا من الناحية السياسية أما من الناحية العلمية فقد عاصر الجاحظ معمر أبوعبيدة بن المثنى صاحب مائتي مصنف ([29]) وأبو الحسن علي بن محمد المدائني له نحو مائتين وأربعين مصنفا أحصاها ابن النديم في فهرسه ، وهشام بن محمد الكلبي مائة وتسعة وثلاثين مؤلفا .

كما عاصر كذلك أغلب قمم الفكر والعلم والفن من أمثال الإمام مالك والإمام الشافعي وأحمد بن حنبل ، والبخاري وابن المقفع والمبّرد ، والخليل بن أحمد الفراهيدي ، وحنين بن إسحاق وغيرهم الذين كانوا حافزه في المنافسة .

1 -1-3 **مؤلفاته :** بلغت مؤلفات الجاحظ ما يقرب ثلاثمائة وخمسين (350) بين كتاب ورسالة، حسب الباحثين لقد ضاع الكثير منها ولم يصل منها إلاّ القليل،أما البقية فلا تزال مخطوطة لم تطبع بعد ([30]) ومن بين تلك المؤلفات نذكر مثلا :

- كتاب الحيوان .
- كتاب البيان والتبيين .
- كتاب البخلاء

1-1-4 **كتابه الموسوعي** «البيان والتبيين» ([31]) :

فقد ألفه في أخريات حياته ونشر أكثر من مرة ، معتمدين في نشره على ست مخطوطات منها واحدة بمكتبة فيض الله باستنبول والثانية موجودة بمكتبة «كوبريلي» باستنبول أيضا والثالثة بدار الكتب المصرية ، والرابعة بالمكتبة التيمورية بالقاهرة قام بتحقيقها عبد السلام هارون في أربعة مجلدّات ، وأضاف إليها مجلدا خاصا بالفهارس([32]) .

في البيان والتبيين مادة علمية لدراسة عادات وتقاليد المجتمع الإسلامي في بغداد والبصرة على أيام الجاحظ . تحدث فيه صاحبه عن البلغاء والخطباء والأنبياء والفقهاء والأمراء ، ثم تكلم عن البلاغة واللسان مدح فصاحة اللسان وتحدث عن عيوبه واختلاف لغات العرب وأسماء كهان قحطان وعلمائهم إلخ ...

---

[29] ابن خلكان . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تحقيق إحسان عباس- مج5 - بيروت : دار الثقافة [ب-ت] -ص235.
[30] أبو الفرج اسحق ابن النديم. الفهرست ، ج1 ،-ص ص 325 – 342
[31] أبو عثمان الجاحظ . البيان والتبيين / تحقيق عبد السلام هارون .- ط3 .- القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1968.
[32] محمد صاحبي، محاضرات حول حركة الموسوعيين ،ص13 .- 2000

وفي الجزء الثاني روى الأحاديث والخطب والألغاز والحكم وتكلم عن اللحن والحمقى فهو مصدر لعالم اللّغة حيث يبحث في تطوير الكلمات ، وتوزع اللهجات في مختلف مجالات العلوم ، كما ضمّن كتابه شعر ونثر سابقيه وترجم لعلماء وخطباء ، أورد نصوصا كثيرة من الشعر والخطب والأمثال والنوادر.

أما الجزء الثالث منه خاص بالزهد والنساك وأخلاقهم وكلامهم ومواعظهم ثم خصّ باب في دعاء السلف الصالحين والمتقدمين ، دعاء الأعراب وأيضا مقتطفات من نوادر الأعـراب وأشعارهم وغيرها من المواضيع .

ومن خاصيّات كتابة الجاحظ أنها كانت ممتعة للقارئ ، صعبة للباحث لأن معرفة ما في الكتاب يتطلب الوقوف على دلالة الألفاظ والمعاني التي يقصدها مؤلفهـا ، والسـبب يرجـ في ذلك إلى شخصية الجاحظ وثقافته ومذهبه الاعتزالي واستخدامه للمنطق التي تتضح أكثـ في براهينه[33] .

لقد أحاط الجاحظ بأكثر مما عرف في أيامه من معارف وعلوم ولم يترك علما إلاّ ووضـ فيه مؤلفا سواء كان ذلك كتابا ضخما أو رسالة صغيرة . وعالج قضايا لم يفكر فيها أحد قبلـ فبحث مثلا في طبائع الأشياء والإنسان والحيوان والنبات والمعادن ، الدليل على ذلك ما كتبـ في البخلاء والحيوان والبيان والتبيين ، حيث اعتمد في أعماله هاته علـى دقـة الملاحظـ والمشاهدة ، وأمانة التصوير وكتب في المعلمين والورّاقين وصفات الله والكيمياء وغيرها مـ المواضيع الشائعة في عصره . « فلا مفر من أنه أحدث نواة لمذاهب أدبية ، الأفكار الوار بين ريشته في الخطابة والرسائل مثلا ، لها قيمة فريدة وأقواله المأخوذة من كل يدّ فلقد بينّ من خلال الكلام، الخطابة والكتابة مختلف أراء مشاهير في وسطه المعاش بين الجيل القـد الذي سبقه والآخر الذي يعاصره » ([34]) .

لقد كان كاتبا جامعا أسهم بالكتابة في الأدب والتوحيـد، المنطـق والفلسـفة الجغرافيـ والتاريخ الطبيعي وموضوعات أخرى. لقد تميز ت مؤلفاته بالاتساع والشمول ،إلـى جانـ مشاركته في وضع أسس الكتابة الموسوعية لأنّ الجاحظ عايش أخصب مرحلة مـن مراحـ تطور الثقافة العربية الإسلامية ، حيث تّم من خلالها وضع الأسس والمعايير العلمية والمنهـ فالجاحظ أول مؤلف الذي تفطن إلى ضرورة المعرفة العامة الواسعة والتي لا تتحدد بالعـ

---

33 المرجع نفسه ، محاضرات حول حركة الموسوعين العرب ،ص 14 .

égis BLACHERE . classicisme et déclin culturel dans l'histoire de l'islam .acte du symposium ernational d'histoire de la civilisa tison musulmane .- paris. Ed. : maisoneuve et larose ,1977. 1.

الإسلامية فقط فهذه الأخيرة تعظم من شأنها ونقطة البداية التي يمكن تطويرها وتعمق وتوسع ،وإدماج عناصر جديدة كالفلسفة والرياضيات التي تبقى دائما حكرا علــى ذوي الاختصــاص الذين لا يعرفون التعميم([35])

5-1-1 مصادره :

اعتمد الجاحظ في تأليف كتابه على الينبوع الأول ألا وهو القرآن الكريم والحديث الشريف ثم الشعر العربي، ونقل من كتب العجم اليونانية منها ، ولا ننسى أيضا انتماءه المذهبي الاعتزالي ، وأخيرا خبرته الشخصية بمجالسته للخلفاء والوزراء ،وشعبيته بمحادثته للعامّة بم فيهم ذوي الخبرة والمعرفة .

أخذ الجاحظ ، الأدب واللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري ودرس النحو على الأخفش وعلم الكلام على النظام ، درس الثقافة اليونانية بمصاحبته حسين ابــن اســحق وســلمويه والثقافة الفارسية عن طريق ابن المقفع . كان يكتري دكاكين الوراقيّن ، عالما بفنــون الأدب والأخبار واللغة والحكمة والكلام وله في كل فن من هذه الفنون والعلوم نصيب من التأليف .

1-2-2 أبو فرج الأصفهاني:

هو أبو فرج علي بن الحسن بن محمد ولد سنة(284-هـ -967 م) ([36]) ولــد بأصــبهان (مقاطعة إيران حاليا) فاشتهر منسوبا إليها يرجع في نسبه إلى عرب قريش ومن بنــي أميــة انتقل إلى بغداد مع مطلع القرن الرابع الهجري وتتلمذ على يد أكبر أساتذة العصر : ابن در يد اللّغوي ، ابن الأنبا ري ، الأخفش ، والطبري ، وغيرهم ([37]) .

كان موسوعي الثقافة شعرا ، أدبا ،لغة ونحوا ،حديثا وتفسيرا وتاريخا ، طبا وموسيقى وباختصار كان مثالا لمثقف عصره ، تميّز بالإطلاع الواسع وحدة الذكاء ، مما أتاح له مكانة مرموقة بين كبار عصره من الخلفاء والأمراء والأغنياء وخاصة الوزير معز الدولة بن بويه الذي كان أكثرهم إيثارا له .

ارتبطت جوانب عدة من شخصيته بمؤلفه « الأغاني » وكان لها بالغ الأثر في تأليف هذا الكتاب الضخم وتحديد منهجه وانعكست بشكل واضح في مادته . فقد كان ملمّا بثقافة عصره من العلوم والمعارف،واسع الدراية بالتاريخ العربي ، حافظا لكثير من منثور ومنظوم

[35] Regis BLACHERE. classicisme et déclin culturel dans l'histoire de l'islam musulmane –Paris. Ed. :maisoneuve et larose ,1977 .-P84.

[36] علي بن الحسين بن محمد أحمد بن الهيثم المرواني الأموي أبو الفرج الأصبهاني . الزركلي ج5.- ص88.

[37] المصدر نفسه. الفهرست ، ص 205 . و الزركلي . الأعلام ،ج4 ،ص288

الأدب . فكان هو نفسه شاعرا وله ميل خاص بتتبع أنساب القبائل وأخبارها . كان كثير القراءة والإطلاع ، حتى أن بعض المؤرخين يقول :« أنه حين يدخل سوق الورّاقين ببغداد للشراء كانت المدينة تعلم بذلك..» ([38]) الأمر الذي جعل منه علامة مميّزة من علامات مدينة بغداد ، وكان مصنفا وراوية لأخبار عصره والعصور السابقة وشاعرا وكاتبا .

لكن عرف عنه أنه كان قذر الهيئة رث الثوب والنعل مدمن الشراب ؛ غير أنّ اتساع علمه وطرافته الأدبية غطت كل ذلك ، فاستطاع بهذا أن تكون له معرفة بما يدور في الساحة الفنية والموسيقية في عصره .

وممّا زاد في موسوعيته أنه كان قارئا جيداً ملما بأحوال عصره السياسية والثقافية والاجتماعية ، فكان مؤرخا ، أديبا وشاعرا ، راوية قاصّا وناقدا ([39]) . ولو لا ذلك ما استطاع أن يضع في موسوعته أدق التفاصيل عن حياة بغداد في القصور ، والنوادي والخمارات وغيرها

2-2-2 مؤلفاته:

لأبي الفرج العديد من المؤلفات في شتى المعارف ذكرها ابن النديم في فهرسته ونذكر منها إلى جانب كتاب الأغاني الكبير :

- كتاب مجرّد الأغاني .
- كتاب أخبار القيان .
- كتاب الديارات وكتاب الأخبار والنوادر .
- كتاب جمهرة أنساب العرب،كتاب في النغم ورسالة في الأغاني .
- كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها.
- كتاب أدب الغرباء .
- كتاب الأخبار والآثار و كتاب الخّمارين والخمّارات ...

وكتاب الأغانّي ، فهو بإجماع الباحثين ، أضخم موسوعة إخبارية ، جمع فيها مؤلفها أعداد هائلة من الأخبار المتعلقة بموضوعه الرئيسي([40]) ، بحيث يقول عنه ابن خلدون

---

[38] شهاب الدين ياقوت عبد الله الحموي . معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب .- ط2 .- القاهرة : مطبعة هندية بالموسيكى ج13 .- 1923 .- ص 125 .

[39] المرجع السابق، محاضرات حول حركة الموسوعيين العرب ،ص15 .

[40] السعيد الورقي. في مصادر التراث العربي .- بيروت : دار النهضة العربية للطباعة و النشر ،1984، ص73

في مقدمته : « إنه ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وإنيّ له بها » ([41]) .

لقد قدّم أبو الفرج في كتابه مادّة إخبارية واسعة ضمت النسب،الأخبار والوقائع والحروب وأيام العرب وذكر أخبارهم في الجاهلية والإسلام وبني أمية ثم العباسين والغزوات وأخبار الفتوح .

لقد تميزت مؤلفاته أيضا بالاتساع والشمول ودقة الملاحظة ، ولكتاب الأغاني أهمية كبيرة عند باحثي الأدب ودارسيه خاصة، فهو إلى جانب ذلك المصدر الوحيد والأساسي لتاريخ الغناء والمغنين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة .

2-2-3 كتابه الموسوعي «الأغاني» ([42]) :

كتاب الأغاني فقد ألفه أبو الفرج الأصفهاني في خمسين سنة ، فهو يعتبر من ذخائر التراث العربي نسيج خاص لم يسبقه فيه أحد ، ولم يعرف أن أحدا كتب في موضوعه لولاه لضاع الكثير من الأخبار.سماه صاحبه بالأغاني لأنه بناه في مادته ، في البداية على مائة صوت .كان الخليفة«هارون الرشيد» قد أمر مغنيه إبراهيم الموصلي أن يختارله أصواتا وأضاف إليها أصواتا زيدت للخليفة الواثق ، اختارها هو نفسه . ثم امتد به القول إلى السبب الذي من أجله قيل الشعر أو صنع اللحن ، وما يشابه الموضوع أو يوضحه ، من أخبار وسيّر وأشعار ورسائل وخطب وقصص ونكت ونوادر، فاشتمل الكتاب على أكثر أيام العرب ووقائعها وأخبار قبائلهم وأنسابهم . ثم قام بوصف القصور والمدن فوصف ما بداخلها أفراحها وأعراسها وأحزانها وما إلى ذلك فأصبح كتابه هذا وثيقة تاريخية وأنثروبولوجية تعكس صورة واضحة عن عصره« Livre des chansons » فهو بمثابة جدول مثير لقرون الأولى للخلافة العباسية وإشارات للمجتمع الإسلامي تكّون مصدر من الطراز الأول ، إلاّ أنه يحتاج إلى استغلال أكثر لمعرفة العالم العربي الإسلامي في ذروة قوته([43]) .

2-2-4 طبعات الكتاب وأجزاءه :

طبع الكتاب لأول مّرة مترجما بألمانيا ، بتحقيق من المستشرق « كـوز نـجارتن » «Kosegarten» خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلادي. ثم طبع بعد ذلك كاملا ببولاق بمصر وللمرة الأولى في عشرين مجلدّا عام(1868م) وهي طبعة غير محققة علميا ،

---

41 عبد الرحمن ابن خلدون كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر.. .-مج1.-3b. بيروت : دار الكتاب اللبناني،1967.-ص1070

42 أبو الفرج الأصفهاني . الأغاني .- 25 مج .- بيروت : دار الثقافة ، 1962 .

43 Robert Mantran. l' expansion musulmane vii-xi siecle .- 2éme ed .- paris.Ed : puf ,1969.-p173

وذات أخطاء كثيرة([44]) . أضاف إليها المستشرق« Brunov » الجزء الواحد والعشرين ، ثـ
قام بنشره بليدن الهولندية عام(1887م) ، وهذا الجزء ليس من تأليف أبي الفرج وإنما زيادات
عثر عليها «برونوف» في عدّة نسخ مخطوطة ، ومحفوظة بمكتبة برلين وغيرها عند مراجع
طبعة بولاق . وللكتاب أيضا ، طبعة ثانية كاملة بالقاهرة عام 1905م ، ويرمز إليهـا بطبعـ
ساسي وهي إعادة لطبعة بولاق ، مضافا إليها الجزء الواحد والعشـرين وأربعـة مجلـدّات
للفهارس التي وضعها« Guidi » ([45]) .

2-2-5 مصادره :

تكمن مصادر ثقافته في الروايّة أو السماع عن عامة المثقفين ، وروادّ الندوات والمجالس
ثم أخذ دراسة الأدب واللغة والتاريخ عن مشاهير الشيوخ الذين تلقى عنهم العلوم والفنون ، ث
إطلاعه في الكتب والنقل عنها . واهتم بمجالس المغنين والندماء في قصور الخلفاء والأمـرا
والأثرياء ومن هذه المجالس استمد أبو الفرج ثقافته الواسعة في الموسيقى والغناء كما أثـرت
فيه مجالس باهتمامه بالتأليف في هذه الفنون .

استطاع أبو الفرج الأصفهاني، أن يكون في هذه البيئة([46]) نموذجا للمثقف الموسوع
وصفه ياقوت الحموي : « إنه العلامة النساب الإخباري الحافظ الجامع بين سعة الروا
والحذق في الدراسة.. كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسند
والنسب ما لم أرى من يحفظ مثله» .

والنوع الآخر الذي سوف نشير إليه على سبيل المثال وهو كذلك من الكتب الموسوعي
العامة هو « عيون الأخبار» الذي تميّز عن النموذجين السابقين ، بتنظيم وتقسيم علمي ف
فصول وأبواب مستقلة بعضها عن البعض الآخر .

3-3-1 محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة :

ولد محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الفارسي الأصل في بغداد أو الكوفة على خلاف
في ذلك تولى قضاء دينور فترة من الزمن ، ومن ثم فقد عرف بالدينور . وكـان معاصـر
للمبرد ، إذ ولد في عام(213 هـ) أي بعد ولادة المبرد بثلاث سنوات توفي في عـام(76
هـ) ([47]) . وقد كان ابن قتيبة مثل كتاّب عصره الجاحظ والمبرد ، يأخذون مـن كـل عل

---

[44] محمد صاحبي . محاضرات حول حركة الموسوعيين العرب ، ص 16 .
[45] المرجع نفسه، محاضرات ،ص 17 .
[46] بغداد كانت فيها بيئتين الكوفة. و البصرة التي كانت أكثر تفتحا ، بيئة الثقافة ،وصلت إلى مرحلة عالية م
العلم و المعرفة .
[47] ابن النديم ، الفهرست ،ص 77.

بطرفه؛ تعبيرا بالمفهوم السائد آنذاك : « من أراد أن يكون عالما ، فليطلب فنا واحدا ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع في العلوم ».

3 -3-2 مؤلفاته :

لقد خلف ابن قتيبة ثروة غزيرة من الكتب ، ذكرها ابن النديم وأشار إلى عناوين الموضوعات التي تحتوي عليها كل هذه الكتب هي : - تأويل مشكل القرآن – تأويل مختلف الحديث – المعارف – الأشربة- الميسر والقداح – الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة – الشعر والشعراء – معاني الشعر الكبير – أدب الكاتب – عيون الأخبار. المراتب والمناقب عن عيون الشعر وغيرها من الكتب المخطوطة .

3-3-3 كتابه الموسوعي «عيون الأخبار» (48) :

يبدأ الكتاب بمقدمة مسهبة تفصيلية من ناحية ، وهذا ما لاحظناه أيضا في كتاب القلقشندي الموسوعي وأثار فيها بعض الموضوعات المهمة ، من ناحية أخرى . ويحدد لنا من هم قراء هذا الكتاب الموسوعي فيقول : « وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصرة ، ولأهل العلم تذكرة ، ولسائس الناس ومسوسهم مؤدبا ، وللملوك استراحة» . وهو بهذا يحدّد قراء الكتاب بأنهم من الخاصة . ولكنه يستدرك ، ويرى أن معلومات كتابه من الاتساع بحيث أنها لا تفيد الخاصة دون العامة ، فيقول :« ولم أرى صوابا أن يكون كتابي هذا وقفا على طالب الدنيا دون الآخرة ولا على خواص النّاس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سوقتهم ، فوفيت كل فريق منهم قسمه ، ووفّرت عليه سهمه ». وبهذا يكون هدفه من تأليف هذا الكتاب هو إفادة المتأدب المتخصص والمتأدب من عامتهم». بمعنى يرجع إليه العالم المتخصص مثلا في التاريخ الإسلامي أو القارئ العادي .

3-3-4 مصادره :

لقد أوضح لنا ابن قتيبة، في مقدمته الغرض من تأليف الكتاب وكذلك بيّن مصادر هذا الكتاب الموسوعيّ والمتمثلة في العلماء الذين سمع عنهم ، والكتب التي قرأها ، بل إنه يذكر مصادر أخرى فيقول : « واعلم أنا لم نزل نتلقط هذه الأحاديث في الحداثة والإكتهال عمن فوقنا في السن و المعرفة ، وعن جلسائنا و إخواننا ، ومن كتب الأعاجم وسيرهم ، وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم، وعمن هو دوننا غير مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سنّا لحداثته ولا عن الصغير قدرا لخساسته ولا عن الأمّة الوكعاء فضلا عن غيرها ، فإن العلم ضالة

---

48 محمد بن عبد الله بن قتيبة . عيون الأخبار.- مج 1-2 ، 882 ص.

المؤمن من حيث أخذه نفعه، ولن يزري بالحق أن تسمعه من المشــركين ولا بالنصــيحة أ تستنبط من الكاشحين ومن ترك أخذ الحسن من موضعه أضاع الفرصة والفرص تمر مــرو السحاب » ([49]) . ومن هنا يبدأ الاختلاف بينه وبين نموذج التأليف عند كل من الجاحظ وأبــ الفرج الأصفهاني من الناحية التقنية التنظيمية . ويعدّ كتابه أيضا مرجعا ذا فائدة كبيرة في عا الأخبار ، الأدب والتاريخ الإسلامي .

5-3-3 طبعات الكتاب :

طبع الكتاب بين عام (1899- 1908 م) في مدينة جوتن بعناية العالم المستشرق بروكلما . وفي عام(1324 هـ) طبع محمد إبراهيم أدهم الكتبي كتاب السلطان فقط . اهتمت دار الكتـ المصرية بعد ذلك بنشره ، اعتنى القسم الأدبي فيها بمراجعة الكتاب وتذيليه بهــوامش تفســ الغريب من الألفاظ .

6-3-3 منهجه في تأليف مرجعه :

يبدو أنّ ابن قتيبة عكف على تصنيف موضوعات كتابه من خلال بطاقات أو بمصــطل ذلك العصر الجزازات التي كان يحتفظ بها أثناء سماعه وقراءته لعلماء عصــره مثلــه مثــ طلاب جيله . فقام بدراسة محتواها وتصنيفها حسب موضوعات محدّدة ، ومما يؤكد هذا قو في مقدمته : « وإني حين قسمت هذه الأخبار والأشعار وصنفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع في عشرة كتب بعد الذي رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميز كل كتاب منها مفردة على حدة كتاب الشراب وكتاب المعارف ، وكتاب الشعر، وكتاب تأوي الرؤيا » ([50]) . وينهي كتابه هذا إلى باب المزاح والفكاهة وما روي من الأشــراف والأئمــ فيها.

أما عن طريقته في تصنيف كتاب عيون الأخبار ، فهو يستقصي البحث في الموضو الواحد من شتى جوانبه ، ويستشهد بالنصوص التي تثري موضوعه . ومما يزيده أهمية هو أ ابن قتيبة ينبه قارئه إذا ما وجدت معلومات اغفل عنها صاحبها ويبّن لنا ذلك بقولــــه : وإنّ وقفت على باب من الأبواب هذا الكتاب لم تره مشبعا فلا تنقض علينا بالإغفال حتـ تتصفح الكتب كلها» ([51]) . وهذا دليل واضح على وجود اختلاف بينه وبين معاصريه وسابق في تأليف نوع جديد من الكتب وأيضا سعة اطلاعه تجاوزت المصادر العربية إلى غير

---

49 محمد بن عبد الله ابن قتيبة ،عيون الأخبار المقدمة ، ص 47

50 ابن قتيبة. عيون الأخبار ،المقدمة ص 49

51 المصدر نفسه. عيون الأخبار ،ص47

العربية ، فأخذ من آيات القرآن الكريم و الإنجيل ،من التوراة وأورد أحاديث عن الرسول عل السلام وأقوالا عن عمر بن الخطابﷺ وعمر بن عبد العزيزﷺ، وأورد بجانب ذلك ما قر في الكتب الهندية والفارسية وغيرها ،مما يناسب الموضوع .

فكتاب عيون الأخبار يعد النموذج المنهجي الجديد ، الذي لم يألفه التأليف عند العرب م قبل ، وهو بما فيه من معلومات ضافية عن الثقافة العربية وغير العربية بحيث يعد مصـــدر للباحث في التراث العربي . بحيث انك تجد صاحبه يوضح نوعية هذا الكتاب ويشـــبهه كمـ يقول بالمائدة المتنوعة « وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلـف فيهـا مـذاقات الطعـو لاختلاف شهوات الآكلين..»[52]

ومنه يمكن اعتبار أنّ هذه المعلومات التي تقدمها هذه الكتب ذات قيمة تاريخية ، تراث بالنسبة للباحث تشرح له وضع المجتمع وتقدم له صورة واضحة عن ذلك . وبناء على ذل يحتاج الباحث أو الدارس إلى الإطلاع في هاته الكتب الموسوعية العربية ، أو على الأقل ف عينّة منها لمحاولة فهم ظاهرة التأليف الموسوعي عندهم والغرض من إنجازها .

لقد كانت مراجع الحديث أعمالا قاعدية أساسية لمعظم الكتب الموسوعية هذه التي ظهر فيما بعد ،لأنها استقت منها كل ما يمكنها أن يوجهّها ويقومها ، خاصة ما تعلق بأمر المنهج ثم طريقة الترتيب سواء كان ذلك بترتيبها الموضوعي أو بأسماء مؤلفيها هذا ما رأينه خاص في كتب التراجم والمعاجم بمختلف أنواعها فنجد أنّ هذه الكتب التي كانت بين أيـدنا وكـ أصحابها قاموا بعملية نسخ لكل ما يلائم مراجعهم من الناحية الفنية التنظيمية ، وإن كان هنا اختلاف فهو على مستوى طريقة طرح المعلومات وترتيبها فقط .

لكن علينا أن نقول أنه بالرغم من أهمية هذه المراجع من حيث تعدّدها وتنوعها وكمّهـ الوافر من المعلومات بحيث أنك إذا درستها أو حتى اطلعت عليها فإنـك لا تسـتطيع ضـب معلوماتها أو حتى تتذكر على سبيل المثال ما احتوته من مواضيع ، لأنه يظهر لك أنّ أصحاب هذه الكتب كان لّديهم ما يسمى بانفجار معلوماتي فقاموا بعملية تفريغها ، حتى يتمكنـوا مـ تجديدها . فهل يصح لنا الآن أن نلقي عليهم اللوم لأنهم لم يتمكنوا من تجديدها ومن تنظيمهـ تنظيما محكما وأن يدققوا في معلوماتهم ثم مراجعتها مرّة أخرى مثلما كان يفعل من سـبقوه في مجال علم الحديث . قد لا نستطيع إلقاء اللوم عليهم لأنّ أعمالهم جاءت نتيجة قراءات لكت عديدة وكثيرة لا تحصى ، ودراسات وبحوث كثيفة . ولأنّ المثقف منهم كـان بإمكانـه أن

[52] المصدر نفسه .عيون الأخبار ،ص44

4-4-1 القائمون بالمرجع : أحمد بن علي بن عبد الله شهاب الدّين القلقشندي

مدى السعة :

أ – الكمية : أربعة عشرة جزءا .

ب – المكانية : الدولة الإسلامية مصر الشام والعراق والحجاز وحتى إفريقياو المغرب العربي.

ج – الزمنية : كتب القلقشندي كتابه الموسوعي في نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجري (القرن الرابع عشر– الخامس عشر ميلادي)

د – النوعية : الطبعات المطبوعة ، الأولى مجلدة والثانية التي اشتغلت عليها غيرمجلدة من الورق العادي ، والخط فيها واضح .

4-4-2 الغرض من وجود المرجع:

تقديم خدمة تراثية ثقافية معرفية للأمة العربية لخمسة قرون من الزمان ، بالنسبة لمؤ فهو دراسة لفن صناعة الإنشاء ولنظام العمل في الديوان .

4-4-3 طريقة التنظيم (الترتيب) :

أ– محتوى المرجع:

إنّ مادّة مرجع « القلقشندي » تتكون من مقدمة وعشر مقالات وخاتمة .كما يذكرها بنفس في مقدمته .

تحتوي المقدمة على خمسة أبواب ، و تشمل على تعريف بالكتابة وتنويه بفضلها وإشادة وذ لمدلولها ، والفرق بين معنى الكتابة ومعنى الإنشاء وتطوره خلال العصور السابقة، وترجي للنثر على الشعر وصفات الكتّاب وآدابهم ، وتاريخ ديوان الإنشاء واصله في الإسلام منذ نش إلى زمن المؤلف ثم انتظامه بعد ذلك في مختلف العصور والدول الإسلامية وقوانين الديو ومرتبة صاحبه ، ثم التعريف بوظائف الديوان في مصر في ذلك الوقت ، واختصاص ك وظيفة في مختلف العصور والدول . والمقدمة لوحدها كافية لأن تكون كتابا مستقلا نظرا لح محتواها ، و بعد المقدمة الفريدة من نوعها يبدأ الكتاب بـ :

1- المقالة الأولى وفيها يحدثنا المؤلف عمّا تتطلبه صناعة الإنشاء ، وما يحتاج إليه الكا من علمية وعملية ، فالعملية تتمثل في المعارف اللّغوية والأدبية ، من لغة ونحو وصر والمعاني والبيان والبديع والقرآن والأحاديث والخطب والرسائل والأشعار والأمثال والأنسا أما الثقافة العملية وتتمثل في إجادة فن الخط والإحاطة بجميع أشكاله ، ومعرفة أنواع الم

والأقلام والوراق ؛ ويستتبع ذلك بنبذة عن تاريخ الخط العربي كما يحدثنا عن أحوال الأمـ والحكام السلطانية ، لكي يستطيع أن يؤدي مهمته في إنجاز الوثائق ،والمراسلات السياسـ والإدارية على أحسن وجه .

2- وتتضمن **المقالة الثانية** الحديث عن المسالك والممالك وما يحتاجه كاتب الإنشا من تقا جغرافية ، تاريخية . فقد وصف الأرض والجهات الأربعة وخط الاستواء والبحار، ثم انتقـ إلى الحديث عن الخلفاء حسب تسلسلهم في التاريخ الإسلامي وخّص الديّار المصـرية ومـ جاورها من بلاد الشام والحجاز بالحديث عن مختلف جوانبها الجغرافية والتاريخية والإدارية

3- أما **المقالة الثالثة** فهي تحتوي على معلومات عن الأسماء والكنى ونظام الألقاب وأصحا الوظائف الإدارية وأنواع الورق والأقلام ، و أحجام الورق قديما وحديثا ؛وافتتاحيات الرسا و بما تختتم به ، من أمور تختلف اختلاف المكتوب إليه في مختلف الدول و العصـور الإسلامية وبصفة خاصة ديوان الإنشا المصري .

4- تتناول **المقالة الرابعة** فن الكتابة وما يراعى فيها من أصول وأساليب ومصطلحات وهـ حسب محتوياتها وحجمها أهم مقالات الكتاب وأضخمها ، يستهلها المؤلف بأن يقدم لنا فهرسـ لألقاب الملوك و العلماء والكتّاب والقضاة ، مرتبة على حروف المعجم وقد أورد شـرو لسائر الصفات والألقاب المدّونة في مختلف رسائل الخلافة السلطانية والوزارية الموجهة إ رجال الدولة وأقطاب العلم والأدب . ومن ذلك ألقاب الخلفاء وولاة العهد والألقاب الملوكيـ والسلطانية وشيوخ الصوفية ، وحتى ألقاب أكابر النصارى من البطارقة والملوك والملكات ثم يشرح أساليب الكتابة من استفتاح ومقدمات وأدعية وصلوات وغيرها ممّا اصطلح عليه تلك الفترة .

ومن أهم فصول هذه المقالة ، فصل يعالج فيه القلقشندي ، مصطلحات المراسـلات بـ ملوك أهل الشرق والغرب من جهة ، وكتّاب الـدّيار المصـرية فـي مختلـف العصـور منذ صدر الإسلام إلى عصر المؤلف وهو الفصل الذي يفتتحه بذكر الكتب الصادرة من النـ ﷺ إلى كسرى وقيصر الروم و النجاشي وغيرهم... .

5 - **المقالة الخامسة** وتشتمل على بيان الولايات والخلافة والسلطة والعهود الرسمية الصاد عن الخلفاء والملوك والأوامر الصادرة لأرباب السيوف والأقلام وأصحاب المناصب الإدار وأنواعها . ثم الألقاب من خلافية مملوكية والألقاب الصادرة عن ذوي الولايات المختلفة ومـ

يكتب فيها بالنسبة للخلفاء والملوك وما يكتب فيها بالنسبة للخلفاء والملوك ، ويقدم أيضا نماذ من مختلف المراسيم والعهود الصادرة.

وتشغل المقالتان الرابعة والخامسة من صبح الأعشى نحو ثلاثة مجلدات مـن منتصـ المجلّد السادس إلى أواخر المجلّد الثامن . فهو يشتمل على مئات الوثائق والنصوص الرسم والدبلوماسية ، وهو يلقي كل الضوء على تاريخ مصر النظامي والإداري في عصور الخلف والسلاطين ، وعلى السياسية الخارجية المصرية وعلاقات مصر بالأمم الإسلامية والنصرا في تلك العصور وهي مادّة نفيسة من الوثائق والمحفوظات الهامةّ القيمّة التي لا يمكـن نراها في مرجع آخر إلاّ بالقدر البسيط .

6- <u>المقالة السادسة :</u> يتحدث فيها المؤلف عن الوصايا الدينيّة والمسامحات والإطلاقـات وعن التواريخ ومقابلاتها أي تحويل السنين القمرية إلى الشمسية ، وما يتصل بذلك من أمو يلزم الكاتب الإلمام بها .

7- <u>المقالة السابعة :</u> فهي تتضمن معلومات عن أنواع الإقطاعات وأصلها ، وصورة كتاب ونشأتها وأنواعها وأحكامها ، ويقدم نماذج من المراسيم الصادرة بهـا فـي مختلـف الـدو والعصور.

8- <u>المقالة الثامنة :</u> يتحدث فيها عن الإيمان (جمع يمين) وأنواعها وأحكامها الشرعية فـ الجاهلية وفي عصور الإسلام والإيمان الملوكية والأميرية في الدول الإسلامية وغيرها .

9- <u>المقالة التاسعة :</u> يتحدث فيها القلقشندي عن عهود الأمان وعقود الصلح والهدن بين ملو المسلمين ونظرائهم من ملوك الأمم الأخرى،وما تلازم معرفته من هذه المكاتبات .

10- ويتحدث في <u>**المقالة العاشرة**</u> : والأخيرة عن فنون الترسل كالمقامات ورسـائل الصـ والفخر والإجازات العلمية ورسائل السخرية والهجاء .

أما خاتمة صبح الأعشى ، فكان الحديث فيها عما يتعلق بديوان الإنشا في غير شؤو الكتابة كالبريد وتاريخه في مصر والشام وهي معلومات نادرة ، ثم الحمام الزاجل وأبرا ومطاراته ، ثم المناور والمحروقات التي كانت تستعمل في استطلاع حركات العدو . فر القلقشندي من كتابة موسوعته في عام 814هـ أي بعد ما يزيد على عشرين عاما من كت مقامته التي مدح بها رئيس ديوان الإنشا بمصر،وقبل سبع سنوات من وفاته سنة(821هـ) [57]

---

57 مجموعة من المؤلفين.الموسوعة العربية العالمية .- مج 15.- ط2 .- الرياض : مؤسسـة أعمال الموسـو للنشر و التوزيع،1999 .- ص38 .

أما فصول « الموسوعة » فقد قسمها المؤلف إلى عشر مقالات كالآتي :

المقالة الأولى فيما يحتاج إليه الكاتب وفيها بابان

المقالة الثانية في المسالك والممالك وفيها أربعة أبواب.

المقالة الثالثة في ذكر أمور تشترك فيها أنواع المكتبات والولايات من ذكر الأسماء والكنى والألقاب... وكتابة الملخصات وبيان الفواتح والخواتم.. وفيها أربعة أبواب.

المقالة الرابعة في المكتابات وفيها بابان

المقالة الخامسة في الولايات وفيها أربعة أبواب .

المقالة السادسة في الطرخانيات وتحويل السنن والتذاكر وذكر نسخ من ذلك وفيها أربعة أبواب.

المقالة السابعة في الإقطاعات والمقاطعات وذكر نسخ من ذلك وفيها بابان.

المقالة الثامنة في الأيمان وفيها بابان .

المقالة التاسعة في عقود الصلح والفسوخ الواردة على ذلك وفيها خمسة أبواب.

المقالة العاشرة في فنون الكتابة ، يتداولها الكتّاب ويتنافسون في عملها ليس لها علاقة بكتابة الدواوين السلطانية ولا غيرها وفيها بابان

أما الخاتمة فهي في ذكر أمور تتعلق بديوان الإنشاء غير أمور الكتابة وفيها أربعة أبواب.

ب- ترتيب مضمون« الموسوعة » :

لقد أخذنا الجزء الأول كمثال لترتيب كتاب «صبح الأعشى» ، للعلم أنّ الجزء الواحد في قسمين بمعنى أنّ نصفه الأول في كتاب ونصفه الثاني في كتاب ثاني، لأننا فهرس الجزء الثاني تكملة لفهرس الجزء الأول. يبدأ القلقشندي كتابه بخطبة ثم مقدمة تمهيدية قبل الخوض في مواضيع كتابة الإنشا . وهو في ذلك يتبع الترتيب الموضوعي ([58]) .

أما الترتيب البيبليوجي عند القلقشندي حسب موسوعة علوم الكتابة هو كالتالي .

1. الكتابة و الكاتب
   1.1 الكتابة
   1.2 الكاتب
2. التكوين النظري للكاتب
   1.2 مواد الكتابة
   2.2 تسلسل المناهج
3. التكوين التطبيقي للكاتب
   1.3 أدوات الكتابة
   2.3 فروع الكتابة : التنقيط
   3.3 اللفظ
4. العلوم المشتركة لكل أنواع الكتابة الكتابات الرسمية الإدارية ،الدينيّة وغيرها...
5. الكتابات الرسمية الإدارية ، الدينيّة وغيرها.

وهذه البيبليوجيا لها علاقة أيضا بدراسة اللغات والقرآن ، وتاريخ الشعوب العربية والعلوم السياسية بمنظور موسوعي. ([59])

ج- المادّة المرجعية: بالتقريب أكثر من 150 مادّة مرجعية .

---

[58] راجع التصميم في الملحق رقم 1

[59] Wahid Gdoura . « la conception de la bibliologie chez Alkalkahandi xvé siècle» .in les sciences de l'écrit.- Paris : Ed. .imprimerie SAGIM,1993.-p16.

4-4-5 مواضيع «الموسوعة» :

تغطي الموسوعة المعلومات الآتية : التاريخية ، الأثرية ، الأدبية الثقافية ، الدينيّة السياسة الداخلية والعلاقات الخارجية ، الاقتصادية ، الجغرافيا وغيها من المواضيع الثانوية.

د- طريقة الإصدار :

من الناحية النوعية: الطبعة واضحة الخط . تصدرها النشرة المصرية لوزارة الثقافة والإرشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومذيلة بتصويبات وفهارس تفصيلية.

4-4-6 التعريف بالمؤلف :

إن كتب التراجم لم تقدم لنا الكثير عن القلقشندي نذكر فقط ابن العماد الحنبلي في كتاب « شذرات الذهب » في وفيات سنة 821 هـ دون ذكر تاريخ مولده (60).

هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي المؤرخ الأديب البحاثة ، ولد في قلقشندة إحد قرى قليوبة(61) بمصر . وكذلك أصيل في عروبته ، إذ يرجع أصله إلى بني بدر وترجمه السخاوي في « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » . بن فزارة من قيس عيلان ، وق وفدت هذه القبيلة إلى مصر مع الفاتحين العرب لها لأول مرّة و استقر بها المقام .

ولد القلقشندي سنة(756هـ -1355م) وتوفي سنة (821 هـ-1418 م) درس بالقاهر والإسكندرية على كبار شيوخ عصره ، وتخصص في الأدب والفقه الشافعي(62) . أجازله شي سراج الدّين ابن الملقن بالفتوى والتدريس سنة (778هـ) وقد سبق لنا الحديث عن هذه الإجاز في الفصل السابق.

اختير للعمل بديوان الإنشاء عهد السلطان «الظاهر برقوق » سنة(791 هـ) ، تولى بعض الوظائف الإدارية لفترة ما ،لكن براعته في الكتابة لفتت إليه أنظار رجال البلاط ومهدت لـ سبل الاضطلاع بالمنصب الذي تؤهله له مواهبه الأدبية والفنية وهو العمل في ديوان الإنش فالتحق بخدمة الديوان في عهد هذا السلطان وقد كان لديوان الإنشاء في هذا العصر أهمي خاصة ، وكان لا يعمل فيه سوى أقطاب النثر والبلاغة الذين تؤهلهم معارفهم الواسعة للوقوف

60 ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب في أخبار من ذهب -ج1.- بيروت: دار الآفاق الجديدة ، [- 19].ص 86
61 خير الدّين الزركلي - الأعلام قاموس تراجم - ج1 - بيروت : دار العلم للملايين ،[-19]-ص172 .
62 عبد الحميد حمودة . مآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي .- عن مجلة الفيصل ع111 ، س 10 ، جوا 1986. ص125

على شؤون الحكم و السياسة الداخلية والخارجية([63]). واستمر في هذا الديوان حتى عـهـ « الظاهر برقوق » وفي تلك الفترة رأى أن يضع مؤلفه الكبير وموسوعته الضخمة الشـهير وأهمها وهو «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء» إلى سنة وفاته سنة (801 أو 821 هـ) زمـ السلطان « المؤيد شيخ المحمودي » .

وديوان الإنشا في تلك الفترة التاريخية ، كان بمثابة وزارة الخارجية ،إذ ترد إليه جمي مكاتبات السلطان من داخل وخارج دولته ، وتصدر هذه المراسلات على لسان السلطان إل ملوك الدول وحكّامها الذين ربطتهم بسلطنة المماليك ، علاقات وديّة أو عدائية .

وبالتالي فإنّ القلقشندي بعمله في ديوان الإنشاء،كان أمينا على أسرار الدولة ، مطلّعا عل الأرشيف الرسمي الجامع لأسرار الدولة ([64]) .

7-4-4 مؤلفاته :

لقد ألف القلقشندي كثير من المؤلفات النفيسة مثل : -

- كـتـاب « ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر» وهو مختصر لكتاب صـ الأعشى ، ولم يطبع منه سوى الجزء الأول سنة(1324 هـ- 1903م) بمطبعة الـواء بالقاهرة ([65]) .
- كتاب «الغيوث الهوامع في شرح جامع المختصرات و مختصرات الجوامع في عل الفقه على مذهب الإمام الشافعي » .
- كتاب « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » في طبع في مطبعة الرياض بمدين بغداد (دار السلام).
- كتاب « قلائد الجمان في قبائل العربان » .
- كتاب « مآثر الإنافة في معالم الخلافة » .

وله رسائل كثيرة تزيد عن المائة([66]).

---

[63] المرجع نفسه ،أبو العباس القلقشندي وكتابه - ص9
[64] المرجع نفسه ،أبو العباس القلقشندي وكتابه - ص9
[65] أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء.- ج1 .- القاهرة : لمؤسسة العامة للتأليف و الترجمة والطباعة و النشر [19] - 23
[66] المصدر نفسه ، القلقشندي ،صبح الأعشى .ص 24

8-4-4 مصادر القلقشندي:

لقد استقى القلقشندي معلوماته من مصادر عربية وأخرى أجنبية عديدة وينسب منقولاته إلى أصحابها والدليل واضح لاستفادته من الكتب العديدة التي اطلع عليها، وهو يذكر الكتب بأسماء مؤلفيها أحيانا ويكتفي بذكر اسم الكتاب أو المؤلف أحيانا أخرى، ويأخذ من المصدرين الأولين والمنبعين الوافرين، وهو القرآن الكريم والحديث الشريف. فهو يذكر مثلا ضياء الدين ابن الأثير في كتابيه « غريب الحديث» و« المثل السائر» وابن حاجب النعمان في «ذخائر الكتّاب »وأبو الفضل الصوري في «تذكرته» والشافعي في كتابه «الأم» والمهذب بن مماتي في « قوانين الدواوين » وسهل بن هارون كاتب المأمون وابن قتيبة ومحمد بن سلام الجمحي وأبو البركات الأنباري في « طبقات الأدباء » وابن رشيق في «عمدته» ومحمد ابن إسحاق في « السيرة النبوية » والجوهري والصلاح الصدفي وهلال العسكري في « صناعة الكتاب» وعلي بن خلف في كتابه «سواد البيان» وصاحب « الريحان والريعان »

والجاحظ في « البيان والتبين » وعمر المدائني في كتابه « القلم والدواة » ومن النحاة ومشاهير أهل العربية كأبي الأسود الدؤلي وسبويه والمتقدمين كالفراء وأبي عثمان المازني. ومن المحدثين كابن عصفور وابن مالك وابن معطى وجمال الدين بن نباتة والقاضي محي الديّن بن عبد الظاهر في رسائله والشيخ بهاء الدين السبكي في « شرح تلخيص المفتاح » والقاضي جلال الدين القزويني في تلخيص المفتاح وشهاب الدين محمود الحلبي في كتابه «حسن التوسل إلى صناعة الترسل» وعبد القادر الجرجاني وكتاب « الشهاب في المواعظ والآداب» للقضاعي، وأبو حيان التوحيدي ومن كلام عائشة، وكلام أم الخير الحرشي البارقية يوم صفين وكلام الزرقاء بنت عدّي بن قيس الهمدانية يوم صفين أيضا. ويأخذ من خطب النبي ﷺ وخطب كعب بن لؤى جدّ النبي وخطب أبى طالب حين خطب النبي ﷺ خديجة أم المؤمنين، وخطب أبي بكر الصديق ﷺ، وعلي كرم الله وجهه حين بويع بالخلافة ومعاوية بن أبي سفيان بصفين وأخذ عن ابن فضل الله العدوى العمري صاحب« مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، وصاحب « العقد الفريد » وابن المقفع وأخذ عن « المسالك والممالك » لابن خرداذبة وابن حوقل و« مروج الذهب » للمسعودى و« معجم ما استعجم » للبكري، و« نزهة المشتاق» للإدريسي و«معجم البلدان» لياقوت الحموي، و« تحفة الألباب ونخبة الإعجاب » لأبي حامد الغرناطي و« تقويم البلدان » لإسماعيل أبي الفدا وغير ذلك من الكتب العامة والجغرافية و التاريخية.

وإذا نظرنا إلى الكتاب بتفحص سوف نجد أن مؤلفه يتبع منهجا علميا واضحا يقوم على وحدة الفكرة ، ينقسم إلى عشر مقالات تسبقها مقدمة وتلحقه خاتمة .

وقد ركز المؤلف في المقالة الأولى على التعريف بصناعة الإنشا وكل ما يتعلق بها لتكون المدخل إلى باقي المقالات التي بيّن فيها أهمية معرفة المسالك والممالك ، والدول والبلدان التي لها علاقة بين البلاد الإسلامية خاصة منها مصر ،كما أشار إلى منتجاتها وصادراتها ووارداتها ، وذكر المكاتبات المتبادلة بينها من المهادنات وعقود الصلح . كل هذا يدلّ على ثقافة القلقشندي الواسعة والشاملة من الناحية الجغرافية التاريخية والأدبية والدينية والسياسية وحتى الاقتصادية .

4-4-9 عصر المؤلف

لقد عاصر القلقشندي نهاية العصور الوسطى، عاش الانقلابات والانتفاضات الهائلة التي اهتز لها كيان العالم الوسيط من أساسه في الفكر والسياسة والاقتصاد والحرب . ولقد شمل هذا التغيير شتى مرافق الحياة ومختلف أوجه النشاط في المجتمع الإنساني [67] تحدث عن مصر في أوج قوتها وعظمتها في (القرنيين الرابع عشر والخامس عشرميلادي) فهي أم الممالك حاضرة البلاد دار الخلافة « منبع العلماء » كما أشار إلى سلاطين المماليك الذين تربعوا على عرشها في عصر هو كذلك شاهد الفكرة الصليبية وهي تلفظ أنفاسها في أواخر القرن الرابع عشر ، بشن حملة بطرس الأول « لوسنيان » حاكم قبرص اللاتيني على الإسكندرية سنة 767 هـ- 1365 م) ، وكان ذلك في عهد السلطان المملوكي الأشرف شعبان سلاطين المماليك وهو يمثل أنشط عصور التاريخ المصري في السياسة الخارجية في العصور الوسطى ، لأن مصر في ذلك العصر كانت تبدو في نظر كافة الدول الإسلامية في المشرق والمغرب قاعدة الخلافة العباسية[68] فقد بدت مصر في ذلك العصر وفي نظر القوى غير الإسلامية وخاصة المسيحية صورة لمركز المقاومة الإسلامية وقلب العالم الإسلامي النابض والقوة المتحكمة في مفصل الطرق التجارية بين الشرق والغرب [69] .

4-4-10 حركة تأليف الكتب في عصر القلقشندي :

إنّ طبيعة الموضوع تفرض علينا أن نتعرف على نشاط حركة التأليف من مؤلفين ومجال فكري وأدبي للمؤلفات. ومن بيّن المؤلفين الذين تعمقوا بدراسة عصر سلاطين

---

67 القلقشندي ،صبح الأعشى .- ج3 ص 376
68 المرجع السابق ، أبو العباس القلقشندي و كتابه صبح الأعشى ،ص 62
69 المرجع نفسه ، أبو العباس القلقشندي وصبح الأعشى ، ص 63 .

ماليك الذي يبدأ منذ سقوط بغداد سنة (656هـ)على الإستيلاء العثماني للقاهرة سنة 92هـ) من كل جوانبه السياسية و الدينية و الثقافية : المؤلف « محمود رزق سليم » [70]إذ صنا على مؤلفات هذا العصر باتت ودون مبالغة تعدّ بالآلاف و الدليل على قوله أن المؤلف حد منهم ألف مئات الكتب و الرسائل ، كالسيوطي مثلا الذي ألفّ الإتقان في علوم القرآن زهر في علوم اللغة وحسن المحاضرة في التاريخ وتاريخ الخلفاء ، و الجامع الكبير في ث وغيرها من المؤلفات إذ بلغت مؤلفاته نحو ستمائة كتاب ورسالة في علوم شتى ولقد ث من ستمائة كثرت المؤلفات الدينية في علوم القرآن والحديث و التفسير و الأصول و الفقه رها من أشهرها فتاوى ابن تيمية (تـ 728هـ/1328م) و التبيان في أقسام القرآن لإبن قيم ية تلميذ ابن تيمية (751هـ/1350م) ([71]) وكتب الشافعية الحنفية وكتب المالكية نابلية في الفقه و أصوله وكتب تفسير القرآن الكريم وما يتصل به([72]) في اللغة و علومها لسان العرب لابن منظور الإفريقي المتوفي سنة (630هـ) . ومن الشروحات تاج س للسيد محمد مرتضي الزبيدي . وحسن التواصل في صناعة الترسل لشهاب الدّين . ومسالك الأبصار لإبن فضل الله العمري توفي (تـ 749هـ- 1348م) و المستظرف في مستظرف للأشبهي .

قد كانت عنايتهم كبيرة بتأليف كتب التاريخ العام خاصة .ومن مزايا بعض هذه الكتب الروح النقدية فيها ،مع حسن الضبط و التحري . على رأس القائمة كتاب «العبر وديوان في أيام العرب و العجم و البربر» لمؤلفه المعروف ولي الدّين عبد الرحمن ابن خلدون اية و النهاية» لإسماعيل أبو الفداء المعروف بابن كثير ، ثم « تاريخ الدول و الملوك » الديّن بن الفرات .

ب تراجم الأعلام ، هذا النوع من الكتب أكثر عددا و أوفرها عناية و أفضلها ضبطا ا سعة ، و أضخمها استيعابا و أوسعها تناولا . ولا تحوي حياة أعلام العصر نفسه رين لهم وغير المعاصرين فحسب ، بل احتوت كثيرا من نواحي العصر الروحية ،الاجتماعية ،السياسية و العلمية وما إلى ذلك . ومن مؤلفات التراجم المشهورة وفيات لابن خلّكان الذي اشتهر بحسن الضبط ودقّة النقل ، و الضوء اللامع لمؤلفه شمس

د رزق سليم ،عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي و الأدبي .- ج 3 .- القاهرة : المطبعة 1955.- ص109

الركابي .الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار .- الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، 1970 . ص129

رزق محمود ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي .- ج3 . – ص ص 131- 137-139-141

الدّين السخاوي ، وهو كتاب جامع لأعلام القرن التاسع الهجري . وكتاب تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام لشمس الدين الذهبي توفي سنة (748هـ) وكتاب الوافي بالوافيات لصلاح الدّين بن أيبك الصفدي ، وقد عرف بضخامته وسعته .

أما كتب تاريخ الخطط والآثار فهي تتحدث عن البلاد والمدن والمواضع ، ووصفت بناءها وتاريخ هذا البناء ، فهي عبارة عن جغرافية تاريخية مثالنا عن هذا النوع من المؤلفات يتمثل في كل من المواعظ والاعتبار بذكر الحفظ والآثار لتقي الدّين المقريزي ، فقد اشتهر بالدقّة والصدق و يعتبر عمدة كثير من الباحثين . وله أيضا كتاب الروضة البهيجة الزاهرة في حفظ المعزية القاهرة ، وتقويم البلدان لأبي الفدا إسماعيل (تـ 732هـ) و« نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر» لمؤلفه شمس الدّين الدمشقي وهو في هيئة الأرض وأقاليمها . ورحلة ابن بطوطة، و«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لشهاب الدّين بن فضل الله العمري (تـ 749هـ- 1348م) مرة ثانية وهو «موسوعة» ضخمة أيضا في أكثر من عشرين مجلّد، كذلك نجدهم ألفوا الكتب الدينية ومؤلفي هذا المجال ،على سبيل الذكر نجد كل من سراج الدّين البلقني وابن القيم الجوزية ، وتقي الدّين السبكي . وقد ملأت هذه المؤلفات دور الكتب المصرية عاصمة النشاط الفكري آنذاك . لقد كان عصر المماليك من العصور الذهبية في تاريخ الحديث ومصطلحه ، بحيث كثر الحفاظ وعنوا بالرواية عناية تامة على الرغم من انتشار الخطّ وكثرة الخطاطين([73]).

ولم يقف نشاط التأليف عند هذه العلوم المذكورة بل شمل كل الفنون المعروفة آنذاك في الطبيعيات ظهر كتاب الحيَل أو الجامع بين العلم والعمل لأبي العز ابن الرازي الجزري في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري([74]) ، وفي علم الحيوان ألفّ كمال الدين الدميري المتوفي سنة(808هـ) كتاب الحيوان الكبرى([75]) ، كما نضجت في هذا العصر علوم أخرى في فنون الحركات العسكرية والصيّد والفروسية... ([76])

---

[73] المرجع السابق ، عصر سلاطين المماليك..، ص 142 – 143 .
[74] جودت الركابي . الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار،دمشق : دار الفكر ،1982.- ص 132
[75] كما ل الدين بن موسى الدميري. حياة الحيوان الكبرى .- الجزء الأول .- القاهرة : مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاوه، ، 1956. 602ص.
[76] المرجع نفسه ، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار .- ص133

5-5 كتاب صبح الأعشى مصدرا للمعلومات :

5-5-1 المعلومات التاريخية الاجتماعية :

إنّ كثرة المؤلفات والتصانيف التي بدأت تظهر في عصر سلاطين المماليك في مص والشام ومختلف البلاد الإسلامية برزت إلى الوجود بشكل واضح في كل فنون المعرفة و لون من ألوان الثقافة إلاّ وطرقه مؤلفو ذلك العصر ، وما كان ذلك إلاّ نتيجة لنشاط حر علمية كبيرة.

فالمتأمل في التراث العلمي الضخم الذي خلفته أيام سلاطين المماليك لابدّ أن يلفت الانتباه بإ نظرة عليه ، فعناية مؤلفي وعلماء ذلك العصر بتأليف الكتب الموسوعية الضخمة التي يتن فيها الكتّاب موضوعا واحدا مثل كتب الحوليات التاريخية وكتب التراجم أو كتب الطبق والتصوف والأدب والفقه ، فإننا نجد أنّ مؤلفي عصر المماليك اهتموا بهذا النوع من الكت الشاملة التي يضمّ الكتاب الواحد منها ، فروعا متعددة من المعرفة .

فإذا كانت عناوين هذه الكتب توحي بمعالجة موضوع واحد كالأدب في « نهاية الأ في فنون الأدب »لأحمد بن عبد الوهاب النويري (تـ 733هـ-1333م) على سبيل المث أوكتاب «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» للقلقشندي ، فمؤلفه يشير إلى فن الكتابة على و التحديد لكن إذا ما اطلع القارئ على أيّ منهما فإنه فيجدهما بحجم « موسوعة» تجمع ب الأدب والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع والعلوم الدينيّة ونظم الحكم والفنون والعلو وغيرها من فروع المعرفة التي تجعل منها دائرة معارف ثمينة يفخر بها الفكر العربي وت بها الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى .

أما كتابنا صبح الأعشى الذي نخصه للدراسة ، فهو يحتل مكانة خاصة بين هذه الك الموسوعية التي حفل بها عصر المماليك ، نظرا لوفرة مادّته وتنوعها ، ومكانة مؤلفه وس أفقه وغزارة علمه لأهمية وحساسية المنصب الذي تقلده في الدولة .

فالكّتاب بوصفه مصدرا لتاريخ الدولة الإسلامية عامة وتاريخ مصر خاصة ، فهو يلق كثيرا من الضوء على أوضاع مصر في تلك العصور . إذ يحوي معلومات هامّة تاريخي وعن الأنظمة الداخلية والعلاقات الخارجية ، بالإضافة إلى الحياة الاقتصادية والاجتماعي والعلمية والدينيّة . وغيرها فهو حينما يتعرض للتاريخ يقول : « أنّ التاريخ بحر لا ساحل وقد أكثر الناس فيه من التصنيف على اختلاف فنونه ، ما بين مختصر مبسوط ، وم

مقتصر على فن ومستوعب لفنون » (77) . وعن المعلومات التاريخية فهو يتضمن الكثير ويذكر هذه المعلومات تحت اسم « لطيفة أو غريبة أو أعجوبة أوفائدة » . ووصف لنا محاس مصر بتلالها وخلجانها القديمة وبحيراته وجبالها وزرعها ، ثم يصف لنا بعض البلد والمماليك يكون ذلك تحت عنوان المسالك الممالك أو البلدان المحيطة بالديّار المصرية إضافة لوصفه بعض آثار مصر القديمة التي كانت قائمة على أيامه(78) . وصف الإسكندر بمناراتها القديمة ، كما وصف الملعب الكبير أما المعابد القديمة فقد أسماها البرداى ، وقال : إنها بيوت عبادة ، أشار إلى معابد درندة والأقصر وسناء ..» وغيرها . ثم تحدّث عن مل الديّار المصرية وجاء بمعلومات عن تاريخ مصر القديمة على سبيل المثال : « أن محب أخ الثاني ، نقل التوراة من العبرانية إلى اليونانية وقوله أيضا ، « أنّ المسيح عليه السلام ولد ف عهد الإمبراطور أغسطس ، وأنّ الإمبراطور قسطنطين كان أول من اعترف بالمسيحية م الأباطرة وظهر دين النصرانية وحمل النّاس عليه » (79) .

أما عن تاريخ مصر في العصور الوسطى ، منذ الفتح الإسلامي في القرن السابع للمي فهو يذكر من وليّ مصر في الإسلام ، وعمال الخلفاء سواء من الصحابة أوبني أمية العباسين على مصر ، ثم حكام مصر الطولين والإخشيديين والفاطميين وبني أيوب والتر «البحرية» والمماليك حتى أيام القلقشندي نفسه ، في أوائل القرن التاسع الهجري أي على ع السلطان الناصر فرج بن برقوق .

من الناحية الاجتماعية نستطيع أن نرى صورة المجتمع في الكثير مما كتب ، كمعامل الأشراف وأهل الذمة ، وغيرها من الصور التي يمكن استشفافها في رسائل التهاني والتعاز والاعتذار والشكر والشكوى إلى غير ذلك من خلال هذه الرسائل قد أمدنا بصورة واضحة مظاهر الترف والثراء التي عاشاها البلاط سواء في عهد الخلفاء الفاطميين أو عصر سلاط المماليك.

وعن الأعياد الدينيّة ، والمولد النبوي الشريف والمناسبات الملكية ، وما شابه ذلك . فق ذكر البيوت السلطانية كثيرة نذكر على سبيل المثال« الشراب خاناه » ، أي بيت الشراب أنواع المشروبات التي يحتاج إليها السلطان ، غير« المقاعد والمخاد » وغيرها ، والخيام ا

---

[78] القلقشندي، صبح الأعشى .- ج1 .- ص 412

[78] المصدر نفسه ، صبح الأعشى ،ج4 ،ص 305 .

[79] صبح الأعشى ،ج3 .

تلزم السلطان في حله وترحاله ، والسلاح خناه ويسمى « الرزدخاناه » ويشكل أنواع السلاح المختلف ، والحوائج خاناه أي بيت الحوائج الذي يصرف منه مستلزمات المطبخ السلطاني ، كما وصف هيئة السلطان في مختلف المناسبات ، وهيئته في جلوسه بدار العدل ، فيوضح جلوسه وحوله القضاة وكبار رجال الدولة . و من صبح الأعشى يتبّن لنا أنّ سلطان المماليك كان يحتل مكانة على رأس جهاز بيروقراطي ضخم ، يتألف من فريقين كبيرين ، أرباب السيوف و أرباب الأقلام .

ويمدنا أيضا بمعلومات عن هيئة الخليفة الفاطمي في موكبه والاحتفالات الفاطمية بالمناسبات الدينيّة مثل ليالي الوقود ومولد النبيﷺ وإنه كذلك مصدر لتاريخ الدول الإسلامية أو ما يتعلق بسلطنة المماليك ، من بلاد الشام والعراق الحجاز ، فقد ذكر القلقشندي ما بها من نيابات وأقسام إدارية ودواوين ونظم([80]) . وكيف كان نظام البريد المحكم في عهد سلاطين المماليك . وقام القلقشندي يصفه بمهارة ودقّة تنظيم البريد في هذه العصور كما أشار إلى نظام البريد هذا في معظم الدول الإسلامية واهتمام الزنكيين والأيوبين به ، لأنهم قاموا بحركة جهاد واسعة ضد الصلبين ببلاد الشام ، فتطلب منهم نظام بريد محكم للربط بين مختلف أجزاء الدولة بحيث يفسّر القلقشندي بأنّ السلطان « الظاهر بيبرس »هو من أعاد تنظيم هذا البريد وذلك برسم طرق وإنشاء محطات له « فاجتمع له ملك مصر والشام وحلب إلى الفرات» . لضمان إشراف على تلك الدولة الممتدة من النيل إلى الفرات . فمعلومات القلقشندي بهذا تعتبر مصدرا حقيقيا و صورة معبرة عن العصور الوسطى في ظل الدولة العربية الإسلامية . كما يذكر محطات البريد ومراكزه بالتفصيل ، وعن بعض النظم المتبعة في البريد ، يقول : « إنّ صاحب ديوان الإنشاء ، كان هو المتولي لأمور البريد وتنفيذ أموره » . وكان للبريد ألواح من الفضة ، محفوظة بديوان الإنشاء وفي عهدة كاتب السّر،منقوش على وجه اللوح نقشا مزدوجا([81]) . ويخبرنا أيضا عن وسائل الاتصال المختلفة لنقل الأخبار والمعلومات آنذاك من الحمام الزاجل والخيل واهتمامهم الكبير به و« أول من اهتم به من الخلفاء العباسيون ثم الفاطميون ، وأفردوا له ديوانا وجرائد بأنساب الحمام ، حتى دولة المماليك ، فألف فيه « محي الدّين بن عبد الله الظاهر » صاحب ديوان الإنشاء كتابا

---

[80] صبح الأعشى ،الجزء الرابع،ص 180- 184 – 189و الجزء الخامس ،ص 455-465 .
[81] صبح الأعشى ،ج14 ، ص371 – 372

أسماه تمائم الحمائم » ([82]) ويذكر أنه كما كان لبريد الخيل مراكز ومحّطات كذلك كان للحما
الرسائل ، محطات وأبراج ويذكر لنا حتى اسم المناطق والجهات المتواجدة بها([83]) .

2-5-5 المعلومات (الاقتصادية - التجارية) في « الموسوعة» :

يحتوي صبح الأعشى على معلومات تجعل منه مرجعا هاما لتاريخ الاقتصادي للدول الإسلامية في العصور الوسطى ، و هذه المعلومات المختلفة متمثلة : في الزراعة في المعاملات الداخلية المالية وفي التجارة الخارجية ([84]) . وقد قال القلقشندي في هذا أنّ الأرض صنفان : « أرض الزراعة وتقاس بالقبضة الحاكمية نسبة إلى الحاكم وبأمر الله الفاطمي وطولها ثمانية أذرع بذراع اليد التي تساوي ست قبضات بقبضة إنسان معتدل ، وكل قبضة أربعة أصابع ، أما أرض البنيان فتقاس بذراع يعرف بذراع العمل ، طوله ثلاثة أشبار بشبر رجل معتدل ، وأما الأقمشة فيقول أنها تقاس في القاهرة بذراع طوله بذراع اليد وأربعة أصابع مطبوقة.. » ويزيد عليه ذراع القماش بالفسطاط وبعض الشيء وربما زاد في بعض نواحي الدّيار المصرية أيضا أو نحو ذلك ولغير القماش من الأصناف أيضا ذراع بخصه ([85])

كما يمدنا القلقشندي بمعلومات عن الأسعار في عصره فيقول : إن سعر أردب القمح بل خمسة عشر درهما ، والأرز فوق ذلك ، واللحم حوالي نصف درهم للرطل ، وللدجاج الجيّد منه درهمان إلى ثلاثة للطائر ، وللسكر الرطل بدرهم ونصف والمكرر منه بدرهمين ونصف ويقول أيضا :« إنّ هذه الأسعار بقيت إلى ما بعد (780 هـ)عندما غلت الأسعار وتزايدت في كل صنف من ذلك ، وغيره » ([86]) . فإذن كيف لنا أن نعلم معلومات في الأسعار مثلا في ذلك الوقت لولا مصدر كصبح الأعشى .

أما عن المالية العامة في العصور الوسطى في الدولة الإسلامية فهي المعبّر عنها في الموسوعة عن الإيرادات والمصروفات فالإيرادات عبارة عن الموارد الأساسية لبيت المال وهي قسمان شرعية وغير شرعية . الموارد الشرعية أولها المال الخراجي ، أي ضريبة الأرض والخراج من قمح – شعير – حمص – فول – عدس و بصل .

والمورد الثاني من الموارد الشرعية ، كان يستخرج من المعادن مثل الزمرد والشب والنظرون، وجميعها احتكرها السلاطين لشدة طلب الأوربيين عليها وليس لأحد أن يبيعه أ

---

[82] نخبة من الأساتذة ، أبو العباس القلقشندي و كتابه صبح الأعشى ،ص 42 .
[83] صبح الأعشى ،ج 14 ، ص389 – 394 .
[84] صبح الأعشى ،ج 3 ، ص 448 – 449 .
[85] صبح الأعشى ،ج 3 ،صص446- 447
[86] صبح الأعشى ،ج3 ، ص 447- 448 .

يشتريه سوى الديوان السلطاني ، وإذا وجد مع أحد من صنفه استهلك (صودر)([87]) المورد الثالث لبيت المال ، هو الزكاة ، والرابع هو الجوالي أي الجزية المقررة على أهل الذّمة أي من ليسوا مسلمين في كل سنة وكانت ضئيلة القيمة في عصر القلقشندي تراوحت بين خمسة وعشرين درهما وعشرة دراهم .

المورد الخامس ما يؤخذ من تجار الكفار القادمين في البحر إلى الدّيار المصرية ([88]) والمورد السادس وهو المواريث الحشرية ويقصد بها مال من يموت وليس له وارث خاص . والمورد السابع هو ما يتحصل من دار الضرب ، ثلاثة أصناف : الذهب والفضة والنحاس مقابل ضرب معدنه وتحويله إلى دنانير أو دراهم أو فلوس بعد ضبط عيارها([89]) أما الموارد غير الشرعية وهي المكوس التي لا يوجد لها سند شرعي يبرز فرضها وهي مفروضة على المتاجر وخاصة التوابل منها([90]) وإضافة إلى كل هذه المعلومات التي تبدو بسيطة ، إلاّ لها من الأهمية البالغة عند الباحثين والدارسين كل في مجاله .

والقلقشندي يوضح لنا السياسة النقدية ، من خلال أنواع العملة المتبادلة وله في هذا حديث طويل ، كما لا ننسى المعلومات المتعلقة بالتجارة الخارجية في البلاد الإسلامية في عصورها الوسطى لاسيما عصر سلاطين المماليك وكذا موانئها التجارية وعلاقات التجارية مع دول الشرق والغرب جميعا في تلك الفترة .

3-5-5 المعلومات السياسية :

إنّ نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية ومصر آنذاك ، ظلت منذ الفتح العربي حتى بداية الدولة الطولونية مجرّد « نيابة » لأن الخلافة يومئذ كانت في غاية العزّ والمجد السلطاني ، ونيابة مصر كسائر النيابات مضمحلة في جانبها([91]) ونظم الحكم والإدارة السائدة فيها لا تختلف كثيرا عن سائر النظم المطبقة في بقية بلاد الدولة الإسلامية . ويقول القلقشندي في كتابه دائما صبح الأعشى أنّ « أحمد بن طولون » رتب الدواوين في مصر لتتخذ طابعا مصريا خاصا .

وإنّ القلقشندي قد تكلم بإسهاب عن الدواوين في الدولة الفاطمية ، والوزارة والأقسام الإدارية الكبرى التي انقسمت إليها مصر في ذلك العصر، لأنها من صلاحيات منصبه. ومكانة

---

[87] صبح الأعشى ،ج3 ص 459- 460 .
[88] صبح الأعشى ،ج3 ، ص 463 .
[89] صبح الأعشى ، ج3 ، ص465 – 468 .
[90] صبح الأعشى ،ج 3 ، ص470 – 471 .
[91] صبح الأعشى ،ج1،ص 28 .

كل وال من الولاة المشرفين على هذه الأقسام فهو صورة واضحة عن النظم الإداري في مصر أيام الفاطميين . وإذا انتقلنا إلى ما بعد هذه الدولة ، وجدنا أنّ الدولتين الأيوبية والمماليكية تكونان وحدة من حيث نظم الحكم والإدارة ، بمعنى أنّ كثيرا من التنظيمات التي وضعت أسسها كان من أيام الأيوبيين ، واستمرت قائمة ومطبقة على أيام حكم المماليك أصول هذه التنظيمات ترجع إلى عصر الأيوبيين وهذا ما يقوله القلقشندي : «ما استقر عليه الحال ابتداء الدولة التركية على زماننا على رأس الثمانمائة ، مما أكثره مأخوذ من ترتيب الدولة الأيوبية التي هي أصل الدولة التركية (المماليكية)» ([92]) .

ويمدنا كتاب صبح الأعشى بمعلومات قيّمة عن النظام الإداري في مصر في عصر السلاطين المماليك فيقول : إنّ مصر ثلاث نيابات ، كلها مستحدثة . « أي استحدث قبل الوقت الذي كتب فيه القلقشندي موسوعته » ([93]) في أواخر القرن الثامن للهجرة الرابع عشر ميلادي . وثمة وظائف معينة احتكرها الأمراء من أرباب السيوف في عصر سلاطين المماليك القلقشندي عدّها في خمسة وعشرين وظيفة ، وبها كثير من المعلومات عن طبيعة كل وظيفة واختصاصات صاحبها والشروط الواجب توافرها فيه ، أما أرباب المناصب من حملة الأقلام فكانت لهم وظائف عديدة كثيرة للغاية لا يسع تضمن شرحا لبيانات عن النظام الإداري بمصر

ومن هذه الوظائف أيضا « الوزارة » التي كان مفروضا أن يكون صاحبها الرجل الثاني في الدولة ولكن حدث بعد إنشاء وظيفة نيابة السلطنة أن تضاءل شأن الوزارة وتأخر وقعد بها مكانها .. « ومن وظائف حملة الأقلام الهامة أيضا كتابة السّر أي قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها ووظيفة نظر الخاصة ، وهي وظيفة محدثة أحدثها السلطان الناصر محمد بن قلاون يختص صاحبه بالتحدث فيما هو خاص بمال السلطان ووظيفة نظر الجيش وموضوعها التحدث في أمر الإقطاعات([94]) ، والمجال لا يتسع لشرح بيانات عن النظام الإداري بمصر وعرض كافة المعلومات والأخبار المتنوعة التي كتبها القلقشندي في كتابه « صبح الأعشى » ، من الإقطاع في الدولة الإسلامية ومصر خاصة في عصر الدولتين الأيوبية والمماليكية، وذلك ما أثّر في النظام الإداري والاقتصادي و يتأسف القلقشندي، لعدم التزام الحكام بالشريعة في الإقطاع وعمت بذلك البلوى ولله المستعان في

---

[92] المصدر نفسه ،ج 7 ،ص 119 .

[93] مجموعة أساتذة. أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى ،ص37 .

[94] الإقطاع يكون تمليكا وغير تمليك .استقطع فلان الإمام قطيعة فأقطعه إياها إذ سأله أن يقطعها له ويبنها له فأعطاه إياها. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور .- ط3.مج 8.- بيروت :دار صادر ،1994.وعـ الخوارزمي بأن يقطع السلطان رجلا أرضا فتصير له ويؤدي عشرها وتسمى تلك الأرضون قطيعة . راجع هذا مفاتيح العلوم ص 110

الأمور كلها» ([95]) . ووظيفة ناظر الداووين المعمورة ، وغير ذلك من الوظائف العديدة باشرها أرباب الأقلام ذكرها القلقشندي في صبح الأعشى([96]) ، ويذكر أيضا أنّ السلط الظاهر بيبرس » عيّن عام(663 هـ) أربعة قضاة من مذاهب الأئمة الأربعة .

إن هذا الكتاب يعتبر بالنسبة للأمة العربية والعالم المحيط بها ، دائرة معارف في النواحي الأدبية ،التاريخية الجغرافية ،الاجتماعية والاقتصادية ،السياسية والعسكرية والفك وعلى الرغم من مرور مئات السنين على وفاة مؤلفه ، إلاّ أن الكتاب لا يزال اليوم مص أساسيا يرجع إليه طلاب العلم والمعرفة ، في كثير من المعارف والعلوم إضافة إلى أهميته يتعلق بالعلاقات بين الدول آنذاك في فترة من أدق فترات التاريخ ، وعلى الرغم من الدراس التي صدرت عنه وعن مؤلفه ،لا يزال صبح الأعشى كنزا لما يحويه من نفائس ، ومنجم يستغل الاستغلال الكافي .

كما يشير إلى محطات البريد ومراكزه بالتفصيل ، وعن بعض النظم المتبعة في البري يقول: إنّ صاحب ديوان الإنشاء ، كان هو المتولي لأمور البريد وتنفيذ أموره . وكان للبري ألواح من الفضة ،محفوظة بديوان الإنشاء وفي عهدة كاتب السّر ، منقوش على وجه اللـ نقشا مزدوجا([97]).

كما أنه يعدّ مصدرا مهما عن السياسة الخارجية لمصر في العصور الوسطى ، وفيـ ثروة كبيرة موزعة توزيعا غير متكافئ بين مختلف أجزاء موسوعة صبح الأعشـى ، وقـ حرص القلقشندي فيه على أن يأتي بأمثلة لا حصر لها للمكاتبات المتبادلة بين حكام مصر م ناحية وبقية حكام العالم مسلمين ومسيحيين من ناحية أخرى وكذلك يـروي القلقشـندي أنـ ارتبطت ارتباطات قويّة بين اليمن ومصر وكان ذلك في أوائل عهد الدولة الأيوبية ، عنـد فتحها صلاح الديّن يوسف . أما الحجاز فكانت تربطهم روابط التبعية بسـلاطين المماليـك وأيضا الروابط التي ربطت عرب البحرين بسلطنة المماليك .

أما عن الدول الإسلامية في شمال إفريقية فيفهم من كان حكامهم قد ربطـتهم بسـلاطي المماليك بمصر روابط المودّة .

أما عن علاقة المماليك ببقية بلاد المغرب الإسلامي مثل بني زيان في تلمسان([98]) وبني مري في فاس ، فيلاحظ أنها تأثرت بما كان هناك من صداقة بين سلطنة المماليك وبني مرين فـ

[95] صبح الأعشى ج 13 ، ص 117 .
[96] المصدر نفسه ، ج4 ،ص 24- 28 .
[97] المصدر السابق،ج14 ، ص371 – 372
[98] انظر نموذج من المكاتبات التي احتوتها « موسوعة القلقشندى » في الملحق رقم 2

الوقت الذي ساءت فيه العلاقات بين بني زيان وبني مرين ، يدل ذلك على ما جاء في ص
الأعشى من رسائل أرسلها بنو مرين إلىسلاطين المماليك يبشـــرونهم بمـــا أحـــرزوه
انتصارات على خصومهم بني زيان ، وكيف أنّ سلاطين المماليك وبصفة خاصـــة الناص
محمد بن قلاون أرسلوا ردودا تفيض بعبارات المحبة والإخلاص لبني مرين(99) كما أر
صاحب تلمسان على حد قول القلقشندي إلى سلاطين المماليك رسائل يعبرون عن ودهم
تخل رسائلهم عدّة مرات لتأييد سلاطين مصر لخصومهم بني مرنين فيما قوله:«وقـــد وج
شكركم علينا من كل الجهات ، واتصلت المحبة والمودة طول الحياة غير أنّ في قلوبنا شي
ميلكم إلى غيرنا» (100) وهذا دليل على قوة الرابطة بين سلطنة المماليك في مصر وملـ
المغرب العربي ، خاصة . فقد تحدث القلقشندي عن منطقة شمال إفريقية ، ثـم يكملـه ع
غربها ويذكر الدول الإسلامية كما ذكرها في صبح الأعشى هي : « البرنو والكانمو التر
وصلاتها بين مصر في العصور الوسطى أما شرقها فيخصه بالذكر عن الحبشة ويقول إ
دولة مسيحية نظرا لتبعية كنيسة الحبشة للكنيسة المرقسية بالإسكندرية وغيرها من الأخبار

أما فيما يتعلق بالدولة البيزنطية ، فمن خلال كتاب « صبح الأعشى » نقرأ أنّ العلا
بينها وبين المماليك أخذت طابع المهادنة والسلم . وفي الكتاب نجد يّعرب لبعض المصطل
والألقاب الأجنبية ، بمنتهىالبساطة مثل لفظ « Constable» كتبه القلقشندي كندسطبل، و
«Doge» كتبه دوج ودوك ولفظ « Capitaine» كتبه قبطان وغيرها من الألفاظ التي ح
القلقشندي أن يعربها على طريقته . لكننا نجده دائما يركز اهتمامه على المصطلحات المتعا
عليها المفروض استخدمها في زمانه وقبله الخاصة بفن الكتابة ونجد ذلك على مستوى
الأجزاء .

نستخلص من هذا بأنّ العلاقات والروابط كانت عديدة ، ربطت سلطنة المماليـــك بجنـ
والبندقية ونابلي في إيطاليا ، وطليطلة وبرشلونة وأرغونة بإسبانيا . والعلاقات الكثيرة قد أش
إليها القلقشندي في كتابه في الشرق والغرب بين مصر والدول الإسلامية وغيرها من العلاق
الأوروبية(101) ، فهي وثائق يمكن أن توضح للحكام فن السياسة وتمسكهم بآداب المعا
الديبلوماسية . من ذلك ما جاء في صبح الأعشى من نص رسالة فريدة أرسلها صلاح الـ

---

99 المصدر نفسه ، صبح الأعشى،ج7 ،ص389 .وج8 ،ص99 .
100 نفسه صبح الأعشى ،ج7 .- ص379- 384 ،ج8 ص 79- 84 .
101 انظر النموذج من مكاتبات « موسوعة القلقشندى » في الملحق رقم 3

الوقت الذي ساءت فيه العلاقات بين بني زيان وبني مرين ، يدل ذلك على ما جاء في صبح الأعشى من رسائل أرسلها بنو مرين إلىسلاطين المماليك يبشرونهم بما أحرزوه من انتصارات على خصومهم بني زيان ، وكيف أنّ سلاطين المماليك وبصفة خاصة الناصر محمد بن قلاون أرسلوا ردودا تفيض بعبارات المحبة والإخلاص لبني مرين[99] كما أرسل صاحب تلمسان على حد قول القلقشندي إلى سلاطين المماليك رسائل يعبرون عن ودهم ولم تخل رسائلهم عدّة مرات لتأييد سلاطين مصر لخصومهم بني مرنين فيما قوله:«وقد وجب شكركم علينا من كل الجهات ، واتصلت المحبة والمّودة طول الحياة غير أنّ في قلوبنا شيئا من ميلكم إلى غيرنا» ([100]) وهذا دليل على قوة الرابطة بين سلطنة المماليك في مصر وملوك المغرب العربي ، خاصة . فقد تحدث القلقشندي عن منطقة شمال إفريقية ، ثم يكمله عن غربها ويذكر الدول الإسلامية كما ذكرها في صبح الأعشى هي : « البرنو والكانمو التركو» وصلاتها بين مصر في العصور الوسطى أما شرقها فيخصه بالذكر عن الحبشة ويقول إنها دولة مسيحية نظرا لتبعية كنيسة الحبشة للكنيسة المرقسية بالإسكندرية وغيرها من الأخبار...

أما فيما يتعلق بالدولة البيزنطية ، فمن خلال كتاب « صبح الأعشى » نقرأ أنّ العلاقات بينها وبين المماليك أخذت طابع المهادنة والسلم . وفي الكتاب نجد يّعرب لبعض المصطلحات والألقاب الأجنبية ، بسنتهىالبساطة مثل لفظ « Çonstable» كتبه القلقشندي كندسطبل، ولفظ «Doge» كتبه دوج ودوك ولفظ « Capitaine» كتبه قبطان وغيرها من الألفاظ التي حاول القلقشندي أن يعربها على طريقته . لكننا نجده دائما يركز اهتمامه على المصطلحات المتعارف عليها المفروض استخدمها في زمانه وقبله الخاصة بفن الكتابة ونجد ذلك على مستوى كل الأجزاء .

نستخلص من هذا بأنّ العلاقات والروابط كانت عديدة ، ربطت سلطنة المماليك بجنوا والبندقية ونابلي في إيطاليا ، وطليطلة وبرشلونة وأرغونة بإسبانيا . والعلاقات الكثيرة قد أشار إليها القلقشندي في كتابه في الشرق والغرب بين مصر والدول الإسلامية وغيرها من العلاقات الأوروبية([101]) ، فهي وثائق يمكن أن توضح للحكام فن السياسة وتمسكهم بآداب المعاملة الديبلوماسية . من ذلك ما جاء في صبح الأعشى من نص رسالة فريدة أرسلها صلاح الديّن

---

[99] المصدر نفسه ، صبح الأعشى،ج7 ،ص389 .وج8 ،ص99 .
[100] نفسه صبح الأعشى ،ج7 .- ص379- 384 ،ج8 ص 79- 84 .
[101] انظر النموذج من مكاتبات « موسوعة القلقشندي » في الملحق رقم 3

أما الآن فقد قلت عناية الملوك بخزائن الكتب ، واكتفوا بخزائن كتب المدارس التي تبنوها من حيث إنها بذلك أمّس . ويقول أيضا أن «الكتب المصنفة أكثر من أن تحصى ، وأجل من أن تحصر ؛لاسيما الكتب المصنفة في الملة الإسلامية فإنه لم يصنّف مثلها في ملة من الملل ، ولا قام بنظيرها أمة من الأمم ؛ إلاّ أن منها كتبا مشهورة قد توفرت الدواعي على نقلها والإكثار من نسخها ، وطارت سمعتها في الآفاق ورغب في اقتنائها » ([104]).

تحدث عن أسواق العرب المعروفة قبل الإسلام ، وعن المعاملات والخراج والجزية والعمارة والزرع والصناعات واللباس والحرب وآلاته . والأسماء والألقاب والضيّفان ووجوه البر فيذكر مثلا غرائب تتعلق بالخلفاء وبالملوك وغرائب تتعلق بسرة الناس([105]) وأصحاب النوادر وأجواد الإسلام ويسرد لنا بعض الشخصيات التي كانت في زمانها يضرب بها المثل **كزرقاء اليمامة في حدّة البصر وأرسطوطاليس في الحكمة وحاتم الطائي في الكرم وأبقراط في الطب وكعب بن مامة في الإيثار وعلي كرم الله وجهه في القضاء وابن سيرين في تفسير** الرؤيا وعمرو بن العاص في الدهاء([106]) وغيرهم كثرين . ويذكر أيضا الملوك من أصحاب العاهات والأسماء والألقاب وفي أقوال الشعر والغناء – النساء – الموت والدفن – أمور تنسب إلى العصر الجاهلي – والفقه وبالأنبياء عليهم السلام – الخلافة وما يتعلق بها – أمور تتعلق بالملوك ، الأمراء والوزراء– القضاة – الأمور العلمية– الخطابة– الخط– كتابة الإنشاء– كتابة الأموال وما في معناها– الخراج والجزية – المعاملات – العمارة – الزرع – صناعات لباس الحرب وآلاته – الأسماء والألقاب – الطبقات – وجوه البر – الأعياد والمواسم . وهذه الأمور كلها يدرجها تحت عنوان الأوائل .

كما يخصص فصلا كاملا من المقالة العاشرة يسميه الهزليات يذكر فيه سائر أنواع الهزل. وعلى سبيل ذكر صبح الأعشى يورد لنا معلومات كثيرة ومفصلة عن أنواع و أصل الأحجار الكريمة كالزمرد والماس والياقوت وغيرها .. بوصفه لها مع ذكر الأماكن العربية والأجنبية المتواجدة بها ،أنواعها وخصائصها المتميزّة.

لقد ضمن صبح الأعشى رسالة في المفاخرة بين العلوم جمع فيها القلقشندي قرابة السبعين علما ، يفاخر بعضها بعضا وقد احتلت ما يقارب الثلاثين صفحة من المجلدّ الأخير من «الموسوعة» ، **فشملت علوم اللغة ، النحو الشعر، العروض الموسيقى ، الطب ، وقص الأثر**

---

[104] المصدر نفسه ،صبح الأعشى .- صص466- 467
[105] صبح الأعشى ،ج1.- ص 446
[106] صبح الأعشى ،ج1.- ص 453

وخط الرمل وتعبير الرؤيا وأحكام النجوم ، وعلم الهيئة والأرصاد والمواقيت والهندسة وعق
الأبنية ومراكز الأثقال ، والفلاحة وأنباط المياه والآلات الحربية والكيمياء والحساب النحـ
والجبر والمقابلة وحساب الدرهم والدينار وحساب الدور والوصايا ،والفقه ودراية الحـدي
ورواية الحديث والتفسير وأصول الدّين والتصوف وتدبير المنزل والفراسة إلى غير ذلك مـ
العلوم التي بلغت سبعين عالما كماهي مذكورة في صبح الأعشى .

5-5-5 الكتابة عند القلقشندي :

إن القلقشندي قد أمدنا بمعلومات قيمة ، أخرى إضافة إلى ما سبق ذكره فيما يتعلق بفـ
الكتابة ، وما يتعلق بها عن الخط أو القلم ، فنراه يتحدث عن الخط وما ورد بشأنه في القر
الكريم «اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ،علّم الإنسان ما لم يعلم» «ن والقلم وما يسطر
ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإنّ لك لأجر غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم » ثم يـذكر مـ
ورد على كثيرين منهم قول عبيد الله بن العباس الخط لسان اليدّ وقول مسلم بن الوليد :«
عجائب الله تعالى في خلقه وإنعامه عليه من فضله تعليمـه إيـاهم الكتابـة المفيـدة للبـا
والمخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات متفرقة في معان معقولة بحروف مؤلفة من أ
وباء وجيم وذال متباينات الصور مختلفات الجهات لقاحها التفكير ونتاجها التأليف تخـر
منفردة وتنطق مزدوجة بلا أصوات مسموعة » .

وعن بيان حقيقة الخط يقول القلقشندي : إنه علم تتعرف منه صور الحروف المف
وأوضاعها وكيفية تركيبها خطا أو ما يكتب منها في السطور وكيف سبيله أن يكتب و
يكتب وإبدال ما يكتب منها في الهجاء وبماذا يبدل»، ثم يضع فصلا لبيان المقصود من وض
و الموازنة بينه وبين اللفظ فيقول : « إن المقصود من وضعه أداء المعنى المشعور به للمس
إذ لا وقوف على ما في الذهن ووضع الخط لأداء اللفظ المقصود فهمه للناظر فيه ، فإذا
إيقافك أحد على ما في ذهنك من المعاني تكلمت بألفاظ وضعت له ، وإذا أردت تأدية أ
لذلك الإيقاف إلى غير أحد بغير شفاه نقشت النقوش الموضوعة لتلك الألفاظ ، فيطالع
النقوش ، ويفهم منها تلك الألفاظ،ومن الألفاظ تلك المعاني . ويستمر في المقارنة بين ا
واللفظ ، والتشابه بينهما بدرجة كبيرة جدّا حتى أطلق على القلم اسم اللسان فقالوا :
الأقلام ألسنة الإفهام ، والقلم أحد اللسانين . ويحدثنا عن وضع الحروف إلى آدم عليه السـ
والنظرية الاصطلاحية التي تنسب وضع الحروف إلى جماعة من طيء » ([107]).

---

[107] مجموعة أساتذة .أبو العباس القلقشندى و كتابه صبح الأعشى ، ص75 .

و يفصل في الحديث عن الحروف بين صورها وكيفية ترتيبها وتداخل أشكالها والحث على تحسين الخط . ثم يتحدث عن هندسة الحروف ومعرفة صحتها مبتدئا من الألف إلى الياء واصفا كل حرف وما يجب أن يتوفر فيه من شروط ليكون خطا محققا وأساس الخط عندهم عملية هندسية أساسها النقطة والدائرة .. ويتحدث أيضا عما يجب على الكاتب أخذه بعين الاعتبار عند الكتابة ثم حركة اليد بالقلم في أثناء الكتابة . ثم ينتقل بعد ذلك للحديث عن الأقلام المستعملة في ديوان الإنشاء في زمانه ومقدار قطع الورق المناسب لكل قلم ويذكر أنها سبعة أقلام هي : الطومار ومختصر الطومار والثلث وخفيف الثلث الرقاع ، والمحقق والغبار . وآخر ما يذكره القلقشندي عن الخط فصل عن مراعاة فواصل الكلام ولواحق الخط وهي: النقط والشكل . ويختم كلامه بمراعاة حسن التدبير في قطع الكلام ووصله في أواخر السطور وأوائلها.

هذا ما احتواه كتاب صبح الأعشى بصفة موجزة من معلومات وبيانات وتعاليم عن الخط وأنواعه والشروط التي يجب اتباعها لتجويده وتحسينه وهذا دليل على مقدار العناية التي وجهها المؤلفون والخطاطون والنساخون وغيرهم ،لتوفير كل ما من شأنه أن يساعد الكتّاب على تحسين خطوطهم وتجويدها .فقد تسنى لنا معرفة كل هذه المعلومات بوجود كتاب القلقشندي « صبح الأعشى » .

لا يمكننا حصر كل ما احتواه الكتاب من معلومات جزئية وكلية لأنّ ذلك يتطلب تركيزا أكثر ، ثم إن من خصوصيات هذا النوع من الكتب كمرجع لا يتطلب منا بالضرورة قراءته من أوله إلى أخره بل نستشير معلوماته أو نتحقق من بعضها الآخر في مجال من المجالات .

5-5-6 خصائص الكاتب في نظر القلقشندي:

صفات الكاتب فيما يحتاج إليه كاتب الإنشا من الموادّ والأمور العلمية[108]:

على الكاتب في الحقيقة أن لا يستغني عن علم ولا يسعه الوقوف عند فنّ من الفنون فالكاتب يحتاج إلى التعليق بجميع العلوم و الخوض في سائر الفنون كاللغة التي منه الاستمداد الألفاظ ، والنحو الذي به استقامة الكلام وعلوم البلاغة ومن المعاني و البياني هذا العلم الذي ليس مختصا بفن الكتابة بل هو آلة لكل العلوم كما أن المنطق آلة لكل العلوم العقلية ، التي يحتاج منها إلى تصحيح الفكر[109]) والبديع التي هي مناط التحقيق والتحسين والتقبيح ونحو ذلك . يحتاج الكاتب إلى معرفة بعلوم الطب والهندسة والهيئة ونحوها ، ومعرفة الألفاظ الدائرة بين

---

108 القلقشندي . صبح الأعشى.ج1.- ص 145
109 المصدر نفسه .صبح الأعشى.ج1.- ص185

كل علم ، وإلى معرفة المشهور من أهله ومشاهير الكتب المصنفة فيه لينظم ذلك خلال كلامه فيما يكتب من معلقات كل فن من هذه الفنون.. وعليه أيضا أن يكثر من حفظ الأشعار الرائقة خاصة أشار العرب من المفضليات والأصمعيات وما يلحق بشعر المولدين من العرب كجرير الفرزدق الأخطل والمحدثين كأبي تمام ، ومسلم بن الوليد و البحتري وابن الرومي والمتنبي . ومعرفته بمصطلحات الكتابة ، والمعرفة باللغة العجمية من اللغة التركية والفارسية و الرومية والفرنجية والبربرية وغيرها من اللغات .

<u>5-5-7 وثائق القلقشندي مصدر للمعلومات :</u>

الوثائق هي التي كانت تصدر عن ديوان الرسائل والدواوين الأخرى التي نشأت في الدولة الإسلامية في مختلف العصور الإسلامية ، مثل ولاية العهود وتعيين الوزراء والقضاة والمحتسبين ووثائق الإقطاع والرسائل المتبادلة بين الدول الإسلامية والدول الأخرى، والمعاهدات المعقودة بين الطرفي وقد حفظت لنا في بطون الكتب التاريخية صورا من تلك الوثائق([110]) . وقد قسم العلماء الوثائق العربية بصفة عامة إلى وثائق عامة ووثائق خاصة ويعتمد هذا التقسيم على تقسيم القانون ذاته ، فالوثائق التي تسجل بالكتابة تصرفا قانونيا يخضع لقواعد القانون العام تعتبر من الوثائق العامة . في حين أن التصرفات القانونية التي تخضع لقواعد القانون الخاص تعتبر الوثائق المسجلة من الوثائق الخاصة([111]) .

فالوثائق وغيرها من المدونات لا يمكن لها أن توجد في أمة من الأمم إلاّ إذا توافرت لها ثلاث عناصر ، أشخاص يعرفون الكتابة و القراءة ، ومواد يكتبون عليها وأدوات يكتبون بها وتراث فكري وحقوق يحرصون على تسجليها وتدوينها ثم الرجوع إليها([112]) والأمة العربية الإسلامية تراثها الفكري والعلمي سخي وقيّم . لقد كانت تصدر عن دواوين الدولة والتي قصد بها مؤلفوها تعليم الكتّاب فن الإنشاء والتي تعرف بكتب المصطلح الوثائقي ، مثل: كتاب قانون الرسائل لابن منجب الصيرافي أعظم كتّاب الدولة الفاطمية(542 هـ) ، والتعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري (549 هـ) ، وصبح الأعشى (861 هـ) موضوع دراستنا فمن خلالها يتمكن الباحثون من إلقاء الضوء عليها للاستفادة منها باسترجاع المعلومات التي تهّمهم وتعتبر الرسائل الديوانية الصادرة عن دواوين الإنشاء في حكومات الدولة الإسلامية وثائق ومن أهم المصادر التاريخية من حيث توثيق الخبر ، الذي يرد في الرسائل الديوانية إذ يعتبر

---

110 مصطفى علي أبو شعيع . دراسات في الوثائق و مراكز المعلومات الوثائقية .- القاهرة : دار الثقافة العلمية ، 2001 .- ص119 .

111 المرجع نفسه ،دراسات في الوثائق ، ص 118 .

112 المرجع نفسه ،ص 99 .

أساس اليقين ، فالرسائل الديوانية توضح كثيرا من مفهوم الدارس على ضوء أخبار المؤرخ على ضوء رسائل ديوانية أخرى تكشف عن حقائق لأحداث أو مناسبات أو غير ذلك . و أيضا من الرسائل التي لا يستغني عن الانتفاع بها بعض دارسي التاريخ والجغرافيا ع الخصوص ، بل يمكن القول أنها من المصادر الأولى لفترة تاريخية هامة وضرورية لهم ح يستوفوا من خلالها بحوثهم ، ويكون موضع التقدير ، وباعتبار هذه الوثائق الوسيلة المؤ إلى المعلومات المقصود البحث عنها .

الملاحظ على كتاب صبح الأعشى ، أنه مشبع بالمكتابات الديوانية والرسائل المتع كرسائل الحرب ورسائل الزجر والاستصلاح ، رسائل السياسية والدبلوماسية الرسائل الإدار والرسائل الاجتماعية والأدبية التي يمكن أن يستفاد منها في الأبحاث التاريخية خاصة م التاريخ الإسلامي منذ ظهور النبي ﷺ حتى عصر القلقشندي . فقد تضمن كتاب صبح الأعش الكتب المتبادلة بين النبي وحكام عصره في فارس وبيزنطة ومصر، وبينه وبين زعماء العر في الجزيرة العربية وكذلك المكتابات الصادرة عن حكومات الخلفاء الراشدين ، والأموي والعباسيين والبويهين والسلاجقة الطولونين الإخشيدين والفاطميين والأيوبيين والسلاط المماليك في مصر والشام ، وكذلك المكتابات الصادرة عن حكومات المغرب والأندلس . وه المكاتبات الصادرة عن دواوين الإنشاء ، تتضمن مواضيع متنوعة منها :

– عهود وتقاليد ومراسيم وتوقيعات بتعين الموظفين عسكرين وإدارين وقضائين .

– عقود صلح ومهادنات بين الحكام المسلمين وأعدائهم (كالروم والصلبين والأسبان) .

– رسائل ودية متبادلة بين الحكام بعضهم البعض ، مثل(الكتابين المتبادلين بين صاح « فاس » والسلطان الناصر بن قلاون) .

– رسائل ودية متبادلة بين الحكام المسلمين والحكام غير المسلمين المجاورين لهم مث الكتابين المتبادلين بين القائد أبو الفوارس ختور التركي وبين ملك الروم «وردس قنبر المعروف بعسقلاروس » .

– إجازات بالتدريس والإفتاء ([113]) ورسائل تهاني وتعازي ، وتقاريظ على الكتب والإقطا والنيابة عن السلطنة . وهذه المكاتبات لها أهميتها لدى الباحثين كل في اختصاصه حيث يمك جمع مادة ومعلومات لموضوعه توثيقية .

---

113 انظر النموذج لإجازة القلقشندي نفسه في الملحق رقم 5 .

إنّ اهتمام القلقشندي بجمع هذه المكاتبات في كتابه ليس لأهميتها التاريخية ، أو ليستفيد الناس لما تحتويه من أخبار ، وإنما لكي يستفيد منها كتّاب عصره في ديوان الإنشاء ب الأجيال التالية من ناحية صنعة الإنشاء ، فهي إذن نماذج لأساليب الكتابة الديوانية ها للكتاب ويتبّن غرض القلقشندي هذا ما تبينّه جليا في مقدمته من تأليفه بصفة عامة ل : إنه لما عين في ديوان الإنشاء أنشأ مقامة بناها على أنه« لابد للإنسان من حرفة ق بها،ومعيشة يتمسك بسببها ، وأنّ الكتابة هي الصناعة التي لا يليق بالطالب من المكاسب اها... وأنه جنح في المقامة إلى « تفضيل كتابة الإنشاء وترجيحها على الشعر خاصة» به فيها على ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من المواد ، وما ينبغي أن يسلكه من وّاد وضمنها من أصول الصنعة ما أربت على المطولات وزادت ، وأودعها من قوانين تابة ما استولت به على جميع مقاصدها أو كادت » ثم أشار عليه بعضهم أن يبسط ما جاء المقامة ، فشرع في ذلك ،وألف كتابه« صبح الأعشى» .

كذلك لم يكن غرض القلقشندي أن يجعل كتابه سجلا للمكاتبات التي صدرت الحكومات الإسلامية أو التي وردت إليها ، ودليل على هذا أنه يذكر أنه اطلع على كتاب صدر عن الخليفة المكتفي بالله وعندما بعث محمد بن سليمان الكاتب إلى الدّيار المصرية تزعها من يدّي بني طولون واستولى عليها الخليفة ، في نحو كراسة تاريخها سنة ثمان تين ومائتين.. » ثم يقول أضربت عن ذكرها لطولها([114]) فغرضه بإيراد نصوص المكاتبات كتابه هو لتقديمها كنماذج لتعليم صنعة كتابة الرسائل إلى جانب الأدوات الأخرى وهذه داة هي الناحية الإنشائية وما يتطلبها من جودة الإنشاء وبلاغة الأسلوب وسلامة التعبير كيفه حسب مقام المرسل إليه أو المناسبة ووضوح الفكرة وحسن العرض .

ويعلق على المكاتبات التي ذكرها التي صدرت عن الأبواب الشريفة السلطانية بالدّيار صرية ، والممالك الشامية لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم من التقاليد والتفاوض والتواقيع لمراسيم المكبرة والمصغرة لَيس هو على سبيل الاستيعاب بل على سبيل التمثيل والتذكير ،

[1] صبح الأعشى .-ج 12 ، ص279

لينسج على منواله وينهج على نهجه لهذا وجد الكتاب الموسوعي صبح الأعشى في كتابة الإنشا .

ومما سبق التطرق إليه يجعلنا نفكر ثم نميز بين كتاب كوعاء فكري تحوي معلومات عامة متنوعة في مجالات متعددة ، وبين كتاب من نوع آخر يتميزويتفرّد بخصائص تمنعه من أن يكون مجرد كتاب يوضع فوق رفوف المكتبات وينسى بل مصدر؛ لأنّ شكله ومحتواه يفرض علينا تفحصه والإطلاع عليه بتمعن وتريث لاكتشاف مكونات معلوماته . فإذا كانت اليوم معلوماتنا غزيرة ومختلفة وعلى أوعية بأشكال شتى ، وبوسائل تكنولوجية راقية جدّا ، وفي غاية التنظيم والدّقة ، ففي زمن القلقشندي كانت المعلومات بوفرة في شكل واحد هو مصنف أو كتاب لكنها لم تكن بالتنظيم والدقّة الذي تصبو إليه مراجعنا اليوم، لهذا قد لا نستطيع المقارنة في هذا الشأن فذاك عصر القلقشندي بأوضاعه السياسية والفكرية أنجز لنا مصدرا تمكن أن تفخر به الأمة العربية الإسلامية ولأن هذا الأخير كان له دور عظيم في نقل معلومات صبح الأعشى إلينا وأفضل وأبقى وسيلة لأنه من خلاله تعرفنا على القلقشندي وما كتبه هو بنفسه من معلومات : وثائق ورسائل ديوانية وتواريخ ومناطق جغرافية .. وتفاصيل أخرى مهمة كل في مجالها الخاص بها وفي هذا لم يغننا مرجع آخر غير «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» الذي كان بين أيدنا . وإذا كان الزمن التاريخي قد مضى عليه ، فإنه صورة تاريخنا العربي الإسلامي نفسه .

وقيمته لا تكمن في كثرة معلوماته وتنوعها ، وإنما في ميزة وخصوصية هذه الأخيرة ، لأنه قد يصادفك مصدر من المصادر يحتوي على معلومات ذاتها مثل ما نجده عند المقريزي غير أنّ القلقشندي نجده يغوص في فضاء معلوماتي متنوع ، متعدد لا حدود له يبهر القارئ بما يتناوله من ذلك الكم الهائل من المعلومات ليست بنفس المحتوى والوثائق التي جاء بها صاحب صبح الأعشى ، هذا ما قد يميّز كتاب صبح الأعشى عن غيره .

الفصل الثالث

المعاجم الموسوعية العربية
مصدر للمعلومات المتخصصة

نسعى في هذا الفصل إلى إبراز نوع آخر من الأعمال الموسوعية التي سهلت هـي أيضا الوصول إلى المعلومات بكل أنواعها سواء كانت عامة شاملة أو متخصصة لعلم من العلوم أو عالجت مصطلحات العلوم . والأعمال المقصودة هي المعاجم الموسوعية العامة والمتخصصة .

ومن سمات هذه المراجع حفظ المعلومات الهائلة واسترجاعها بشكل مميز، وظيفتها تحويل فيض هائل من المعلومات إلى جمع من المعلومات المنضبطة تحت علم المصطلحات ،بعد تراكمها مع تراكم الحضارات وتطور العلوم وسعتها، ولأن هذه المعاجم تعالج مصطلحات العلوم ، فما ورد فيها ينصب في مجرى السعي إلى جمع المصطلح العربي والإسلامي لما يشكله من دور فاعل مؤثر في إحياء التراث من خلال العلوم .ولقد انحصر هذا التسـهيل والتبسيط على التوثيق وحسن الوصول إلى المعلومة في المعاجم ثم الحاسوب فـي وقتنـا الحاضر واجتمع الاثنان كأداتين تسهيلا على الدارس والباحث باختصـار الوقـت وبلـوغ الهدف في الحصول على هذا النوع من المعلومات وفهمها ، فكانت المعاجم الموسوعية تقوم بالدور المنوط بها والمتمثل في عمل تجميعي موضوعي يرتكـز علـى اختيـار تعريـف المصطلحات من كتابات علماء المسلمين في العلوم التي توصلوا لها وبهذا يـأتي مفـاتيح العلوم كعمل موسوعي مثل الأعمال الأخرى ككشاف اصطلاحات الفنون والعلـوم للعـالم الجليل التهانوي([1]) وجامع العلوم ودستور العلماء للأحمدي نكري ([2]) والكليات لأبي البقاء والتعريفات لـــ الشريف الجرجاني ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ومفتاح السعادة لطـاش كبري زادة وأسماء الكتب المتمم لكشف الظنون لمؤلفه عبد اللطيف محمـد ريـاض زادة وغيرها من الأعمال المعجمية الموسوعية السخية بالمفاهيم والعلوم في كنـف الحضـارة الإسلامية في أوج تألقها . ومنه نحاول الإجابة على أسئلة مثل ما هي المعاجم الموسوعية ؟ كيف ظهر هذا النوع الخاص منها ؟ وفيما تتمثل أهميتها ؟ كل هذه التساؤلات سنحاول قدر الإمكان الإلمام بها ، وذلك من خلال الكتاب الموسوعي مفاتيح العلوم مصدر للمعلومـات المتخصصة .

---

[1] محمد على التهانوى كشاف اصطلاحات الفنون / ترجمة عبد العظيم محمد حسنين .- القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة والطباعة ، 1963 .- 386 ص

[2] القاضى عبد النبى الرسول ،الأحمدى نكرى / ترجمة عبد الله الخالدى ،محمد العجم له موسوعة مصطلحات جامع العلوم الملقب بدستور العلماء .- بيروت : مكتبة لبنان ،1997 .

1- تعريف المعاجم الموسوعية :

هي مراجع تجمع بين وظيفة كل من الموسوعات والمعاجم حيث تقدم المعلومات الأولية عن الموضوع ، فضلا عن المعالجة اللغوية للمصطلح الدال على الموضوع . وعادة ما تكون المعالجة الموسوعية في هذه الفئة غاية في الإيجاز كما هو الحال في الموسوعات . تنقسم المعاجم الموسوعية إلى فئتين رئيسيتين : المعاجم الموسوعية عامة شاملة ، وأخرى متخصصة ([3]) .

2- بدايات ظهور المعاجم الموسوعية عند المؤلفين المسلمين :

إنّ المصطلحات العلمية قديمة قدم العلم ، عرفته حضارات عديدة منها حضارة اليونانيون والرومان وقد عرفها العرب قبل الإسلام بقدر محدود، وازدهرت مع الإسلام وما أتى به من أحكام ونظم على يد رسول الله ﷺ الذي أسس الاصطلاح واستعمل الألفاظ ،نشأت بذور الاصطلاحات الفقهية في القرن الأول للهجرة ، وذلك بنقل بعض الألفاظ من معانيها اللغوية إلى حقائق عرفية شرعية في القرن الثالث الهجري. بدأت ثمار هذه البذور تظهر على التعاريف الاصطلاحية على الساحة الدينية الفقهية منها وهكذا في سائر في العلوم الإسلامية([4]) وفي هذا قال ابن برهان :« وصاحب الشرع إذا أتي بهذه الغرائب التي اشتملت الشريعة عليها من علوم حار الأولون و الآخرون في معرفتها مما لم يخطر ببال العرب فلا بد من أسامي تدل على تلك المعاني» . وكما نعلم أن لغة العلوم الإسلامية لم تتكون دفعة واحدة بل مرت بأدوار متعددة وأن نشأتها كانت مصاحبة للتنزيل، ثم سارت نحو التوسيع والنمو بتطور التفريعات الفقهية ونموه وقد أكسب هذا الارتقاء والتوسيع للموضوعات . وعلم الاصطلاح سمة الظهور في جميع العلوم ، بل و أفراده العلماء بالتأليف والتدوين كما هو معروف([5]) .

---

[3] قاسم حشمت . المكتبة و البحث .- القاهرة :دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، 1993 .- .ص 137

[4] سعيد زايد «مفاتيح العلوم» .- عن تراث الإنسانية .- مج 4 .- القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، [ب.ت] .- ص 582

[5] رضوان بن غربية .« نشأة المصطلحات العلمية وتطوره وأهم مؤلفاته» .- عن الموافقات العدد2، 1993 الجزائر:المعهد الوطني لأصول الدّين .- ص 213

فللقرآن الكريم والحديث الشريف الفضل الأوفر في فتح باب الاصطلاح على مصراعيه وأوليات إرساء قواعد المصطلح بدأت بما يلي :

1-إماتة كلمات لا مكان لها في الحضارة الإسلامية التي أرسى قواعدها القرآن والحديث[6]. وفي هذا يقول الجاحظ « وترك الناس مما كان مستعملا في الجاهلية أمورا كثيرة فمن ذلك تسميتهم للخراج : إتاوة كما تركوا أنعم صباحا وأنعم ظلاما ، وصاروا يقولون كيف أصبحتم و كيف أمسيتم» ([7]).

2- استعيرت ألفاظ جديدة من لغات أخرى للتعبير عن دلالات جديدة ، وقد اشترك في هذه الاستعارة كل من القرآن الكريم والحديث الشريف ثم الصحابة و التابعون والفقهاء من بعضهم وغيرها من الألفاظ الفارسية وقد دوّنت في ذلك كتب كثيرة . وبامتداد التطور والارتقاء أخذت العلوم الإسلامية والعربية شكلا آخر ، حيث صرفت الحدود فيما بينها وحدثت تقسيمات جديدة ومتنوعة،وبدأ الاتجاه نحو التخصص في الفكر الإسلامي يظهر على الساحة العلمية وبرز ما سمي « بلغة العلم» فأخذت تنمو بنموه وتتسع دائرتها بانتشاره وحتى يبالغ الاهتمام في كل فن وعلم وهذا ما كان واضحا عند المحدثين والفقهاء والأصوليين والكلاميين وأصحاب العلوم الأخرى . فهذه المنهجية الخاصة في ترتيب العلوم ودراستها وسعت في دائرة الاصطلاح وفي غزارتها .

ونتيجة تمخض علم المصطلحات عن هذا التطور والنمو في العلوم الإسلامية ظهرت عند العلماء ألقاب كثيرة لهذا العلم نذكر بعضا منها للتعرف عليها فقط .

- الغريب منها : تفسير غريب الموطأ لأصبغ بن الفرج المصري(ت225 هـ)
- الحدود: منها الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لأبي زكريا الأنصاري (926 هـ) وحدود الأشياء ورسومها للكندي ثم كتاب الحدود لابن سينا وإحصاء العلوم للفارابي وغيرها من المعاجم بهذا العنوان التي لا يمكننا الوقوف عليها كاملة.
- التعريفات منها : التعريفات للشريف الجرجاني (816 هـ)

---

[6] المرجع نفسه . رضوان بن غربية .« نشأة المصطلحات العلمية وتطوره وأهم مؤلفاته . - ص 213 .

[7] أبي عثمان عمرو الجاحظ ،تحقيق عبد السلام هارون : كتاب الحيوان . ج1.- القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،1950 .- ص 327

الاصطلاح أو المصطلحات منها : مصطلحات الصوفية لابـن عـربي الحـاتـمـي (تــ638 هــ)([8]) .

وكتاب « الصاحبي » لأحمد ابن فارس(تـ 395 هـ) وسماها أي «المصطلحات» جلال الدّين السيوطي بالألفاظ الإسلامية ؛وغيرها من الكتب التي ألفت في المصطلحات العلمية العربية القديمة النشأة .

وعلينا الآن من خلال ما سبق ذكره وما عرفناه من أهميته في الوسط العلمي والثقافي تقديم تعريف فن الاصطلاح والمصطلح .

لغة : هو مصدر اصطلح وهو منطلق التعاريف و الاتفاق وزاول الاختلاف . وقيل.. هو إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد منه ، وذلك لمناسبة بينهما كالعموم والخصوص ، ومشاركتهما في أمر مشبها تهما في وصف إلى غير ذلك ([9]) . وكان من الطبيعي أن يكون لمثل الحضارة الإسلامية مادّة لغوية تواكب تطورها الفكري والاجتماعي والسياسي وعلى إثر ذلك ظهرت مجموعة من الألفاظ أو المصطلحات سماها العلماء بعد ذلك بالمصطلحات الإسلامية([10]) .

وكان أيضا للترجمة دوران : «دور النقل المعجل إشباعا للنهم العقلي ، وكان من الطبيعي أن تظهر بعض المصطلحات الأعجمية مثل هيولي وأسطقس ، وفنطسيا وناموس وغيرها وهذا ما سوف نلاحظه بوضوح في مفاتيح العلوم للخوارزمي . ودور التمحيص والإتقان فيما يترجم ، وفيه ظهر العقل العربي ليراجع ما نقل في هدوء ووضع مصطلحات عربية خالصة بدلا من المصطلحات الأعجمية ، بل جدّد وأضاف وأبدع وأجاد» ([11]) .

وبفضل الترجمة تكونت مصطلحات علمية في الطب،الكيمياء الفلسفة والمنطق والسياسة وجميع العلوم التي ترجمت .وقد اعتمد المترجمون في هذا على اللغة العربية أولا تعتبر مؤلفات المعاجم المهتمة بالمصطلحات الفنية أداة فعالة في نضج المفاهيم الأساسية في الحياة الثقافية العامة لأمة من الأمم فهي عامل جاد في تطور البحث العلمي و يعتبر في بعض الأحيان جزء من المنهج الذي يكتمل به كل علم من العلوم .

---

8 طبع في آخر كتاب التعريفات للجرجاني بتحقيق محمد كمال إبراهيم جعفر ، نشره مركز تحقيق التراث بمصر.

9 بطرس البستاني . محيط المحيط.-ج2 .- بيروت : مكتبة : لبنان ، [ب .ت] .- ص 1199

10 المرجع السابق ، سعيد زايد. .الخوارزمي ص 583

11 المرجع نفسه، تراث الإنسانية .- ص 583

و بهذه المصطلحات العلمية تتضح المدلولات للكلمات وينكشف الغطاء عن كثير من الألفاظ المتداولة والعبارات المستعملة في الكتب في مختلف التخصصات[12]،والاعتناء بالمصطلح والسعي لبيانه وتوضيحه يعدّ مساهمة في البحث العلمي والفكري الجادّ .

2- أنواع المؤلفات المعجمية الموسوعية العربية الإسلامية القديمة:

المعاجم الموسوعية عديدة ومتنوعة نتيجة التقسيمات التي صاحبت العلوم الدينية والإنسانية والتجريبية وهي كالأتي :

- مؤلفات عامة أو شاملة استخدمت في كافة العلوم ، جمعت ببين طياتها مصطلحات مختلفة سواء في الفنون الإسلامية أو غيرها دون تميز .
- مؤلفات متخصصة،اختصت بعلم واحد أو مجموعة من العلوم تقترب مع بعضها في اتجاهه .وغيرها من الأنواع التي لا يتسع المقام لذكرها كلها .

مؤلفات المعاجم الموسوعية العامة :

1- أقدم مؤلف هو كتاب « الزينة» في الكلمات الإسلامية العربية للعلامة أبي حاتم أحمد حمدان الرازي المتوفى سنة (322 هـ) فقد ضم الكتاب تحت طياته كلمات شاعت في كتب التفسير واللغة والفقه والحديث فهو بحق معلمة لاستغنى عنها الأدباء والفقهاء ويعتبر الكتاب رافدا مهما في تاريخ المصطلحات الإسلامية وتطوّرها.

2- ظهر بعد ذلك مؤلف أو كتاب موسوعي مهم في نفس المجال هو« مفاتيح العلوم» ([13]) للخوارزمي المتوفى (387هـ) .

3 - ويلي ذلك كتاب التعريفات([14]) لمحمد علي الحسيني الجرجاني الحنفي المشهور بالشريف الجرجاني المتوفى (816 هـ). قام مؤلفه بشرح المصطلحات المتنوعة في علوم الشريعة وغيرها كما تعرض أحيانا للتعريف بالفرق والجماعات وقد أجاد الجرجاني في ترتيب معلوماته على حروف الهجاء([15]).

4- كتاب « الكليات » ([16])لأبي البقاء الكوفي (1094هـ) رتبه مؤلفه على حروف

---

[12] رضوان بن غربية .« نشأة فن المصطلحات العلمية وتطوره وأهم مؤلفاته» .- عن مجلة الموافقات .- العدد 2 .- 1993 .- الجزائر : المعهد الوطني العالي لأصول الدين .- ص 210 .

[13] طبع الكتاب في دار الكتاب العربي في بيروت سنة 1404 هـ /1984م.

[14] نشر الكتاب في طبعات عديدة في بولاق بمصر 1281 هـ/ 1864م بتصحيح محمد الصباغ في مجلدٍ واحد

[15] المرجع السابق ،مجلة الموافقات .- العدد 2 . 1993 .- الجزائر : المعهد الوطني العالي لأصول الدين.- ص 217

[16] الكتاب طبع في كلكتة بالهند سنة1862م تحت إشراف طائفة من العلماء المسلمين والمستشرقين

الهجاء وجعل لكل حرف فصلا وختمه بفصل في المتفرقات يتبعه فصل بعنوان طوبى لمن صدق رسول الله ﷺ.

5- ثم تلا هذه المجموعة كتاب « كشاف اصطلاحات الفنون » [17] للعلامة محمد بن علي الفاروق التهانوي المتوفى في القرن 12 هـ والكتاب هو أول مؤلف انتج على شكل مرتب ومنظم ثم شاملا ومستوعبا لجملة كبيرة من مصطلحات الفنون مع الاستيعاب والدّقة ، والكتاب يحتّل مكانة مرموقة في وسط المؤلفات المتخصصة لكونه من أكثرها شمولا .

6- ومن هذا النوع هناك مرجع مهم وهو «مصطلحات جامع العلوم في اصطلاحات الفنون» [18] لمؤلفه العلامة الهندي الأحمد نكري الملّقب بدستور العلماء جامع العلوم العقلية حاوي الفروع والأصول النقلية في تحقيقات اصطلاحات العلوم المتناولة، وتدقيقات لغات الكتب المتداولة وتوضيحات مقدمات مستيسرة وتلويحات لمسائل مبهمة متعسرة على المتعلمين هو من حيث الاستعاب يشبه كشاف « التهانوي». إذ يضم مصطلحات فقهية وأصولية وكلامية وغيرها بالإضافة إلى مصطلحات العلوم اللغوية وعلوم القرآن الكريم ، ومصطلحات فارسية ، وشروح باللغة الفارسية رتبه مؤلفه على حروف الهجاء .

إن للمعاجم الموسوعية مكانة بارزة لأنها تمدنا بمصطلحات العلوم بصفة عامة ،إذ بها تتضح الملابسات وتتميز المتشابهات ويزول الغموض عن المسائل ، فتتجلى الحقائق في حياة الفرد والمجتمع ، كما قال أحد الكتاب المحدثين: « إن تاريخ العلوم تاريخ لمصطلحاتها وأنه لا حياة لعلم بدونها ، وعلمية الاصطلاح في العلوم كعلمية الاسم على المولود في إيضاح المقصود وتحديد المفهوم «وقد علم أن مصطلحات كل علم توجد معه أو بعده بالضرورة ، فيسعى العلماء حين وجود الشيء إلى تسميته فتتم على أساس من العلاقة بين اللغة والاصطلاح ، فالمصطلحات إذا ضرورة علمية ووسيلة هامة من وسائل التعليم ونقل المعلومات وقد أصبحت لضرورتها تمثل جزءا مهما في المناهج العلمية»» [19]

وتحت ظل المصطلحات تجمع أفكار المتعلمين على دلالات واضحة وتنقل أفكار مدارك العلماء ، إضافة إلى أنه على أساسها يقوم التدوين والتأليف ثم الإنتاج .

طبع فى أربع مجلدات تحت إشراف دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد سنة 1329هـ/1892م .

القاضي عبد النبي الرسول الأحمد نكري / عبد الله الخالدى ،محمد العجم .مصطلحات جامع العلوم ملقب بدستور العلماء .- بيروت : مكتبة لبنان ،1997 .-

المرجع نفسه . رضوان بن غربية .« نشأة المصطلحات العلمية...- ص 208 .

فالمصطلح إذن عملة نافعة ذات قيمة في سوق العلم والتعليم ، فبواسطتها تعتدل العلوم وتأخذ مكانتها في الأهمية،وبفقدانها تتكسر و تتبعثر فهي أداة بناءة .

3-1 تصنيف العلوم عند العلماء المسلمين:

إنّ كتب الطبقات والتراجم التي عرفها المسلمون ابتداء من القرن الثاني الهجري والثامن الميلادي كانت نتاجا لعملية التصنيف الأولية قائما على موضوعات محددّة ، أو على أساس أجيال مثل ما رأينا في الفصل الأول عند ابن سعد في طبقاته. وعلى هذا الأساس يمكن الانطلاق من فكرة أنّ هذه الأعمال مهدت الطريق أمام المشتغلين في حقل الثقافة العربية الإسلامية ، من أجل إعادة ترتيبها وتصنيفها وفق قواعد فلسفية ومعرفية عامة ،والأمثلة على ذلك عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر ما قام به الكندي وجابر بن حيان الفارابي وغيرهم في مجال التصنيف ، ولم يكن بإمكان هؤلاء أن يقوموا بهذا العمل لولا حضور ما تمت ترجمته، وفق قواعد معرفية عامة ومقاييس متعارف عليها عندهم ، ولولا جتهاد علماء الحديث وحضور؛ ما تّم إنجاز هذه الأعمال بالشكل والقالب الذي عرفت به .

وعلينا الآن أن نلقي نظرة معرفية مركزة على تصنيف المعرفة الذي بدأ بتقسيمها وتصنيفها وإحصائها عند الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي في بداية حركتهم المعرفية م كيف أصبح مع رجال الببيليوغرافيا أمثال ابن النديم (تـ 00 هـ - 1047م) وطاش بري زاده (968 هـ-1561م) وحاجي خليفة في القرون الكلاسيكية علما قائما بذاته . وقبل ذا علينا أن نعّرف التصنيف ؟

3-2 تعريف التصنيف :

ال أن تصنيف الشيئ هو أول العلم به ، ومن ثم فإن تصنيف المعرفة هو أول العلم بها، عملية تقسيم العلوم والمعارف قديمة قدم الإنسان نفسه . فالتصنيف في أوسع معانيه، هو ضع الأشياء المتشابهة بعضها جانب بعض أي ترتيب الأشياء بناء على ما بينها من شابه واختلاف.ويعرّف تصنيف الكتب بأنه فن اكتشاف موضوع الكتاب والدلالة عليه برمز ن رموز خطة التصنيف المتبعة[20] في المكتبات.

والتصنيف نما في كنف الفلسفة ، وهو أرض مشتركة بين الفلسفة في جانبها المتصل طرق وأساليب نظرية المعرفة والمنطق ، وبين علم المكتبات والمعلومات وخاصة في

التصنيف أولا هو تحديد موضوع الوثيقة ، انظر عمر أحمد همشري . المرجع في علم المكتبات المعلومات ،ص 216 وجان جولفيه .« تصنيف العلوم».عن موسوعة تاريخ العلوم ، ،ج 3 ص 447 .

جانبه المتصل بطرق وأساليب تنظيم المعرفة البشرية في مجالات العلوم والفكر لأغراض استرجاع المعلومات . أما علم التصنيف في معناه الشامل فهو علم التقسيم الدقيق للمعرفة بتفريعاتها وتشعباتها المختلفة وترتيب العلوم التي تشكلها . « فهو تقسيم المعرفة على أبواب وفصول وأنواع وأجناس في محاولة لبيان العلاقة التي تربط كلّ منها بالآخر ، موضحا مكان كل علم بالنسبة للعلوم الأخرى كلبنة في بناء المعرفة ككل» ([21]).

3-3 تصنيف المعرفة عند العلماء المسلمين :

من المعروف أنّ طرق التصنيف في العالم المعاصر على الرغم من كثرة عددها وتنوع مجالاتها تندرج بصفة عامة تحت ثلاثة أنواع رئيسية هي :

أ- **تصنيف المعرفة:**

ويطلق عليها أيضا خطط التصنيف الفلسفية أو النظرية وهي التي تمثل تصور الفيلسوف أو العالم للمعرفة والعلوم التي تشتمل عليها وترتيب هذه العلوم

ب- **التصنيف العملي:**

ويطلق عليها أيضا تصنيف المكتبات أو التصنيف البيبليوغرافي وهي التي تعد أساسا لكي تطبق في ترتيب مقتنيات المكتبات على الرفوف أوفي ترتيب محتوى البيبليوغرافيات .

ج- **التصنيف العلمي:**

وهي التي تمثل تصور العلماء المتخصصين في مجالات العلوم الطبيعية للظواهر الطبيعية كالعناصر الكيميائية والحيوانات والنباتات وغيرها،من حيث أصولها وفروعها و ترتيبها والعلاقات فيما بينها.تاريخيا وفي العصور الوسطى إنّ الفلاسفة والعلماء المسلمين قد أعدوا كثيرا من التصانيف وخاصة في (القرن الرابع الهجري والقرن العاشر الميلادي) ، اندرجت تحت هذه الطرق الثلاث الرئيسية المذكورة آنفا ،أكثر من هذا نستطيع القول على ضوء المعلومات المتوفرة لدينا أنه لم يجتمع في قرن واحد في العلمين الإسلامي والأوروبي في العصور الوسطى مثل ذلك العدد من طرائق التصنيف التي ظهرت في القرن الرابع الهجري([22]) مما يوضح خصوبة العقلية الإسلامية واتساع آفاقها والدور الريادي للفلاسفة والعلماء المسلمين في تاريخ تصنيف العلوم .

---

[21] خالد الحديدي .فلسفة علم تصنيف الكتب كمدخل لفلسفة العلوم .- ص2

[22] محمد عبده صيام . « تصنيف المعرفة في كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي» .- عن دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات .- مج 3 ،ع3 ماي ،1998 صص 21 – 22 .

ومن هذا الدور التطوري من الضروري أن تنشأ معارف عديدة على يد كثير من العلماء المسلمين نتيجة تأثرهم بمن سبقهم من الفلاسفة اليونان وعلى رأسهم أرسطو([23]) الذي استعمل في تقسيماته منهج التعدد مستخدما أنواعا وأجناسا متعددة في التقسيم ، وميز بين العلوم النظرية (هندسة فلك – موسيقى – حساب – ميتافزيقا) ، والعلوم العملية (أخلاق – اقتصاد– سياسة) ثم العلوم الإنتاجية (شعر – بلاغة – جدل)، وبهذا يكون أرسطو أول من قسم المعرفة تقسيما فلسفيا على أنها معرفة([24]). وبهذا استفاد علماء المسلمين من هذا المنهج في التصنيف وأضافوا إليه واهتموا بتصنيف المعرفة بجوانبها النظرية الفلسفية المجرّدة . وجوانبها التطبيقية العملية. ومن العلماء المسلمين الذين صنفوا نجد جابر بن حيان، ثم جاء بعده الكندي الذي قسم العلوم في عصره إلى ثلاثة أقسام هي : العلوم النظرية والعلوم العملية والعلوم المنتجة ، وكان متأثرا بآراء أرسطو في تصنيفه للمعرفة .

أما الفارابي فقد ألف «إحصاء العلوم»في أوائل القرن الرابع الهجري قسم فيه العلوم إلى خمسة فصول هي([25]) :

الأول – علم اللسان : ويضم علم الألفاظ المفردة في لغة ما من أصيل ودخيل .

الثاني– علم المنطق وأجزاؤه .

الثالث – علوم التعاليم وهي العدد والهندسة ، وعلم المناظر وعلم النجوم التعليمي، وعلم الموسيقى ، وعلم الأثقال ،وعلوم الحيل.

الرابع – العلم الطبيعي وأجزائه ، والعلم الإلهي وأجزائه .

الخامس – العلم المدني وأجزاؤه ،وعلم الفقه، وعلم الكلام .

وفيه ألف الكثيرون منهم « رسائل إخوان الصفا» ([26]) وظهرت في النصف الثاني من القرن الرابع وهي في اثنتين وخمسين رسالة في فنون العلم والفلسفة . وقد قسمها مؤلفوها إلى أربعة أقسام : رياضية وطبيعية ونفسانية وإلهية .

---

[23] أرسطو (348- 322 ق.م) المعلم الأول ،صاحب المنطق .سمي بذلك لأنه أول من جمع كل بحوث علم المنطق وجعله أول علوم الحكمة أي الفلسفة ، تتلمذ على أفلاطون .

[24] خالد، الحديدي فلسفة علم تصنيف الكتب كمدخل لفلسفة العلوم .- 1b .- القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ،1969 .- ص 7-8

[25] أبي نصر الفارابي .إحصاء العلوم .- القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1931 .- ص3 وما بعدها

[26] ذكر أبو حيان التوحيدي ،أنهم جماعة إخوان الصفا ء ظهرت بالبصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى ،صنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علمها وعملها وأفردوا فهرست سموها رسائل إخوان الصفاء

ثم كتاب ابن سينا (ت 429 هـ) « الشفاء الموسوعي»و فخر الدّين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة (606 هـ) والذي ألف كتابا سماه « حدائق الأنوار في حقائق الأسرار» وأورد فيه موضوعات ستين علما.وعبد الرحمن البسطامي المتوفى (858 هـ)الذي ألف كتابا في موضوعات العلوم أيضا أورد فيه مائة علم وذكر فيه أقسام العلوم الشرعية والعربية . وأيضا رسالة « إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد» لشمس الدين محمد بن إبراهيم الأنصاري السنجاري (ت 749 هـ) الذي قام بإيجاز مجموعة كبيرة من العلوم وجلال الديّن السيوطي الذي جمع في كتابه أربعة عشرة علما وسماه « النقاية » ،ثم شرحه وسماه « شرح إتمام الرواية». وكذلك القلقشندي يذكر لنا في كتابه الجزء الأول من صبح الأعشى طريقة تقسيمه للعلوم والتي تحوي سبعة أصول يتفرع عنها أربعة وخمسون علما .

- الأصل الأول : علم الأدب وفيه عشرة علوم (علم اللغة – التصريف – النحو – المعاني – البيان–البديع – العروض و– القوافي – قوانين الخط – قوانين القراءة)
- الأصل الثاني : العلوم الشرعية وفيه تسعة علما (علم النواميس القراءات – التفسير – رواية الحديث – دراية الحديث – أصول الدين – الجدل – الفقه)
- الأصل الثالث : العلم الطبيعي وفيه اثنا عشر علما (علم الطب – البيطرة – البيزرة – الفراسة – تعبير الرؤيا – أحكام النجوم – السحر – الطلسمات – السيميا – الكيميا– الفلاحة – ضرب الرمل) .
- الأصل الرابع : علم الهندسة وفيه عشرة (علم عقود الأبنية – المناظر – المرايا المحروقة – مراكز الأثقال – المساحة – إنباط المياه – جر الأثقال – كلمات الالآت الحربية – الآلآت الروحانية .
- الأصل الخامس :علم الهيئة وفيه خمسة علوم (علم الزيجات – المواقيت – كيفية الإرصاد – تسطيح الكرة – الآلات الظلية).
- الأصل السادس : علم العدد المعروف بالأرطمارطيقي وفيه خمسة علوم (علم الحساب المفتوح – حساب التخت والميل – الجبر والمقابلة – حساب الخطأين – حساب الدور والوصايا) .– الأصل السابع : العلوم العملية وفيه ثلاثة علوم (علم السياسة – علم الأخلاق– علم تدبير المنزل) .

وفي منتصف (القرن العاشر الهجري الثامن عشر الميلادي) كتب عصام الدين أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زادة المتوفى([27]) (299هـ) كتاب « مفتاح السعادة ومصباح السيادة» وهو يحصر العلوم ، في مراتب أربع أولها الكتابة وثانيها العبارة وثالثها الفكر ورابعها ما في الذهن . وهو بهذا يعتبر مصدرا آخر وانعكاسا صادقا للحياة الفكرية للمسلمين بعد الغزو المغولي([28]). والكتاب ليس ببيليوغرافية فحسب ، وإنما موسوعة في موضوعات العلوم العربية وغيرها من العلوم الإسلامية .

وتلى بعد « مفتاح السعادة » كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة([29]) (ت 1067 هـ)، للقرن الحادي عشر للهجرة . وهذا الكتاب كما يقول مصححه « أوعب الكتب المصنفة وأوسعها في بيان أحوال الكتب » . وكتب فيه حسب ما تردد أكثر من ثمانية عشر ألف عنوان كتاب ورسالة وبلغ عدد المؤلفين الذين سجل أعمالهم نحو عشرة آلاف مؤلف([30]). وتكلم فيه على ثلاثمائة علم وفن .. وكلهم أي من صنفوا كتبهم كانت لهم أسباب دعتهم إلى تصنيف كتبهم ، فالفارابي يجعل من ضمن الأسباب التي دعته إلى أن يصنف كتابه إحصاء العلوم هو أن يحص كل العلوم علما-علما وأجزاء أجزاء وكل ما يتعلق بالأجزاء ، وأيضا حاجي خليفة يقول: «أن من أجاد علم تقسيم العلوم استطاع في سهولة ويسر أن يعلم حال العالم بالعلم وحال من يدعي علما به». وهو واحد من الذين وضعوا قواعد تصنيف الكتب بالمعنى الذي نستعمله اليوم .

4-المعجم الموسوعي « مفاتيح العلوم » مصدر للمعلومات المتخصصة:

إن« موسوعة» مفاتيح العلوم الذي نتقدم بدراسته يعود إلى التراث الإسلامي القديم من القرن الرابع الهجري وهي أقدم ما ألف بالشكل الموسوعي ، جامعة في التعريف بالعلوم التي كانت متناولة في عصر الخوارزمي .

---

[27] طاش كبري زادة . مفتاح السعادة ومصباح السيادة .- حيدرأباد : مطبعة دار المعارف النظامية، 1328 هـ/1910م .

[28] عبد الستار الحلوجي . مدخل لدراسة المراجع ،ص38 .

[29] حاجي خليفة . كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون .- استنبول : وكالة المعارف، 1943.

[30] شعبان عبد العزيز خليفة. البيليوغرافيا أو علم المكتبات دراسة في أصول النظرية البيليوغرافية وتطبيقاتها النظرية العامة .- 2b .- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، 1998 .- ص229 .

4-1 حياة المؤلف :

من خلال بحثنا في كتب التراجم والتاريخ على حياة مؤلفنا الخوارزمي لم نجد إلاّ الشيء القليل في المجلد التاسع من « دائرة المعارف الإسلامية» ([31]). والملفت للانتباه أنّ المستشرق « آدم ميتز» في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري وهو في جزئيين لا يذكر شيئا عن حياته. وعلينا أن نميز بين كاتبنا صاحب « مفاتيح العلوم » وبين الخوارزمي محمد بن موسى الرياضي الذي عاش في القرن الثالث الهجري والنصف الأول من القرن التاسع الميلادي والذي اشتهر بكتابه «الجبر والمقابلة» وغيرها من الكتب .

مؤلفنا هو محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله ، الكاتب البلخي الخوارزمي من أهل خراسان(00-387هـ- 00- 997م). له كتاب « مفاتيح العلوم » ألفه وأهداه للوزير « عبيد الله بن أحمد العتبي» ويعدّ كتابه أول موسوعة للمصطلحات العلمية ([32]).

وقال فيه المقريزي أيضا« هو كاتب جليل القدر» ([33]) . ويقول « فان قلوتن» الذي حقق كتاب مفاتيح العلوم في ليدن سنة 1895م وقدم له باللغة اللاتينية : إن الخوارزميأبو «عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف »كان يستعمل مقاييس وأوزان أهل خرا سان في إشرافه على توزيع المياه في مرو .

وكان الخوارزمي على علم تام باللغة الفارسية وكان يعرف شيئا من اللغات اليونانية والسريانية والسنسكرتية ومعرفته بهذه اللغات جعلته يستفيد من مؤلفات أمثال اقليدس ونيقوماخوس هيروفليون ذكر ابن درستويه والأصمعي وابن المقفع ورسائل إخوان الصفاء وقد عاش أبو عبد الله في النصف الثاني من القرن (الرابع الهجري - العاشر الميلادي) ، بنيسابور أكبر مراكز العلم في خرسان ، أبان حكم الدولة السامانية حيث اتصل خاصة بأبي الحسن عبيد الله بن أحمد العتبي([34]) (366 هـ- 997 م) وكان أبو عبد الله يعيش في بلاط بنيسابور .

---

[31] Douzel p.e van, b Lewis, ch.pellat. « Ahmed ibn Mohammed ben Yousef al Khawarizmi » in Encyclopédie de l' slam.- nouvelle éd.- t4.- paris:Ed. G.P Maisonneuve et larose s.a,1978 .-p1100

[32] تقي الدين بن محمد المقريزي . المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.- ج1 .- طبعة بولاق، 1370 هـ / 1951 م . ص484

[33] خير الدين الزكلي . قاموس تراجم الأعلام .- ط2.-.- ج6 بيروت : دار الملايين ،1955 . ص 204

[34] المرجع نفسه .- ج 4 ،ص344 .

وهو أقدم كاتب مسلم ألف كتابه الموسوعي نال به شهرته ويستدل من كتابه انه كان يتولى منصبا إداريا وكان بحكم مقامه في خراسان خبيرا بالأحوال السائدة بالمشرق خاصة ([35]). ويعدّ كتابه الذي وضعه نحو (عام 976 م) فقد دعته نفسه إلى تصنيف كتاب « جامع لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات » "فيستعمله موظفو الدواوين المختلفة في دوائر الخلافة، كما يشرح ذلك في مقدمته.

4-2 عصر المؤلف :

إنّ التاريخ يطلعنا على الانقسام الكبير والتفتت الذي حلّ بالعالم الإسلامي،وكان ذلك حوالي سنة (324 هـ – 935 م) . انهارت هيبة الخلافة وعاد النفوذ الفارسي على أيدي البويهيين في فارس والرّي وأصبهان والجبل ، وقامت الدويلات منها الدولة الحمدانية في العراق وشمالي سوريا ، والدولة الإخشيدية في مصر والدولة الفاطمية في المغرب وإفريقيا ، والدولة السامانية في خرا سان ، وغيرها ولم يبق للخلافة العباسية إلاّ بغداد . وصارت الأقاليم([36]) تؤلف مملكة واحدة سميّت مملكة الإسلام تمييزا لها عن مملكة الكفر وقامت وحدة إسلامية تتقيد بالحدود السياسية الجديدة .

ثم الحالة الاقتصادية كانت على أسوأ ما يكون ، ثروة الأمة لم تكن موزعة توزيعا عادلا.أموال تتدفق على الملوك والأمراء ومن يلوذ بهم ، وفقر مدقع لباقي
أفراد الشعب . وكان دخل الدولة هو الجزية ، وتؤخذ على رؤوس أهل الذمّة،من الزكاة ، ومما يؤخذ على الأراضي الزراعية ، ومن المصادرات عند احتياج الأمراء للأموال
ومن سوء هذه الحالة نشأت ظاهرتان متناقضتان : التصوف وانحلال الأخلاق وتفشي الفساد

4-3 الناحية الفكرية العلمية:

لقد كان هذا العصر متقدما في هذا الجانب، بحيث كان للإمارات الإسلامية المختلفة أثرا كبيرا في الحركة الفكرية الأدبية، بتنافسها لاحتضان المفكرين والعلماء انتقل إلى لعلماء والمفكرين ورعايتهم .والإمارات الإسلامية كانت تتبارى بهؤلاء العلماء في تجميل موطنها وتتفاخر بهم . فكان العلماء والمحدثين والجغرافيين يتمتعون بحرية حيث كانوا يرحلون في البلاد الإسلامية كما يشاءون متنقلين بين الإمارات العديدة وتعدّدت

---

[35] فؤاد صالح السيد .معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين . بيروت :دار المناهل،1992.- ص416
[36] يمكن الإطلاع على نماذج من الخرائط لبعض الأقاليم الإسلامية المذكورة بالملحق رقم 6

رحلاتهم فمنهم من قصد القاهرة ، ومن هم من قصد حلب ومن قصد الريّ أو شيراز أو بغداد وغيرها من البلاد وكانت المدن تتنافس في اجتذابها لهم[37] .

فالناحية العلمية إذن كان العصر فيها متقدما ، تم فيه امتزاج الثقافات ؛ فكان الفرس متعصبون للعلم والأدب وللسان العربي وينتجون فيه ، فانتفع بهم المسلمون بالكتب العديدة التي نقلت من الفارسية إلى العربية خاصة المصطلحات الفارسية التي عرّبت كما هي الحال في كتابنا « مفاتيح العلوم » وكان من الفرس متقفون ثقافة واسعة كابن المقفع وابن قتيبة وغيرهم أثرّوا في الثقافة الإسلامية مزجوا بين الثقافتين الفارسية والعربية .كما نشطت حركة الترجمة من اليونانية إلى السريانية إلى العربية نشاطا غريبا .

4-4 أهمية كتاب «مفاتيح العلوم» :

يعدّ هذا الكتاب الموسوعي عملا من الأعمال المرجعية المهمة التي استقى منه العلماء شروحاته ، ومصطلحا ته ، فلكل علم مفتاح يتناول فيه فروعه ومصطلحه ووجدوا فيه ما يلزمهم حتى ترجمة لمصطلحات العجمية .

مفاتيح العلوم هو تصنيف جديد للمعرفة الإنسانية في تلك الفترة ، عالج فيه «الخوارزمي» المصطلحات أو الألفاظ المتعارف عليها آنذاك في العلوم لفروع المعرفة آنذاك وبحث في العلوم اليونانية والأجنبية وذكر مفاتيحها بإعطائنا لائحة مصطلحات كل علم من العلوم التي ذكرها .

والغاية هي إبراز نضج المصطلحات الفنية التي يحتاج إليها اليوم الباحثون المختصون في الفكر العربي والإسلامي. إذا أرادوا العودة إلى التراث العربي القديم ، لكشف النقاب عن أصوله الفكرية الصحيحة . له نفس أهمية الفهرست لابن النديم ، إذا أردنا الإطلاع على حالة الحضارة والثقافة الإسلامية في بغداد خاصة والدولة الإسلامية عامة ، في (القرن الرابع الهجري) . وضعه الخوارزمي ليستخدمه موظفو الدواوين المختلفة في دوائر الخلافة، لذلك جمع فيه كل الاصطلاحات الواردة في المعارف على اختلاف أنواعها.

---

[37] اعتمدنا في الناحية الفكرية العقلية على أحمد أمين .ظهر الإسلام .-ج1 .- ط3 . بيروت : دار الكتاب العربي ،1945ص 94- 95 –96

ولقد قسم الخوارزمي كتابه إلى قسمين أو مقالا تين كما سماها الخوارزمي: الأولى خاصة بالعلوم الشرعية وهي علوم العرب في ستة أبواب وهي اثنان وخمسون فصلا الباب الأول : في الفقه يضم أحد عشرة فصلا .

الباب الثاني : في الكلام يضم سبعة فصول .

الباب الثالث : في النحو يضم اثنا عشر فصلا .

الباب الرابع : في الكتابة ثمانية فصول .

الباب الخامس : في الشعر والعروض .

الباب السادس : في الأخبار تسعة فصول والثانية متعلقة بعلوم العجم في تسعة أبواب وهي أحد وأربعون فصلا :

الباب الأول : في الفلسفة ثلاثة فصول

الباب الثاني : في المنطق تسعة فصول

الباب الثالث : في الطب ثمانية فصول

الباب الرابع : في علم العدد خمسة فصول .

الباب الخامس : في الهندسة أربعة فصول .

الباب السادش : في النجوم أربعة فصول .

الباب السابع : في الموسيقى ثلاثة فصول .

الباب الثامن : في الحيل فصلان .

الباب التاسع : في الصناعات ثلاثة فصول .

4-5 أبواب المقالتين بمحتوى فصولها[38] :

4-6 مضمون «مفاتيح العلوم»:

لقد جمع الخوارزمي في كتابه الموسوعي الاصطلاحات المستخدمة في المعارف المختلفة حيث أخذ يصنف المفردات ، قام أولا بجمع العلوم في مقالتين : المقالة الأولى تتناول علوم الشريعة وما يتصل بها من فقه وكلام وعروض وتاريخ .

الفرع الأول يشمل ستة أبواب تنقسم بدورها إلى اثنين وخمسين فصلا .

---

[38] انظر أبواب المقالتين في الملحق رقم 7

سنشرع في استعراض هذه الفصول بطريقة موجزة ومختصـــرة لأن الخــوارزمي الجها بشيء من التفصيل والدقة التي لم نستطع بها التوقف على كل مصطلحات العلــوم تي عرّفنا بها الخوارزمي من خلال هذه «الموسوعة» ولو لم تكن لدينا ثمة معارف فـــي ض مجالات العلوم خاصة ما تعلق بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام والمتكلمين لما تمكنا من اعته وفهمه .وسنــبدأها بالباب الأول ويرد الكلام فيه عن الفقه في أحد عشر فــصـــلا :

الفصل الأول : أصول الفقه من كتاب الله عزّوجلّ وسنة رسوله وإجماع المسلمين[39] المختلف فيها من قياس واستحسان واستصلاح . ويقول الخوارزمي أن القيــاس نوعـــان: اس علة وقياس شبه وأنه أصل قال به جمهور العلماء غير داوود بن علي الأصفهاني (+ 27 هـ) ([40]).

ثم يتابع الخوارزمي كلامه في أصول الفقه فيقول إن الاستحسان أصل تفردّ بــه أبــو نيفة (+150هــ 767م) وأصحابه ، ولذلك سمو بأصحاب الرأي ومذهب أبي حنيفة كـــان جاهد في سبيل الرأي والقياس ، يصححه الاستحسان إذا مسّت إلى ذلــك حاجــة([41]).أمـــا لاستصلاح وهو آخر أصل من أصول الفقه المختلف فيها في رأي الخوارزمي فقد تفرّد به الك بن أنس (+179 هــ- 795م)وأصحابه الذين يحافظون على المنقول لكنهم يرضـــون جتهاد إذا انبنى على الاستصلاح وهو يمتاز بمعنى مراعاة للمصلحة العامة .

ثم يلي الفصول العشرة الأخرى في الفقه ، فيحصي الخوارزمي الاصطلاحات التـــي ستخدمها الفقهاء في الطهارة أولا مثل الماء المضاف والمطلق والمستعمل ،

و التحرّي في الإنائين ، والإستنثار والإستجمار([42]). ثم في الصلاة و الآذان كالتثويب الترجيع والتحريم والتحليل والتشهّد ، كذلك في الصوم و الزكاة فيفصلّ إذ ذاك أسنان الإبل البقر والخيل والغنم ، ويذكر مكايل العرب و أوزانهم مستشهدا بما قاله الخليل بن أحمـــد فراهيدي([43]) . ثم يأتي كلامه على نفي النمط في الحّج والبيع والشركة ، وفـــي النكـــاح الطلاق وفي الديات والفريضة والنوادر... ثم يرد بعد ذلك الباب الثاني في علم الكـــلام ، يعطيه الخوارزمي منزلة كبيرة إذ يعقد له بابا كاملا في سبعة فصول يبدأ الخوارزمي بذكر

---

39 محمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف الخوارزمي . مفاتيح العلوم / تحقيق نهى النجار .- بيروت : دار الفكر لبناني ،1993 .- ص69 .و www.alwarag.com كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي .

40 المصدر نفسه .- ص 70 .

41 نفسه .- صص 70-71

42 المصدر نفسه .مفاتيح العلوم .- صص71- 73 .

43 نفسه .مفاتيح العلوم .- صص 74-- 79 .

الاصطلاحات التي يستخدمها المتكلّمون فيما بينهم مثل الشيء والمعدوم والموجود والقديم و المحدث والأزلي والكائن والمنفي والجوهر والعرض ، أيس[44] وليس وغيرها وكلها ألفاظ فلسفية .

ويقول الخوارزمي على لسان الخليل بن أحمد أن أيس هو خلاف ليس وأن « ليس »إنما كان لا في أيس ، فأسقطوا الهمزة ، ووصلوا بين اللام و الياء . والدليل على ذلك قول العرب : « ائيتني بكذا من حيث أيس و ليس » ([45]).

ثم يذكر بعد ذلك أسامي أرباب الآراء و المذاهب المختلفة من المسلمين ، ونعوت الأئمة من أثني عشرية . فيحدّد الفرق بين الفرق الإسلامية في سبعة مذاهب المعتزلة ، أصحاب العدل والتوحيد ، مع فرقهم الست . بعد المعتزلة يذكر الخوارج مع فرقهم الأربعة عشرة من إزارقة ونجدانية وعجاردة وبدعية وحازمية وثعالبة وصفرية وإباضية وحفصية ويزيدية وبهيسية وفضلية وشمراخية وضحّاكية . ثم أصحاب الحديث ، فيوزعهم الخوارزمي إلى أربع فرق المالكية والشافعية والحنبلية والداوودية([46]) ... غير أنه لا يذكر الحنفية بين المذاهب الفقهية ويصنف هذه الأخيرة في باب علم الكلام لا في باب الفقه .

بعد ذلك يذكر المجبرة وهم خمس فرق : الجهمية والبطيخية والنجارية والضرارية والصباحية . ثم يذكر مذهب المشبهة ويعدّ فرقهم الثلاث عشرة من كلابية وأشعرية وكرامية وهشامية وجوالقة ومقاتلية وقضائية وحبيّة وبيانية ومغيرية وزارية ومنهالية ومبيضة . وينتقل إلى المذهب السادس المرجئة فيذكر فرقهم الست من غيلانية وصالحية وحنفية وشبيبية وشمرية وجحدرية . وينتهي بمذهب الشيعة وهم خمس فرق يذكرها جملة ثم يصنفها حسب تفريعاتها العديدة ، نذكر فقط فرقها الخمس من زيدية وكيسانية وعباسية وغالية وإمامية رافضة . ثم يتبع كلامه في أرباب الآراء والمذاهب من المسلمين بنعوت الأئمة على مذهب الإثني عشرية([47]).

وفي الفصل الثالث ينتقل الخوارزمي من المسلمين إلى المسيحيين وينقسمون إلى ملكيين ونساطرة و يعاقبة وإلى اليهود بعد ذلك ، على أصنافهم الكثيرة من عنانية وعيسوية

---

44 الأيس ونسبته الأيساني،الأيس كلمة قد أميتت،لكن الخليل ذكر أن العرب تقول جيء به من حيث أيس وليس...وإنما معناها كمعنى حيث هو في حال الكينونة و الوجود لسان العرب مج 6 .- دار صادر ،ص 20 .

45 المصدر نفسه . مفاتيح العلوم .- صص 83- 84 .

46 المصدر السابق .- ص 85 .

47 المصدر نفسه .- صص86- 87

وقرعية ومقاربة وراعية وسامرّية . ثم الفرق غير الإسلامية العديدة فيذكر منها الدهرية الذين يقولون بقدم الدهر والمعطلة ، وأصحاب التناسخ والسمنيّة والبراهمة وغيرها... وإلى العرب عبدة الأوثان فيسمّي أصنافهم . وينتهي الباب الثاني يوجز لنا المسائل التي يعالجها المتكلّمون . فيذكر أهمها ،كالقول في حدوث الجسام والردّ على الدهرية ، وعلى المعطلة وعلى الثنوية من المجوس الزنادقة وعلى المثلثة من النصارى والمشبهة من اليهود([48]) وغيرهم...

ومن هنا نلاحظ أن لعلم الكلام منزلة مهمّة في كتاب«مفاتيح العلوم » ربما أن الفترة التاريخية كانت فترة ازدهار لهذا العلم .

أما العلوم الشرعية الأخرى التي يذكرها الخوارزمي وحسب تصنيفه فهي علم الصرف والنحو وصناعة الكاتب ، والشعر والنثر والتاريخ فهي تدّل على حالة الحضارة والثقافة العربية في هذا العصر ،وتطلعنا على الكثير من الاصطلاحات والألفاظ التي كانت عليها .

يخصص الخوارزمي الباب الثالث من المقالة الأولى لعلم الصرف والنحو في اثني عشر فصلا . والفصول الثلاثة الأولى هي للنحو والإعراب أولا على مذهب عامة النحويّن عن الخليل بن أحمد([49]) ثم على مذهب فلاسفة اليونانيين من أصحاب المنطق([50]). والفصل الرابع في بتنزيل الأسماء من سالمة ومضافة ومعتلة ومقصورة وممدودة ومنقوصة ومبهمة مضمرة ...

يتبعها أربعة فصول في الوجوه التي ترفع وتنصب وتخفض بها ، وفي التوابع ثم ينتقل ن الأسماء إلى الأفعال([51]) ، وأخيرا يبحث في النوادر مثل الإغراء والتوكيد والظروف التبرئة والعماد والترخيم في النداء .

وفي الباب الرابع يخصصه الخوارزمي «لصناعة الكاتب » ويعطيه أهمية كبرى ربما أن منصبه الإداري الذي كان يشغله في نيسابور في بلاط الوزير العتبي ، يفرض عليه هذا لاهتمام وكذلك إلى معرفته الواسعة في هذا المضمار . فيخصص له ثمانية فصول يذكر ها أسماء الذكور والدفاتر والأعمال المستعملة في الدواين ، واصطلاحات كتّاب ديوان خراج وديوان الخزن والبريد والجيش و في الألفاظ التي تستعمل في ديوان الضياع

المصدر نفسه .- صص90- 91 – 92 - 93 - 94
المصدر السابق.- مفاتيح العلوم .- صص 79- 89 – 99
المصدر نفسه. مفاتيح العلوم .- صص 101- 102 –103
نفسه.- ص 104

والنفقات ، وديوان الماء وأخيرا وفي الاصطلاحات منها المستعملة في الدووابن بخرا سان يذكر الخوارزمي مثلا : قانون الخراج وهو أصل تبني
الجباية([52])عليه والأوراج والروزنامج([53]) والختمة والختمة الجامعة والتأريج([54]) ، والعريضة ، والبراءة ، والمرافقة والجماعة([55]) .

وهذا الباب يشكل لنا صورة حيّة عما اختص به نظام المسلمين الإداري في القرن الرابع الهجري ، فيما يتعلق بالمال.فدواوين الخراج كانت بمثابة خزائن الدولة وكانت تستوفي من مال الخراج نفقات الراتبة وأعطيات الجند ثم يحمل ما يتبقى إلى بيت المال العام . وكانت تقسم الميزانية العامة على نحو ما كانت تقسم الدفاتر في دواوين الخراج([56]) إلى باب الاستخراج أو الدخل وباب النفقات([57]) . أما الباب الخامس فهو خاص بالشعر وعلم العروض وهو خمسة فصول ، يتكلم في أولها عن علم جوامع العروض وأسامي الأجناس ، وهي ما نعرفه اليوم بالبحور أو الأوزان الشعرية فيجعلها خمسة عشرة جنسا،تلك التي وضعها الخليل بن أحمد([58]) ويذكر بالتفصيل القوافي وألقابها([59]) وأخيرا ما يتعلق بنقد الشعر من تشبيه واستعارة ومجانسة ومطابقة وغيرها... ونجده يستشهد بالشعراء مثل امرئ القيس وأبى تمام وجرير والجعدي وبشار وغيرهم .

فهو يبيّن لنا أنّ العلوم التقليدية كانت قد تمت صياغتها في ذلك العصر ، بحيث أن الكتب المعاصرة في هذا العلم لا تزيد شيئا جوهريا على ما كانت عليه في (القرن الرابع الهجري)عبر « مفاتيح العلوم » ([60]) بمعنى أنه يمكن الاعتماد عليه كمرجع .
الباب السادس والأخير في العلوم الشرعية ،باب الأخبار وهو في تسعة فصول . يذكر الخوارزمي في أولها أسماء ملوك الفرس وألقابهم فيجعلهم أربع طبقات : البيشداديّة ثم

---

[52] الجباية في كتاب مفاتيح العلوم هي: كلمة يونانية معربة الأوراخ معناه بالفارسية المنقول لأنه ينقل إليه من إنسان إلى إنسان قانونا
[53] الروزنامج تفسيره كتاب.
[54] التأريج : لفظة فارسية ومعناه النظام.
[55] المصدر نفسه .- ص107
[56] دواوين الخراج للولايات كانت تقوم مقام خزائن للدولة . أدم ميتز . الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.- ج2.- ص209
[57] المصدر السابق.- صص 108 إلى114
[58] نفسه. - صص125-إلى 130
[59] نفسه .- صص132- 133
[60] نفسه .- صص 134- 137

الكيانية يعني الجبابرة والإشكانية الذين استولى عليهم الإسكندر اليوناني ذو القرنين أما الطبقة الرابعة والأخيرة فهم الساسانية([61]) .

بعد ملوك الفرس يحدّد الخوارزمي في الفصل الثاني أسماء الخلفاء وملوك الإسلام ونعوتهم وألقابهم ، من أبي بكر الصديق إلى عمر بن الخطاب ﷺ عثمان بن عفان ﷺ إلى علي بن أبي طالب ﷺ . ثم يذكر بني أمية ويؤكد أن لا نعوت لهم ولا ألقاب ، وأخيرا يذكر في هذا الفصل الخلفاء العباسيين ولد العباس بن جعفر بن عبد المطلّب،من السفاح أولهم إلى الطائع أيام أدبار دولتهم.وفي الفصل الثالث يعود إلى ذكر ملوك اليمن وألقابه . لكنه لا يذكر أسامي ملوك الشام بني غسان ، الذين كانوا عمّال القياصرة إذ ليست لهم نعوت وألقاب([62]) .ويخصصّ الخوارزمي الفصول الأربعة الأخيرة من هذا الباب لذكر الاصطلاحات والألفاظ الكثيرة التدول في أخبار الفرس . وفي الفتوح والمغازي ، وفي أخبار ملوك عرب الجاهلية ،ومن الاصطلاحات التي تكثر في الفتوح والمغازي وأخبار عرب الإسلام الشرطة والحربة والبردة . وفي أخبار ملوك الروم([63]) أما في أخبار الفرس مثلا بعد أن يسرد الاصطلاحات العديدة والدقيقة كالمرزبان والموبذان وبغستان وغيرها وهي تعني بيت الأصنام . ويتحدث عن تعداد لغاتهم من فهلوية وفارسية ودرية وخوزية وسريانية كما يعدّد أيضا أصناف الكتابة الفارسية([64]) .

وفي القسم الثاني من الفصل السابع يميزّ الخوارزمي بين طبقات الناس في الهند،من براهمة وهم العبّاد وسودرية وهم أصحاب الزراعة والبيشيّة وهم الصنّاع والسندالية وهم أصحاب اللحون ([65])...

ثم يذكر الألفاظ التي يكثر تداولها في أخبار العرب الجاهلية مثل الحجابة والردفاة والسقاية ودار الندوة . وغيرها ومن أيام عرب الجاهلية يوم عنيزة ويوم ارادات الحنو ويوم القصيبات ويوم الفيصل ، وأخيرا يوم تلاحم اللمم . ويلحقها بأسماء الطواعن من طاعون عمواس أولها إلى طاعون غراب في زمن الوليد بن يزيد . بعد ذلك يشرع بتقسيم طبقات الناس عند العرب في الجاهلية إلى ملوك وصنائع وعباد و وضائع وجند وسوقة .

---

[61] نفسه .- صص 141- 143
[62] نفسه .- ص 148
[63] نفسه .- ص 148
[64] المصدر السابق .- ص 151
[65] نفسه .- صص 154- 155

أما الفصل الأخير من الباب المخصص للأخبار فيذكر الخوارزمي الألفاظ التي يكث تناولها أيضا في أخبار الروم مثل البطريق وهو القائد والطرخان ثم القـومس والقنطـر والدافرخ وأكبر البطارقة ورئيسهم يسمى الدمستق ، وهو خليفة الملك ووزيره . وبعد ذل يفصل مراتبهم في الدّين ويحدد مقامهم في المملكة . فيسمي أعظمهم بطرك وإذا عرّب قي بطريق([66]). وهم أربعة وتسمى مراكزهم الكراسي وهي القسطنطنية والرومية والإسكندري وأنطاكية . وتحت يد البطريق يكون الجاثليق ، ومقامه في حضرة الإمام ببلـد العـراق . والمطران تحت يد الجاثليق ومقام مطران خرسان بمرو ، والأسقف تحت يـد المطـران ويكون في كل بلد ،ثم القسيس ثم الشماس ثم القراء وأصحاب الألحان وخدم المذبح([67]) .

ولهذا أهمية كبرى إذا أردنا الاطلاع على ما كان عليه المجتمع العربي والتقسيم الإداري المالي والديني في ذلك العصر من جوانب مختلفة .فنحن هنا أمام مرجع له من الأهمية ما يطلعنا بها على حالة الحضارة والاجتماع في ذلك العصر كما يدلّنا على الصيغة التي كانت عليها الاصطلاحات في عصره أيضا . وبهذا تنتهي المقالة الأولى في العلوم الشرعية العربية من كتاب مفاتيح العلوم.

والمقالة الثانية من كتابنا الموسوعي يخصصها الخوارزمي لعلوم العجم وهـي مـا تعرف بالعلوم الدخيلة وتشمل الفلسفة والمنطـق والطـب والحسـاب والهندسـة والفلـك والموسيقى والحيل والكيمياء([68]). وفي هذه العلوم تسعة أبواب تنقسم بدورها إلـى اثنـين وأربعين فصلا.

فالباب الأول خاص بالفلسفة في ثلاثة فصول يتناول الفصل الأول أقسام الفلسفة وأصـنافها والثاني جمل العلم الإلهي الأعلى والثالث الألفاظ التي يكثر ذكرها في الفلسفة وفي كتبها . يرى الخوارزمي أن الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية هي محب للحكمة ومعناها علم بحقائق الأشياء([69]) تشتمل على علوم العجم كلها وهو يميز بين الفلسفة في جزأين النظري والعملي . فيقسم الجزء النظري بدوره إلى ثلاثة أقسام القسم الأول الأشياء التـي تسـتلزم هيـولي وصورة وهو علم الطبيعية الذي يشمل الطب وعلم الآثار العلوية يعني الأمطار والريـاح والرعود والبروق وما شابهها وعلوم تحت فلك القمر كعلم المعـادن والنبـات والحيـوان

---

[66] نفسه . ص 157 .
[67] المصدر نفسه .- ص 158
[68] نفسه .- ص 161
[69] المصدر نفسه . ص 162

وصناعة الكيمياء تدخل تحت أقسامه لأنها تبحث عن المعدنيات([70]). ويبحث القسم الثاني في الأشياء المنزهة عن الهيولى والصورة وهو ما يسمى بعلم الأمور الإلهية وهو باليونانية ثولوجيا وليس لهذا العلم أجزاء .

أما القسم الثالث فيبحث في الأشياء التي نجدها في الهيولي ، وهو العلم التعليمي والرياضي الذي يشتمل على علم الحساب و العدد ،وعلم الهندسة وعلم النجوم وعلم الموسيقى ويرتبط بهذا القسم علم الحيل([71]).

والجزء الثاني من الفلسفة ، وهو الجزء العملي يشتمل على ثلاثة أقسام أحدها يبحث في العلم الذي ينظم السياسة الفردية ويسمى الأخلاق والثاني في العلم الذي ينظم سياسة المنزل ، وهو تدبير المنزل .و الثالث تدبير العامة يشمل على سياسة المدينة والأمة والمملكة([72]) .

وأيضا الخوارزمي يصرّح أنه« لم يودع هذا الكتاب بابا للأقسام الثلاثة المختصة بالجزء العملي للفلسفة ، يعني بها علم الأخلاق ، وتدبير المنزل ، وسياسة المدينة والأمة والمملكة ، إذا كانت مواضعات أهل هذه الصناعة مشهورة بين الخاصة والعامة » في حين انه أفرد لأقسام الجزء النظري للفلسفة أبوابا تسعة يشتمل كل باب منها على عدّة فصول .

والملاحظ أيضا التقسيم الأرسطي في تصنيف العلوم مع تقديره لترتيب الدرجات: فالرياضيات تحل بين علم الطبيعية من طب وآثار علوية، وكيمياء وغيرها، وعلم ما بعد الطبيعة أي علم الأمور الإلهية([73]) .

في الفصل الثاني يعرض الخوارزمي العلم الإلهي الأعلى ،فيحدّد الله بأنه موجود العالم والسبب الأول والعلة الأولى،وهو الواحد والحق وهو واجب الوجود في حين أن سائر الموجودات هي ممكنة الوجود. في هذا يقول الخوارزمي «الله تبارك وتعالى هو موجد العالم ، وهو السبب الأول والعلة الأولى »). ثم ينتقل إلى تحديد العقل الفعّال، فيقول إنه القوة الإلهية التي يهتدي بها كل شيء في العالم العلوي والسفلي ، من الأفلاك والكواكب والجماد

---

[70] نفسه .- ص 162
[71] نفسه .- ص 162
[72] نفسه .- ص 163
[73] نفسه .- ص 162

والحيوان غير الناطق ، والإنسان لاجتلاب مصلحته وما به قوامه وبقاؤه على قدر ما تهيا له وعلى حسب الإمكان([74]).

ويقول على العقل الهيولاني إنه القوة في الإنسان وهي في النفس بمنزلة القوة الناظرة في العين ، والعقل الفعّال لها بمنزلة ضوء الشمس للبصر وإذا خرجت هذه القوة إلى الفعل تسمى الفعل المستفاد، ويسمي الخوارزمي العقل الهيولاني الذي خرج من القوة إلى الفعل العقل المستفاد([75]).

بعد ذلك يدخل الخوارزمي في موضوع النفس ، فيحدّد بأنها هي الصورة التي بها صار الجسم الحي حيا . وإنما يستّدل على إثباتها بما يظهر من الأفاعيل عن الجسم الحي عند تصوره بها([76]).

وفي الفصل الثالث من هذا الباب يعود الخوارزمي ليذكر المصطلحات التي يكثر استعمالها في الفلسفة وفي كتبها مثل الهيولي ومرادفاتها المادة والعنصر والطينة والصورة ومرادفاتها الشكل والهيئة والصيغة ، ويحدّد الإسطقس ويذكر الإسطقسات الأربعة من نار وهواء وماء وأرض ، والكيفيّات من،حرارة وبرودة ورطوبة يبوسة وغيرها... وهو ما عرف بين الفلاسفة في ذلك العصر([77]).

في الباب الثاني من المقالة الثانية التي تتعلق بالعلوم الدخيلة من علم المنطق ويسمى باليونانية لوغيا وبالسريانية مليلوثا وبالعربية المنطق ([78]) ضم معجمه الاصطلاحات الأكثر استعمالا . ينقسم علم المنطق في مفاتيح العلوم إلى تسعة أقسام: المدخل والمقولات والعبارات والقياس ، والبرهان والجدل والمغالطة والخطابة والشعر ، ويذكر الخوارزمي أسماء هذه الكتب أولا باليونانية ،ثم يعطي مقابلها باللغة العربية،ولكل هذه الأقسام يعطيها الخوارزمي فصلا خاصا ، ولا يدخل في التفصيل إلى في الفصول الخمسة الباقية .([79])

الفصل الأول في المنطق لكتاب المدخل المعروف باليونانية بايساغوجي ويصرّح أنّ الكتاب ليس عن أرسطو وإنما« لفرفوريوس» صنفه مدخلا لكتب المنطق وتفسيرا لها فيحدّد بإيجاز الشخص ، والنوع والجنس وجنس الأجناس ونوع الأنواع والفصل والحدّ والعرض

---

[74] نفسه .- ص 163
[75] نفسه .- 163
[76] نفسه .- ص164
[77] نفسه.- صص 164- 165- 166- 167
[78] نفسه .- ص 171
[79] نفسه .- صص 177- 178 – 179

والخاصة ورسم الشيء والموضوع والمحمول أما عند السريان فشرحه علماء اللاهوت والتفسير([80]) .

أما عند العرب الذي وصل إليهم علم المنطق عن طريق السريان واليونان وفي الفصل الثاني في المقولات فيفصلها حسب التصنيف الأرسطي فيذكر أولا الجوهر وهو كل ما يقوم بذاته كالسماء و الكواكب والأرض والحيوان .

وهنا يستشهد الخوارزمي بقول ابن المقفع الجوهر عيناً وكذلك سمى عامة المقولات وسائر ما يذكر في فصول هذا الباب بأسماء طرحها أهل الصناعة فترك ذكرها ([81]) . بعد ذلك يحدّد الخوارزمي بقية المقولات من كم وكيف وإضافة ومتى ، وأي ووضع ومقولة ومقولة له التي يسميها البعض مقولة والبعض الآخر الجدّة ثم مقولة ينفعل ، وأخيرا مقولة يفعل .

ثم ينتقل في الفصل الثالث إلى كتاب « التفسير» الذي يقال له أيضا «العبارة» وهو أول كتاب أرسطي فيذكر فيه الاسم والكلمة الرباطات والخوالف والقول والسور والقوم الجازم والقضية .

وهنا يميز بين القضية الموجبة والسالبة المحصورة والمهملة الكلية والجزئية والمطلقة، كما يذكر أيضا الجهات في القضايا من وجوب وامتناع وإمكان([82])

وفي هذا الفصل يعرض لنا الخوارزمي كل ما يتعلق بالقياس وأشكاله فيحدّد القضية ويسمي نتيجة ما بين المقدمتين جمعتا القرينة والجامعة هي القرينة والنتيجة إذا جمعتا ، ويسميها أيضا الصنعة ، وهذا ما يسمى باليونانية «سولوجسموس» وبالعربية قياس([83]). ويبّين لنا أن القياس بحد ذاته قائم على تبين الحد الأوسط ، وهو استخراج الكليّ من الجزئي حسب المفهوم الأرسطي . أما بالنسبة للفصول الخمسة الباقية فيذكر عناوينها وبعض المصطلحاتها المستخدمة .

وفي الفصل الخامس يذكر أصول البرهان ويحدّد علله الأربع من هولانية وصورية، وفاعلة ولمّائية . ثم يعرّف في الفصل السادس يعرّف بكتاب الجدل وينتقل مباشرة إلى التعريف بكتاب المغالطة ، في الفصل السابع .

---

[80] نفسه .- ص 172
[81] نفسه .- ص 173
[82] نفسه .- ص 175
[83] نفسه .- ص 176

ثم في الفصل الثامن يحدّد الخطابة ، وفي الأخير يعرف الشعر [84].

ومن خلال كتابه الموسوعي الخوارزمي هنا يطلعنا على الحالة التي كانت عليها العلوم الدخيلة (الأجنبية) في عصره وأيضا قدم لنا عدد كبير من المصطلحات في المنطق العربي وعلوم أخرى في هذا الميدان . بعد كلامه عن المنطق ينتقل الخوارزمي إلى الباب الثالث وهو باب الطب ويشغل ثمانية فصول يتكلم أولا عن التشريح ، فيـذكر مـثلا الشـرايين والعروق على أنواعها والعضل والعصب وطبقات العين وغيرها[85]...

وفي الفصل الثاني عن الأمراض والأدوية،فيذكر مثلا السعفة والسرطان والداحس وغيرها . وما يتصل بذوات السموم والعقارب وإرتيلاء والكلب ويعود إلى سائر الأمراض المعروفة ولا يميز بين الجسمية منها والعقلية[86]) بل يذكرها على حدّ سواء ، ودون تصنيف و ترتيب . و الفصل الثالث يذكر فيه الأغذية بشكل عام منها الأطرية ، والقطائف والنشا والكشك والهليون وأصناف السمك[87].. ويفصل في القسم الرابع الأدوية ، ويفرق بين النباتية منها ، وهي ثمر أو بروز، زهر أو أوراق ، أو قضبان أو عصارات أوصموغ... والمعدنية وهي حجرّية أو ممّا ينبع مثل القار ..والحيوانية وغيرها ويذكر خامسا الأدوية المشتبهة الأسماء ، كالصابع الصفر وإكليل الملك،وآذان الفار وبقلة الحمقاء . وفي الفصل السادس يذكر الأدوية المركبة كالترياق وأصناف الأدوية من معجون وإياجات ومطبوخات وحبوب وأقراص وأضمدة وأطلية وأدهنة وأشربة وربوب[88] وغيرها.

ثم ينتقل في الفصل السابع إلى أوزان الأطباء ومكاييلهم فيـذكر القسـط العطـري، والقنطار والكوز والقيراط والفل والجوزة وغيرها.. وينهي كلامه في الطب بفصـل فـي النوادر يذكر فيها الأمزجة والأخلاط[89] وغيرها .

الباب الرابع من في علم الحساب وهو خمسة فصول يتكلم الخوارزمي في الأول منها عن الكميّة المفردة ويقول بأنها العدد هو الكثرة المركبة من الآحاد إذا فالواحد ليس بالعدد ، وإنما هو ركن العدد . فيميز بين العدد الزوج والعدد الفرد ، وزوج الـزوج زوج الفـرد

---

[84] نفسه .- ص 179
[85] المصدر نفسه .- 183-184
[86] نفسه .-صص 186 – 187- 188- 189 - 190
[87] نفسه .- صص 192- 193
[88] نفسه .- ص 195
[89] نفسه .- صص197- 198 - 199

والوحدانيات وبين العدد التام العدد الزائد والعدد الناقص[90] . ثم في الفصل الثاني يـ الكميّة المضافة فيقسمها على قسمين : المعادل كالخمسة والخمسة والثاني المضاف ومن الكبير ومنه الصغير والكبير بدوره خمسة أنواع المضاعف والزائد جزء أو الزائد أجـ والمضاعف الزائد أجزاء... والصغير خمسة أنواع أيضا وأقسامه على عكس ما ذكره الأمثلة[91] أعلاه .

في الفصل الثالث يصنّف الخوارزمي الأعداد المسطحة والمجسّمة ، منهـا المثلث والمربعة والمخمسة والمسدسّة وكذلك ما شابهها من السطوح على هذا القياس.أما الأعـ المجسّمة فمنها المخروطة ، ومثلثة القواعد ومربعة القواعد ... ويميز بين العدد الـدوائر والعدد الكرّي . وفي الفصل الرابع نجده يذكر العيارات فيجعلها عشـرة منهـا الحسـابيّ والمساحّي والتأليفي ومقابل المساحّي ومقابل الحسبانيّ[92] ...

أما الفصل الأخير فهو مخصص لحساب الهند وحساب الجمل مع حروفـه الأبجديـ وتصنيفها عمليا ومبادئ الجبر والمقابلة فيقول أولا أن قوام حساب الهند تسع صور يكتفـ بها في الدلالة على الإعداد إلى ما لا نهاية له ومراتبها أربعة الآحاد والعشرات والمئـات والألوف[93]. وتوضع الصفار لحفظ المراتب في المواضع التي ليس فيها أعداد . ويقـول في مبادئ الجبر والمقابلة إنها : تدبير حسن لاستخراج المسائل العويصـة فـي الوصـايا والمواريث والمعاملات والمطارحات وسميّت بهذا الاسم لما يقع فيها من جبر النقصـانات والاستثناءات ومن المقابلة بالتشبيهات وإلقائها . أما الباب الخامس من المقالة الثانية فهـو باب مخصّص للهندسة ، وهو أربعة فصول . يتناول الفصل الأول منهـا مقـدمّات هـذه الصناعة ، صناعة المساحة ، كالمصادرة والمقادير ، والأبعاد ، والنقطـة وغيرهـا[94]... يقول فيه أن هذه الصناعة تسمى باليونانية جومطريا وهي صناعة الماسحة وأما الهندسـة فكلمة فارسية معربة وهي اندازه أي المقادير ويستشهد بقول الخليل بن احمد :المهندس الذي يقدر مجاري الفنيّ ومواضعاتها حيث تحتفر... ويذكر كتاب الإسقاطات لاقليدس اليونـاني الذي صنف أصول الهندسة[95] .

---

90 نفسه .- ص 203
91 المصدر نفسه .- ص206
92 نفسه .- ص 207 - 208
93 نفسه .- ص 208
94 نفسه .- صص209 - 210 - 211
95 نفسه .- ص217

ويتناول الفصل الثاني الخطوط ، فيجعلها ثلاثة : مستقيم ومقوّس ومنحن. ويميزّ ب
المتلاقية منها والدائرة[96]، بدقة وضبط .

وفي الفصل الثالث يعدّد أنواع البسائط من مسطّح ومقّبب ومقعّر، ويتوسع في تفري
كل منها ، إلى أن ينتقل في الفصل الأخير إلى الكلام عن المجسمّات فيحدّد أشك
المختلفة، كالشكل الناري والأرضي والمائي والهوائي والفلكي واللبنيّ والوحيّ[97]. وم
خلال هذين البابين يكون الخوارزمي قد قدم لنا في الفصلين المتعلقين بعلم الحس
والهندسة أصدق صورة عن تقدم العلم عند العرب في القرن الرابع الهجري .

الباب السادس وهو يبحث في علم النجوم ويسمى بالعربية التنجيم وباليونان
اصطرنوميا[98] وهو أربعة فصول ، لقد كان لهذا العلم أهمية خاصة عند الخلفاء والملو
لحاجتهم إليه .

في الفصل الأول من الباب السادس ، يذكر المؤلف أسماء النجوم السيارة والثابت
وصورها[99]، ثم ينتقل في الفصل الثالث إلى ذكر الأفلاك وتركيبها وأحوال الكواكب فيه
وهيئة الأرض وأقاليمها .

أما الفصل الثاني فهو مخصّص لمبادئ الأحكام يذكر فيه بيوت الكواكب وشرفها، والبروج
، والأوتاد ، وأرباب الأيام السبعة كما يعدّد الكواكب ، كما يعدّد الكواكب المتحيّرة ويميز
بين العلّوية منها والسفلية ، وبين التشريق والتغريب وغيرها[100]... وينهي كلامه في هذا
الباب بذكر أسماء آلات علم النجوم مثل الإسطرلاب[101] على كافة أنواعه : العضادة
والحجرة[102] . وفي الباب السابع من المقالة الثانية يتحدث فيه عن مصطلحات علم
الموسيقى[103] وفيه ثلاثة فصول : يتناول الفصل الأول ذكر أسامي آلات هذه الصناعة من
الأرغانون والشلياق واللور والقيثارة والرباب والمعزفة والمستق والناي والصنج والعود
وغيرها، ثم يصنف أوتار العود الأربعة ، ويذكر الألحان المنسوبة إليها[104].

---

[96] نفسه .- صص 218- 219
[97] نفسه .- صص219- 220
[98] نفسه .- ص 225
[99] نفسه .- صص225-226-227
[100] نفسه .- ص233
[101] الإسطرلاب معناه مقياس النجوم وهو باليونانية اصطرلابون – اصطر هو النجم وهو المرآة لذلك قيل علم النجوم .- ص237 من المصدر نفسه
[102] نفسه .- ص237
[103] نفسه .- ص 241
[104] نفسه .- ص 243

وفي الفصل الثالث يتحدث عن تدابير هذه الأشياء ومعالجتها،فيحدّد التقطير والتصعيد والتحليل التشوية التشميع والتصدئة والتكليس والتصويل والألغام ([111])وغيرها... ثم يميز بين أنواع الحجر عندهم من حيوانيّ ومعدنيّ ، ويذكر أصناف كل نوع .

وبالمقالة الثانية ينتهي كتاب « مفاتيح العلوم» . وبها فقد توصل الخوارزمي إلى إنجاز عمل موسوعي ، و يمكن أن نستدل على مصطلحاته بأنه قد توصل إلى مستوى رفيع من الثقافة الموسوعية والاستطلاع الشامل قليل في عصره فلم يترك علما أو فنّا إلاّ وتعرضّ له وبحث فيه وذكر جميع مصطلحاته ، وحدّد ودقق فيه فكانت ثقافته خير دليل على شخصيته الفذة .

4-7 <u>مصادر « الخوارزمي»</u>:

هو لا يذكر علانية المراجع والمصادر التي استقى منها في هذا الباب ،بل نستشفها من خلال المعلومات المعالجة بين صفحات معجمه ، وهي لا تختلف عن ما جاء به معاصروه كالفارابي وإخوان الصفا وابن سينا بل تبيّن ذلك في « موسوعته» .غير أنه يذكر أكثر من مرة الخليل بن أحمد الفراهيدي وبعض الأدباء أمثال ابن المقفع وأقوال كل من أبو تمام الجعدي وبشار وامرؤ القيس . ثم لا ننسى أن نشير إلى مصادره الفارسية واليونانية والسريانية لأنه كان يتقنها كما أنه يعتبر «كتابه مفاتيح العلوم » مرجعا يستخدمه موظفو الدواوين .

4-8 <u>منهج « الخوارزمي» في تأليف معجمه الموسوعي</u> :

إن منهجه يقوم على أساس التقسيم من الكل إلى الجزء أو من العموميات ليخرج منها إلى الجزئيات إذ يبدأ تقسيمه بالقرآن والعلوم الإسلامية إلى جزئيات لينتقل منها على عمومياتها بنوع من التخصص في ذلك ويركز على المصطلحات أو الكلمات المفتاحية لكل علم من العلوم المشهورة آنذاك وهو أشبه المعجم الموسوعي المتخصص، يحتاجه الباحث للتعبير على أساليب علمية أو نظرية لأنه اقتصر على مصطلحات العلوم . كما يساعد المترجمين في ترجمة العلوم من اللغات الأجنبية كاليونانية والفارسية والهندية واللاتينية وغيرها إلى اللغة العربية .

---

[111] نفسه .- ص- 261 -262

ولمعرفة أكثر كتاب الخوارزمي بمفاتيح علومه كان علينا أن نلجأ إلى حساب نسبة مصطلحات التي وردت فيه ،فاستعملنا الدائرة المثلثية..والجدول التكراري([112])

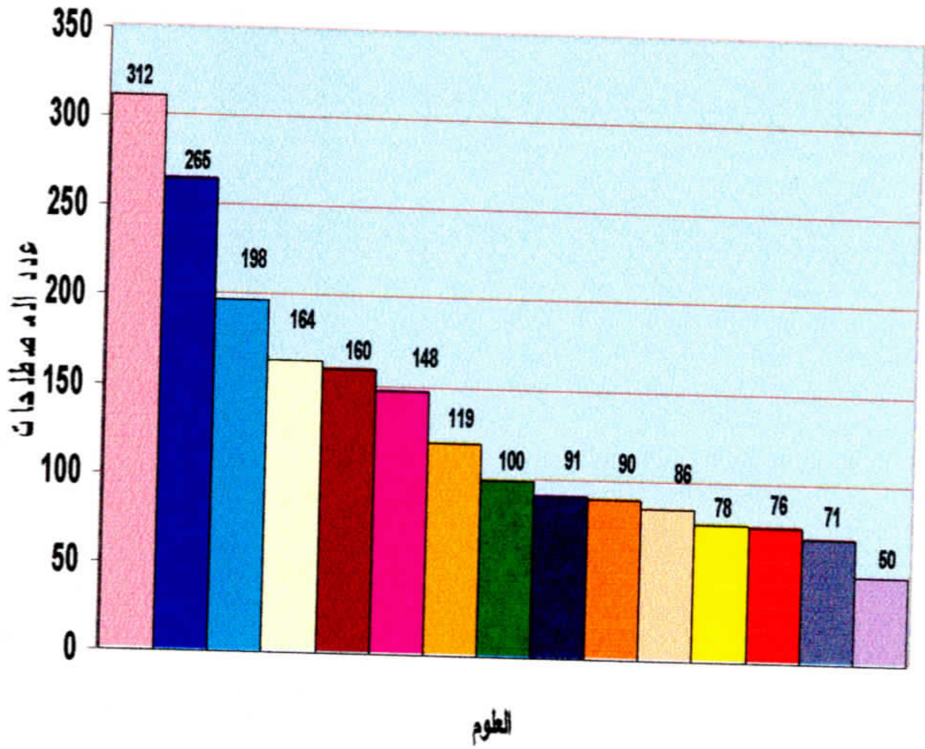
نعطيها تفسيرا علميا أو معرفيا كما هو الحال في كتابنا الموسوعي.و التي يكادفيها الخوارزمي أن يكون متخصصا .

5 - <u>نسبة المصطلحات في مختلف العلوم:</u>

5- 1 مدرج تكراري رقم 1 لتوضيح عدد المصطلحات ف لمختلف العلوم في كتاب مفاتيح العلوم (النسبة من الأكبر إلى الأصغر) :

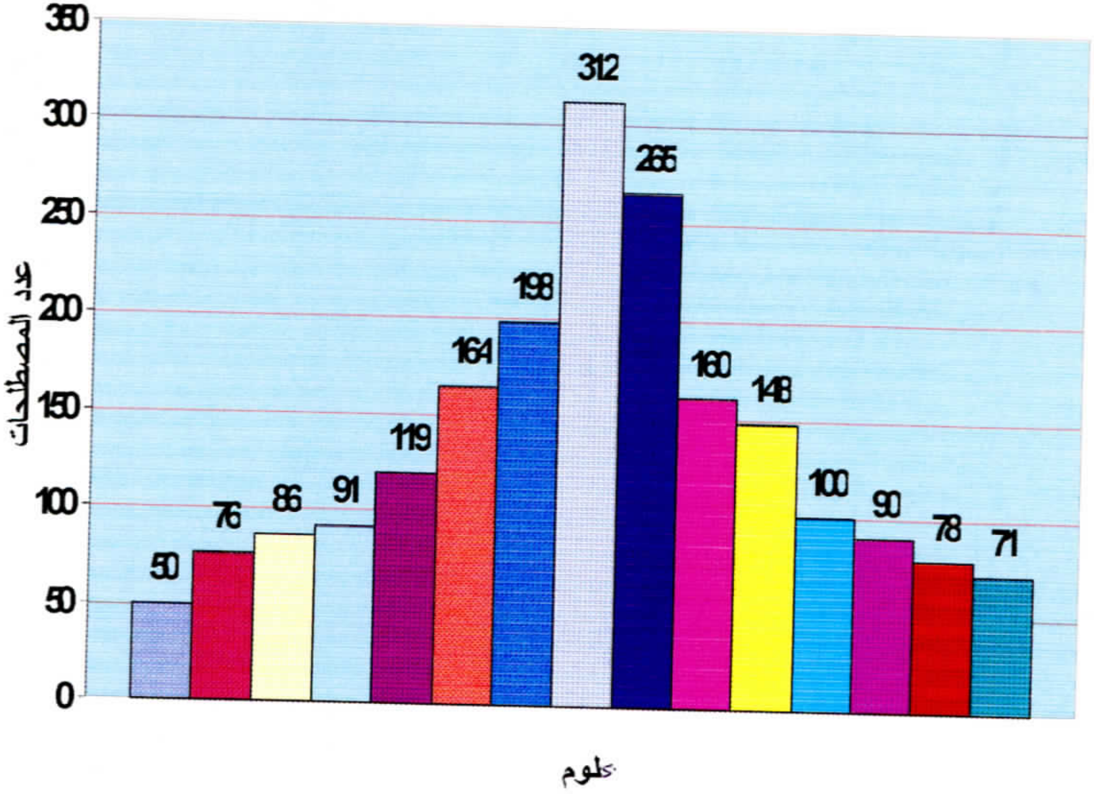
[112] اعتمدنا في ذلك على جودت غريب عطوي . أساليب البحث العلمي مفاهيمه .أدواته.طرقه الإحصائية.- عمان : دار العلمية الدولية، 2000 .- صص170—180 و مصطفى حسين باهي : الإحصاء التطبيقي في مجال البحوث التربوية والنفسية والاجتماعية .- ط 1b .- القاهرة : مركز الكتاب للنشر، 1999.- صص20- 26 و 35 .

<u>مدرج تكراري يوضح التوزيع العددي للمصطلحات بدلالة العلوم</u>

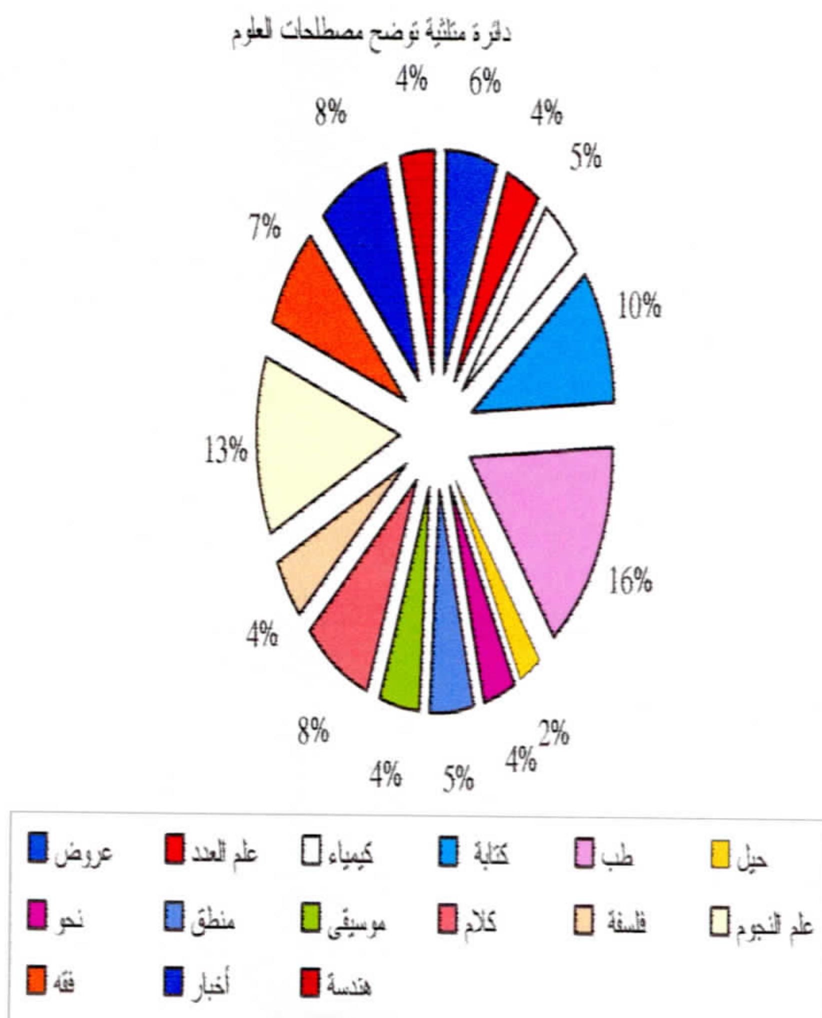




2- مدرج تكراري رقم 2 لتوضيح عدد المصطلحات لمختلف العلوم في«مفاتيح العلوم »



3-5 دائرة مثلية لتوضيح نسب مصطلحات العلوم في «مفاتيح العلوم»



<u>5-4 التعليق على النتائج المحصل عليها من نسب مصطلحات العلوم :</u>

معطيات المدرج التكراري الآتي تبين لنا التوزيع العددي للمصطلحات المختلفة في شتى العلوم فيوجد (2008 مصطلح) تتوزع على (15 علم) في جميع الميادين : فالطب ، علم النجوم ، الكتابة والأخبار والكلام والفقه تعتبر من بين العلوم التي تحتل الصدارة في عدد المصطلحات والتي تحوي على 312- 265 - 198 - 164 -160 - 148 مصطلحا على الترتيب عكس علم الحيل الذي يحتوي على خمسين مصطلحا والنحو بـ71 و الهندسة 76 ،علم العدد 78 ،الفلسفة 86 الموسيقى90 الكيمياء91 والمنطق بـ100 ثم العروض بـ 119مصطلحا فمقارنة بالطب عدد مصطلحاته عالية جدّا نظرا لتشعب موضوعاته وكثرة تخصصاته الفرعية وأيضا لاستخدامات هذا العلم في الميدان التطبيقي بكثرة وارتكازه على علوم أخرى . والمنطق الذي يحوي مائة مصطلح علما أن القرن الرابع الهجري هو العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية من حيث التقدم العلمي .

لنبدأ <u>بعدد مصطلحات الطب</u>

نجدها عالية جدّا بنسبة(15.0%4)نظرا لتشعب موضوعاته وتعدد فروعه ، وذلك لاستعمالات هذا العلم في الميادين التطبيقية والنظرية كالكيمياء والصيدلة .فإذا أردنا معرفة سبب كثرة مصطلحات علم الطب وهذا بالرجوع إلى الحقبة وهي القرن الرابع الهجري ، فالطب في تلك الفترة كان متطورا جدّا برواده واكتشافاتهم الرائدة في جميع تخصصات الطب من تشريح وأمراض وبالأدوية وغيرها . دون أن ننسى ذكر مؤلفاتهم الخالدة أمثال أبو بكر الرازي الذي ألف 56 كتاب ومن أهمها : الحاوي في الطب والمنصوري في التشريع([113]). وإخوان الصفا وخلان الوفاء فقد جمعوا في رسائلهم كثيرا من العلوم الطبية ، ونجد أيضا أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي ومؤلفه التصريف لمن عجز عن التأليف الذي ترك أثرا كبيرا في النهضة الأوروبية مدى خمسة قرون وترجم كتابه هذا إلى العبرية و اللاتينية([114]) وابن سينا يعدّ من أعظم أطباء عصره فنبغ ليس فقط في الطب بل أيضا في الأدب والفلسفة والعلوم ، ومن مؤلفاته كتابه القانون في الطب وهو موسوعة طبية يمثل القمة العلمية التي وصلت إليها الحضارة العربية الإسلامية في فنون الطب .

---

[113] مجموعة مؤلفين. *الموسوعة العربية العالمية* .-مج24 .- 2b – *الرياض* : مؤسسة عمال الموسوعة للنشر و التوزيع ، 1999 .- ص 439

[114] المرجع نفسه، *الموسوعة العربية* .- ص 440

ننتقل الآن إلي علم الفلك الذي اشتهر عند المسلمين باسم علم الهيئة وعلم النجوم وعلم
صنعة النجوم ، وباللاتينية يطلق عليه تسمية « L'astronomie » . هذا العلم لم يؤسس
على منهج علمي وقواعد ثابتة إلاّ في العصر العباسي بعد أن اتسعت حركة النقل والترجمة
وأول كتاب ترجم ، كان كتاب « عرض مفتاح النجوم» للفلكي اليوناني هرمس ([115]) .
وللعرب مؤلفات في التنجيم سواء في المشرق أو المغرب العربي ومن أبرز هؤلاء
أبو معشر الفلكي البلخي (ت 272 هـ- 886 م) ومن من أهل المغرب ابن أبي الرحال
أبي القيرواني (ت بعد سنة 433 هـ- 1040 م) ومن أهم مؤلفاته كتاب البارع في أحكام
النجوم والطوالع وترجم إلى اللاتينية والإسبانية والعبرية .
واستفاد كذلك العلماء المسلمون من المؤلفات الفلكية التي ترجموها من الأمم السابقة لهم
فصححوا ونقحوا بعضها وزادوا عليها وقد أدت انتقادات كبار العلماء أمثال ابن سينا
والفارابي وابن حزم إلى نبذ الاتجاه الخرافي الذي ساد وقتا طويلا، ومن ثم انطلق العلماء
في مرحلة التطوير ثم الإبداع الحقيقي الذي جاء من خلال التطبيق وعمليات الرصد([116])
وحققوا فيه إنجازات عظيمة منها رصدهم الخسوف والكسوف حساب حركة ومواقع النجوم
والكواكب بجداول حسابية وهو ما عرف بعلم الأزياج وطوروا آلة قياس النجوم اليونانية
المسماة بالإسطرلاب هذا العلم من أكثر العلوم الذي أثرّ فيه المسلمون على العالم ففيه
بصمات عربية واضحة تتمثل في كثرة المصطلحات التي عرفت في القرون الوسطى؛
الفلكية وغيرها مازالت تحمل حتى اليوم أسماء عربية([117]). ولهذا فإن هذا العلم يحتل
المرتبة الثانية من حيث نسبة مصطلحاته بـ (13.01%) . ومن العلماء الذين ألفوا في هذا
العلم الدينوري (282هـ - 895 م) بكتابه «القبلة والزوال» وابن طفيل الأندلسي
(ت 581هـ - 1185 م) ومؤلفه «حي بن يقظان » .

:

... بمفهومنا الحاضر هي مجمل« وثائق» الدولة الداخلية والخارجية . فالكتابة في ذلك
... كانت أداة فعّالة لوزارة التنفيذ ومعناها أن الوزير ينفذ أمر الخليفة ويتولى هذه

---

(115) المرجع السابق. الموسوعة العربية العالمية .- ص 516 .
(116) نفسه ، ص517 .
(117) نفسه ، ص 527.

زارة أرباب الأقلام وسميت أيضا بوزارة القلم(118) ونجد في أداة الحكم الإسلامي سطلحات عديدة تدل على نظم فارسية وبيزنطية أو غيرهما تستعمل في جميع أرجاء لافة الإسلامية أيام وحدة المسلمين السياسية منها : كلمة ديوان هي كلمة فارسية كانت ي في أول الأمر السجل الذي يكتب فيه ما يختص بالشؤون الإدارية ، ثم أصبحت تدل ى المكان الذي يعمل فيه الكتّاب . وقد كان عمل الدواوين يتلخص في الإدارة المركزية لإدارة المحلية : فالأولى تشمل التراسل وشؤون المال ،والثانية تشمل إدارة الولايات(119). عن المراسلات فكانوا يتبادلون الرسائل مع الملوك وغيرهم من عمالهم وموظفيهم .

وقد أصبح فيما بعد عمل هذا الديوان معقدا وتعددت تخصصاته وكثر موظفوه وكان للعاملين فيه أن يتقنوا اللغة العربية ، وأن يعرفوا لغات أجنبية منها الفارسية والتركية ونانية والأرمنية ، وكذلك أصبح له أرشيف توضع فيه كل ما يصدر عن الديوان . سطلحات هذا الميدان من وثائق البريد والوثائق الإدارية بمختلف أنواعها تطلبت نوع من لور الخاص في المجتمع الإسلامي مع استعمال اللغات الأجنبية وهنا وفي هذه الحالة ضرورة تدمج مصطلحات كثيرة ، حتى يتم التواصل . وتطور مصطلحات الكتابة يعني يم في هذا الأرشيف الوثائقي ومن جانب آخر تقدم في السياسة الخارجية ومنها العلاقات وماسية ومن رموز الكتابة في بغداد ابن العميد وابن الصاحب بن عباد وأبو حيان حيدي الذي وصل إلينا كتابه الإمتاع والمؤانسة(120) وأبو زيد أحمد بن سهل (322هـ) ل له (جاحظ خراسان) وله مؤلفات في البلاغة والتأليف منها أقسام العلوم .

الأخبار

ثل في (السير، المغازي ،الطبقات ،الأنساب ، الوفيات والتراجم) وهو أيضا «علم ريخ». فعرف هو آخر تطورا كبيرا وكان شديد الخصب فلابدّ في هذا الخصب وغزارة يف من أن تكون نسبة مصطلحاته مرتفعة والمقدّرة بـ (8.03%) وقد اشتغل سلمين بالتأليف فيه كثيرا واعتبروه من أحسن العلوم وأشهرها . ومن مؤلفي هذا العلم ، مثلا:جرير بن جعفر الطبري (تـ310 هـ-923م) وابن عبد ربه(تـ327هـ- 939م) سعودي (تـ 346هـ- 906م) وغيرهم .

عبد المنعم، ماجد . تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى .- القاهرة : مكتبة الأنجلو سرية،1963 .- ص23
المرجع نفسه .عبد المنعم تاريخ الحضارة الإسلامية.- ص 35
مين أحمد. ظهر الإسلام .- ج1 .- ط3b.- بيروت : دار الكتاب العربي ،1945 .- ص 238

علم الكلام والفقه

العلم الأول بـ(7.95%) والثاني وهو علم الدين بـ(7.45 %) هما متقاربا النسبة لأنّ علم الكلام الإسلامي أو علم العقائد كان مرتبط بالفقه وتحرّر منه غير أن علم الكلام تطورت مصطلحاته عن الفقه . وظهرت فرق كلامية خمسة كبرى (أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج) التي كان المسلمون منقسمين إليها في ذلك العهد([121]) للعلم أن العراق في تلك الفترة كان بها متكلمون أمثال: الحسن الأشعري (تـ 270هـ- 303 هـ) والباقلاني محمد بن الطيب أبو بكر (تـ 338هـ- 1013م) . ومن المجتهدين في الحركة الفقهية داوود الظاهر الأصفهاني (تـ270 هـ) وجرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ (تـ 310 هـ) وأبو الحسن عبيد الله الكرخي (تـ 260هـ-952م) وأبو بكر أحمد بن بيان الطائي البغدادي أحد أعلام في الفقه(تـ بعد270 هـ) .([122])

أما أعلام الفقه بخراسان نذكر مثلا : أبو حاتم محمد بن حسان التميمي السمرقندي (تـ 354هـ) وأبو بكرمحمد بن المنذر النيسابوري وأبوبكر بن خورك الأصفهاني الأصولي المتكلم (ت 604هـ) وأبو القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي (تـ 317 هـ) الذي اشتهر بتبحره في علم الكلام غيره .

وإذا بحثنا في علم الكيمياء عند العلماء المسلمين فنجدهم أن اهتمامهم به كان موازيا لعلم الطب ، خاصة منها التطبيقية لاعتقادهم بأهميتها في صنع الأدوية المركبة ، وساعدهم في ذلك استعمالهم الفائق الدقة للموازين والمكاييل والآلات وهو ما يمكن أن يطلق عليه الآن بالكيمياء الصناعية([123]) غير أننا نلاحظ نسبة مصطلحاته قليلة (4.55%) بالمقارنة مع التطور الذي شاهده هذا العلم آنذاك إلاّ أنّ الخوارزمي في كتابه الموسوعي « مفاتيح العلوم » قلّل من مصطلحات هذا الاختصاص ، والمعرف في علم الكيمياء أنه كان متطورا لارتباطه بالطب والصيدلة ولحاجتهما الواسعة بالتجارب التطبيقية . بدليل أن أول عهد العرب بالكيمياء والعلوم الطبيعية كان أيام خالد بن يزيد بن معاوية ويقال جعفر الصادق (تـ 148هـ- 765 م) كان على علم بهذه الصنعة، وأن جابر بن حيّان تعلمها منه ومع

[121] أدم ميتز/ محمد عبد الهادي أبو ريدة . الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري.- ج 1 .- بيروت القاهرة : دار الكتاب العربي ، مكتبة الخانجي ،1967 ..- ص 351

[122] المرجع السابق . ظهر الإسلام .- صص 222- 223

[123] المرجع السابق .الموسوعة العربية العالمية .- ص 460

جابر انتقلت الكيمياء من الطلاسم إلى طور العلم التجريبي ، وارتقى العلم بعده على يد جهابذة آخرين ألفوا فيه الكثير أشهرهم الكندي يعقوب بن إسحاق (ت 260هـ -873 م) بمؤلفاته : التنبيه على خدع الكيميائيين وأبوبكر محمد بن زكريا الرازي (ت 311 هـ - 923 م)ألفّ: الأسرار – سرّ الأسرار – الحجر الأصفر

وأبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت 440هـ - 1048 م) الجماهير في معرفة الجواهر ومفاتيح الرحمة ومصابيح الحكمة([124]). وأيضا جابر بن حيان (ت 200هـ - 859 م) بمؤلفاته : التدابير – السموم ودفع مضارها – الموازين ، وأبو علي ابن سينا الحسين بن عبد الله (ت428 هـ- 1036م) بمؤلفه الشفاء في المنطق والرياضيات (يتضمن فصولا في الكيمياء) وغيرهم ولا يمكن حصرهم في هذا المجال الواسع.

أما علم الحيل وأطلقوا عليها أحيانا علم الآلات الرومانية ويسمى في وقتنا الحالي بالميكانيكا وهي فرع من العلوم الفيزيائية ،هو اقل نسبة بـ (2.05%). لأنها لقيت قدرا قليلا من اعتناء العلماء العرب والمسلمين لم يبدعوا فيه كما أبدعوا في علم المناظر (البصريات)

عرف العرب هذا العلم من خلال حركة النقل الأولى التي أخذوها من اليونانيين فقد ترجمو كتاب «الفيزيقس »لأرسطو ، وكتاب الحيّل الروحانية . كما اهتموا بمؤلفات أرخميدس .وفي هذا نجد الخوارزمي يذكر مصطلحات آلات رفع وجر الأثقال مثل الإسفين ، البيرم الخنزيرة ، اللولب والأسطام والأسقاطولي وهي من مصطلحات علم الحيل و الفيزياء ومن العلماء الذين ألفوا في هذا العلم : يعقوب بن إسحاق الكندي (ت 260هـ - 873 م) ألف المصوتات الوترية والرسالة الكبرى في التأليف . وأحمد بن موسى بن شاكر بعد (سنة 270هـ- 883 م) ومن مؤلفاته «حيل بني موسى» بالاشتراك مع أخويه محمد والحسن في أواسط القرن الثالث([125]). وابن سنا (428 هـ - 1036 م)

رسالة في أسباب الرعد والشفاء . وأبو علي الحسن بن الهيثم (429 هـ- 1038) من مؤلفاته: «رسالة الضوء ورسالة في ضوء الكوكب» وأبو الريحان البيروني (440 هـ - 1048م) : الآثار الباقية ، القانون المسعودي، الجماهير في الجواهر. وعبد الرحمن الخازن (ت 550هـ - 1155 م) ميزان الحكمة والميزان الجامع . وبديع الزمان بن الرازي

---

[124] المرجع نفسه .- ص 461

[125] الموسوعة العربية العالمية.- ص437 - 478

الجزري بعد سنة (602هـ – 1205 م) معرفة الحيل الهندسة الجامع بين العلم العمل النافع . وفخر الدّين الرازي (606 هـ 1209 م) ونظر الدّين الطوسي وقطب الدّين لشيرازي([126]).

الموسيقي نقل العرب أبان حركة الترجمة عددا من كتب اليونان فن الموسيقى ، وبذلك نتقل إليهم كثير من النظريات اليونانية في الموسيقى وكدأبهم في العلوم الأخرى كانوا عمليين ،فلم يقبلوا نظرية إلاّ بعد التثبت منها عمليا . والمسلم به في الغرب أنّ ابن سينا الفارابي ، زادوا على الموسيقى اليونانية وادخلوا عليها تحسينات جمّة . ومن مؤلفاتهم في هذا العلم كتاب الفارابي (ت 339 هـ – 950 م) « الموسيقى الكبير» لا يقل في قيمته عن لكتب اليونانية في الموسيقى . وأطلق عليه المعلم الثاني لأنه أول من وضع أسس التعاليم لصوتية ، كما نجد أيضا في رسائل إخوان الصفا وخلاّن الوفاء بحثا في الموسيقى أدرجوه ي القسم الرياضي من الرسالة الخامسة يتناولون فيه صناعة الموسيقى([127]).

أما النحو إنّ القرن الرابع الهجري فتح فتحا جديدا في كل من الناحتين الرئيسيتين علوم اللغة العربية ، وهما النحو وعمل المعاجم وقد تخلص علم اللغة ، كما تخلص علم لكلام من طريقة الفقهاء ومناهجهم([128]) كالسند ورجاله والجرح والتعديل فكان لابدّ للغويين ن التدقيق في الألفاظ حتى أمكن وضع مصطلحات لغوية تتميز عن اللغة المألوفة([129]) ، من خلال نسبته (3.55%) يمكن القول أن مصطلحاته بدأت طريقها في الازدهار الإرتقاء . ومن علماء النحو نذكر على سبيل المثال أبو سعيد السيرافي الذي كان من أعلم ناس باللّغة والنحو له كتاب شرح كتاب سبويه (ت368هـ)كما نجد أبو الحسن الروماني ذي جمع بين النحو وعلم الكلام وأيضا بن جني ([130]) وأبو بكر محمد بن دريد الأزدي، أبو بكر الأنباري هذا في اقليم بغداد وجنوب فارس([131]).أما عن خراسان وما وراء النهر ن أئمة اللغة نجد كل من الأزهري أبو منصور محمد بن الأزهر الذي ألفّ كتاب التهذيب

---

[126] الموسوعة العربية العالمية.- ص 478
[127] الموسوعة العربية العالمية .- ص 468 –469
[128] المرجع السابق .الحضارة الإسلامية .- صص434- 435
[129] أدم ميتز .الحضارة العربية الإسلامية. ص 367
[130] أحمد أمين .ظهر الإسلام .- صص 232- 233
[131] المرجع نفسه.- صص 238-239

ـ 370 هـ) والجوهري صاحب الصحاح المبتكر لطريقة المعاجم التي طبقها فيما بعد ابن طور في لسان العرب(132).

نعرج الآن نحو الفلسفة والمنطق فنسبة الأولى(4.03 %) والثانية بـ (5.05 %)هي من العلوم اليونانية ولم يعرفه العرب إلاّ عن طريق الترجمة حينما وا الفلسفة من اليونان وأضافوا إلى ما ترجم شروحا وافية بمحاولتهم إدخال الفلسفة في ح الدين الإسلامي وجعلوها سندا للعقيدة بينها وبين الشريعة فساعدهم اتفاق العقيدة مع قل على تقدمها كما استخدم فلاسفة الإسلام المنطق وطوروه على يدهم إلى علم قصد تخلاص الحقائق واستخدموه في جميع علومهم لازدهار مصطلحاته . وأول من اعتنى فلسفة عبد الله بن المقفع الفارسي (تـ 140 هـ- 707م) ثم يعقوب بن اسحاق الكندي ـ 260 هـ- 873 م) ثم ظهر فلاسفة آخرون مشهورون من أهل خراسان أمثال الفارابي ابن سينا وإخوان الصفاء ، لهم تآليف نفيسة في الفلسفة(133) أما في بغداد فقد ظهر يحيى عدي النصراني سمي برئيس المناطقة (تـ 364هـ) وله إنتاج كثير في النقل من ريانية على العربية وأبو علي بن رزعة (تـ 398هـ) . والغزالي بتهافت الفلاسفة حياء علوم الدين وغيرهم لا يمكن أن يحصر في هذا المجال الضيق

علم العدد وهو يندرج ضمن العلوم الرياضية فالحساب كان متقدما عند الأمم السابقة، لهنود من الناحية العملية ويرجع الفضل أولا إلى اليونان الذين سموه الأرتماطيقي «Arithmétique» ثم إلى العرب في تقدم العلوم الرياضية ، بحيث أسهموا فيها بفروعها ختلفة . فهم الذين نقلوا إلى العالم المتحضر طريقة الحساب بالأرقام وهي طريقة العدد عروفة الآن ، وقد نقلوها عن الهنود فالعدد بالأرقام لم ينتشر بين العرب إلاّ في القرن رابع الهجري أما قبل ذلك فكانوا يستعملون الحروف في العدد(134). فقد بدأت رموز هذا علم في شكل مصطلحات لغوية .

غير أن هذا العلم لم يتقدم كثيرا خلال القرون الثلاثة التي تلت وفاة الرياضي العظيم حمد بن موسى الخوارزمي الذي عاش في القرن (الثالث الهجري- الثامن ميلادي) لقد نت كتب الحساب التطبيقية زاخرة بالأمثلة والتمارين الرياضية ، وكانت تتناول مسائل

---

[132] الموسوعة العربية العالمية . صص 370 و398

[133] المرجع نفسه. أحمد أمين .- ظهر الإسلام .- ص232

[134] المرجع السابق . تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ..- ص 220

واقعية معمولا بها آنذاك ، فمنها ما يتناول المعاملات التجارية ومنها ما يتناول الزكاة والصدقة وتقسيم الغنائم ورواتب الجند وإلى طرق البيع والشراء ([135]) . فألف الخوارزمي محمد بن موسى في هذا العلم كتابه الشهير تفسير الجبر والمقابلة (ت 250هـ-864م) وأبو الوفاء البوزجاني (ت 388هـ- 998م) . وترجمت مؤلفات عديدة اشهرها كتاب المدخل إلى علم العدد «لنيقوماخوس» الجرشي (ت نحو 135م) والأول الذي عالج فيه مؤلفه علم الحساب مستقل عن الهندسة وفوائد ترجمته هو إدخال مصطلحات رياضية جديدة إلى اللغة العربية ، كما أسهمت في توحيد الاصطلاحات والتعابير الرياضية التي احتاجها المسلمون إبان نهضتهم العلمية([136]) إلاّ أننا نلاحظ أنّ نسبة مصطلحاته غير عالية المقدرة بـ (3.09%).

الهندسة : أخذ هذا المصطلح من كلمة « أندازة » الفارسية الأصل وعربت إلى هندسة . اهتم العرب بهذا العلم ،وبنوا فيه على ما نقلوه من اليونان وأهم مرجع لهم هو كتاب « اقليدس» الذي ترجموه بعنوان الأصول . غير أن إسهاماتهم في هذا العلم لم ترقى إلى مستوى عال ، فقد اهتموا كثيرا بالهندسة النظرية .
أما التطبيقية فقد تمثلت في العمران في المساجد والقصور والقباب وتخطيط المدن([137]) ومن مؤلفي هذا التخصص نجد ثابت بن قرّة بكتابه : في المسائل الهندسية .
وقد يكون هذا سبب قلّة نسبة مصطلحات المذكورة في كتاب الخوارزمي« مفاتيح العلوم » هي (3.08 %).

وكاستنتاج عام لهذه النسب ، فإن زيادة عدد المصطلحات تتناسب طردا مع موضوعات العلم المراد دراسته واستعمالاته في جميع العلوم وتتناسب مع تطور الحضارة. ومنه تتبين لنا أنّ لمصطلحات العلوم أثر مرجعي ممثل في كتاب الخوارزمي الموسوعي «مفاتيح العلوم» الذي جمع لنا مصطلحات تلك الفترة فكانت معلوماته ضافية، إذ عرّفنا بالعلوم كيف وظفت مصطلحاتها والأهم من هذا هو أنه جمع مختلفا للمصطلحات المعروفة آنذاك بنظرة شاملة التي أخذناها من مؤلفه لكن بالرغم من أن هذا المرجع يحلينا إلى مصطلحات الموظفة في وقت مضى إلاّ أننا لو لولاه لما تبينت لنا بعض الأمور.. وهذا

135 المرجع السابق. الموسوعة العالمية .- ص 533 .
136 المرجع نفسه - ص 539
137 المرجع السابق .الموسوعة العربية العالمية . ص 542

نموذج من بين النماذج الكثيرة والمختلفة في نوعية المعرفة أو حجم العلوم التي تعرف عليها العلماء وقتها إذ قدموها للإنسانية جمعاء دون أدنى تحفظ.

ومنها تمكّننا من التعرف على هذه المعرفة التي ظلت فترة من الزمن تنتج ، ومنه نقول أنّ هذه العلوم باعتبارها مجهودا لتجميع المعلومات، بطريقة منظمة ومختصرة كان الأولون بحاجة إليها وإلى فهم قيّمها وتوجهيها نحو ميادين أخرى للبحث فيها، ومجهودا لتوسيع نظرة الإنسان نحو منافذ مجهولة المعالم . « وعبر التاريخ الإسلامي تناقلت المعرفة وتجسدّت في شخصية محورية هي «الحكيم» أو «الإنسان العاقل، وفي العموم هو الطبيب أو الكاتب الشاعر ،الفلكي والرياضي ، هو من أنجز وحدة بين تلك العلوم والتي تمثل أغصان شجرة الحكمة.كما يرسخ هذه الوحدة في العقول،بتعليم العلوم على أنها تطبيقات مختلفة بمبادئ أساسية .وتصنيف علوم هؤلاء العلماء قالب يخضع للدور الذي اختير لهذه العلوم. غير أنه لم يكن بالضرورة أنّ كل هؤلاء الحكماء كانوا أساتذة في جميع حقول المعرفة ، فقد كان بعضهم رياضيون ، أطباء وملاحظين للطبيعة مشهورين لهم سمعة عالمية بارزة » ([138]) كمن سبق ذكرهم آنفا. ومقارنة بعصرنا الحاضر فقد تجزأت المعرفة إلي جزئيات صغيرة بحيث يصعب على الإنسان المعاصر أن يدرك هذا النوع من الذكاء([139]) فالمعرفة إذن كان لها مشوار طويل من التطور إلى ما وصلت إليه اليوم .

وتصنيف هذا المجهود العلمي يفهم منه أنّه كان هناك هدف سعى إليه هؤلاء العلماء، وقد انقسم إلى قسمين :

أ- البحث في العلوم القرآنية .

ب- البحث في العالم المحيط والمعاش .

هذا التقسيم يتماشى مع النتائج المحصّل عليها من جهودهم العلمية بالرغم من ضرورة وجودها مع التقييم الأساسي للعلوم العربية القديمة ، وهي عموما مقدّمة من العلماء المسلمين أنفسهم والأسبقية في تصنيف العلوم مبنية على أساس تاريخي أو على حسب اهتمامات هؤلاء المؤلفين .ثم لا يمكن تجاهل وجود العلوم اليونانية التي زادت في غنى بدون مقياس في الرصيد الإسلامي الثقافي المعرفي ([140]) .

---

[138] Sayyed Hossein Nasr . trad .Jean –Pierre Guinhut.- Sciences et sanoir en islam .-paris .Ed. :Sindibad, 1979.- p36

[139] Sayyed Hossein Nasr trad./ Jean –Pierre Guinhut.- Sciences et savoir en islam .-paris .Ed. : Sindibad .p36.

[140] G.E.Von Grunebaum trad. / Roger Stuvéras .l' identité culturelle de l'Islam. Paris: .Ed.Gallimard,1969.- p12

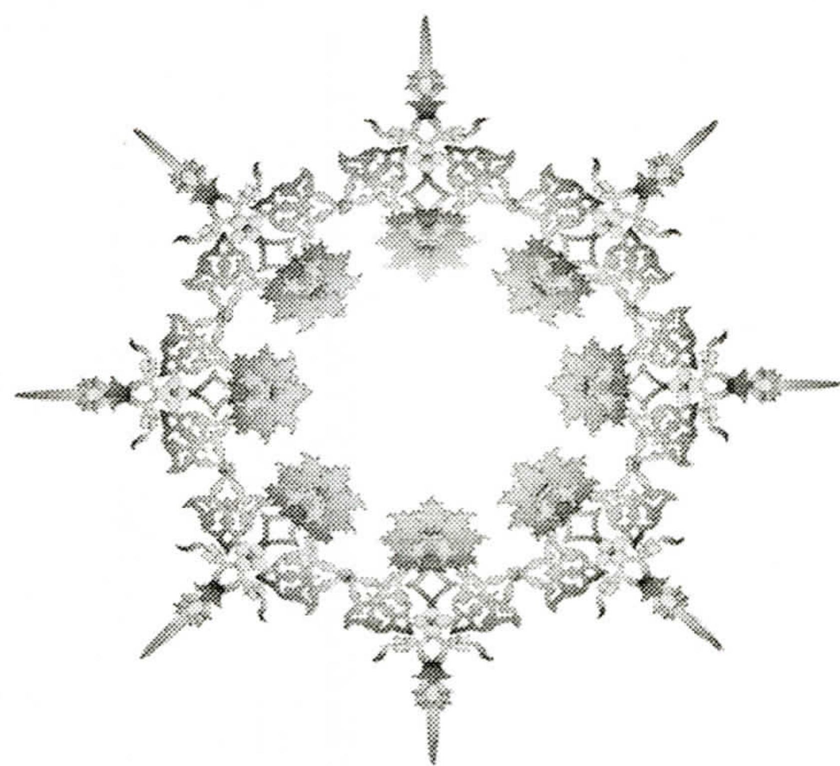
وكملاحظة عامة على تقسيم العلوم عند العلماء المسلمين ، نجد العلوم مقسمة إلى قسمين علوم إسلامية وغير إسلامية. وهذه الظاهرة تدخل في تطور النشاطات المعرفية وتتحكم فيها ظروف خارجية فمثلا إذا كان هناك نشاط معرفي خارجي فلابد أن تكون الإثارة والانبهار والإعجاب ثم التأثر، فقد يكون ذلك وعي من العلماء المسلمون في تقسيم كل العلوم الأصلية العقيدية باستثناء القانون أو الشرعية . ففقه اللغة بتفرعاتها الكثيرة ،والعلوم الأجنبية كالفلسفة وعلوم الطبيعة التي لم يتخلوا عنها.فالعلوم العربية الأصلية كانت تمثل فروعا من المعرفة الضرورية في حياة الفرد والمجتمع : ففقه اللغة على سبيل المثال كان علما مساعدا لفهم كل من القراءات القرآنية وكذا الحديث الشريف .أما الجغرافيا كانت تمكن من التوجه نحو العالم الإسلامي الشاسع ، وتقريبا جميع العلوم المعروفة آنذاك كان تأثرها بالعلوم العقيدية واضح.إلاّ أنه علينا أيضا أن نشير إلى أنه بعد هذه الفترة من التطور الهائل الذي اتسع من القرن(3هـ-9هـ /9م-15م) ، النشاط العلمي عرف نوع من الاضمحلال و التقوقع في الفترة ما بين القرن (9- 12هـ/15-19م).

التبادل والتواصل بين الحضارات الأخرى توقف،لأنّ الغزو الأوروبي والفوضى الداخلية كبلت مجهودات المبدعين([141]) .

لذا لا يمكن إغفال هذا المجهود الفكري الذي كان متميزا ومتفردا في طبيعته وشكله المادي والمعرفي . فهل يمكن القول أن العالم المسلم وخاصة في القرن الرابع الهجري وما يليه قد أدرك المعرفة وتمثّل هذا الإدراك في إنتاج مادة نسميها كتاب مفاتيح العلوم المعجم الموسوعي ؟

[141] Bouamrane chikh,Louis Gardet. Panorama de la pensée islamique .-paris.Ed.sindibad,1984. p242.

خاتمة عامة



وفي ختام هذه الدراسة يمكن الخروج ببعض الاستنتاجات الضرورية فالنظرة التاريخية التي تطرقنا كانت عبارة عن وقفة تطلعية لمعالم واسعة للمرجعية العلمية الإسلامية ولم نستطع التدقيق أكثر لقلة معرفتنا بالموضوع خاصة وكما هو معروف إنه أكثر تخصصا حينما يتعلق الأمر بعلوم الحديث ومصطلحاته .

فإذا كانت الموسوعة بمفهومنا الحالي محدّد بمقاييس واضحة ومعروفة ، من تصحيح دوري إلى مشاركة جماعية في تأليف المقالات ثم تنظيم محكم عن طريق الترتيب سواء كان ذلك ألفبائيا أو موضوعيا (thématiquement) كما هو الحال المتبع في موسوعة « Universalis » على سبيل المثال لا الحصر ولا سنا في مجال للمقارنة بين هذه الأخيرة والموسوعة العربية ، فشتّان بين العملين الأول ضخم وبه كثير من التقنيات الحديثة والثاني حسبنا القول عليها أنه «كتب موسوعية» ، إضافة إلى العوامل التقنية من حجم الموسوعة وسهولة الاستخدام وتوفير الإحالات المرجعية وفهرستها ووضع الوسائل الإيضاحية في الموضوع كالصور والرسومات والخرائط وغيرها من المعلومات البيانية الأخرى ثم جمهور الموسوعة والهدف أو الغرض العام منها. فبهذه المقاييس فقط نستطيع التحدث عن موسوعة،لكن الأمر يختلف أمام هذا النوع من التأليف العربي نظريا وعمليا .

نظريا مصطلح « موسوعة» موجود باسم الكتب الجامعة ولهما تقريبا نفس المدلول ، أما عمليا لقد قام هؤلاء المؤلفين بتكوين فكرهم تفكيرا موسوعيا أي أن يكون بجميع علوم ومعارف عصره وكان ذلك أمرا لابدّ منه وإلاّ لا يعتبر العالم عالما عندهم إذ كانت تلك نظرتهم وضرورة في طلب العلوم والمعرفة ، لكن لا يمكن القول أنهم خططوا لذلك بل كانت تلك متطلبات المعرفة لديهّم . فكان « للموسوعة » ترتيبها الخاص بها والترتيب الموضوعي هو الغالب على العامة منها ؛ فنجد أنّ القلقشندي قد أخضع موسوعته إلى تقسيم عشري لتسهيل عملية البحث في كتابه الموسوعي .أما عن الإحالات المرجعية فيمكن ملاحظتها في أكثر من موضع من خلال أجزاء موسوعة « صبح الأعشى» الأربعة عشر وقد تمثلت هذه الإحالات في الأعمال الأخرى التي استقى منها مؤلفنا أقوال العلماء والأدباء من شعراء وكتّاب وغيرهم .وأيضا في نماذج لرسائل مختلفة

ومتعددة المضامين ، وفي وثائق عدّة والتي يحلينا إليها المؤلف وباستطاعتنا الرجوع إليها عند الحاجة ، هذا بالرغم من وجود بعض صعوبات البحث فيها التي اعترضتنا عند تصفح أوراقها خاصة عندما يتعلق الأمر بمعلومات جزئية ليست ضمن فهارسها.

أما فيما يخص«موسوعة » الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، فإحالاته موجودة لكنها غير بارزة فهي عبارة عن المصطلحات المستعملة عند سابقيه من الفلاسفة كأرسطو وسفوكليس من اليونان ، والفقهاء واللّغويين المسلمين . والفرس والهنود والمسلمين الذين وضعوا لعلومهم مصطلحات خاصة بهم يفكرون بها ويستعملونها كأدوات لتطوير علومهم .

أما الغرض والهدف من وضع هذا النوع من الأعمال فلابدّ أن تكون حاجة تلك الفترة كانت وراء تأليف الكتب الموسوعة: فلو ألقينا نظرة متعمقة إلى التاريخ كيف صنع فنرى ذلك حسب حاجات البشرية إليه . وهذه «الموسوعات» أيضا يمكن القول عليها أنها من صنع التاريخ فرضتها معرفة كانت سائدة آنذاك ... أما عن جمهور أو قراء الموسوعة فهذا ما أدل به وأوضحوه في مقدمات أعمالهم فكل من « القلقشندي أوالخوارزمي » يصرّح جمهورهم وقرّاءهم الموجهة إليه كتاباهما الموسوعيين.

ويبدو واضحا من الموضوع أننا أمام فكر موسوعي هائل وبكل ما للكلمة من معنى. والدليل على ذلك ما ذكره القلقشندي فيما يجب على الكاتب من دراية وعلم ومعرفة ، فإذا كان لكاتب الموسوعة معارف يجب أن يدركها كالتي ذكرها وأحصاها صاحب « صبح الأعشى » فيجب إذن على هذا الكاتب أن يكون ذا فكر موسوعي حتى يتسنى له الكتابة وهذه مرتبة سامية. ثم ثمة عوامل ساعدت على إنجاز مثل هذه الأعمال المرجعية نجد:

1. تعدد اللّغات: من العربية،السريالية والفارسية إلى اليونانية الهندية والرومية وغيرها من اللغات التي كانت مزدهرة في تلك الفترة التاريخية.

2. تعدّد البيئات وتنّوع الأجناس : من العرب والفرس خاصة إقليم (بخارى وخوارزم ونيسابور..) الهنود ، و الرومان وغيرهم.

3. اختلاف العقائد:من يهودية ومسيحية وإسلام وصابئة وغيرها.

وعليه ألا يمكن لهذه العوامل أن تكون حافزا ومنشطا ومنافسة للإقدام على إنشاء فكر موسوعي عند أصحاب تلك الكتب الموسوعية ؟ كل هذا جعل منها مصدرا لمعلومات لمجالات متعددة ومختلفة ، فهي بمثابة عصب التاريخ العربي الإسلامي .

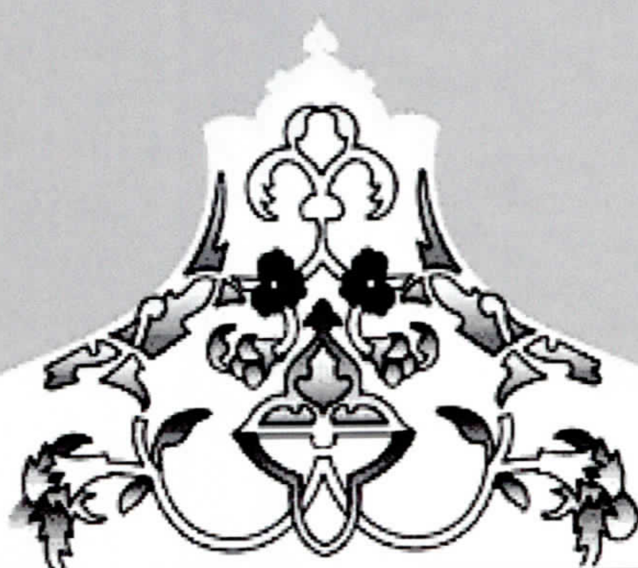
ثم دراستها كأعمال مرجعية شيء استدعى منا البحث وتصفّح العديد منها التي من حسن الحّظ توفرت لدينا.

وكما قال « Diderot» الشهير بتأليفه أول نموذج لموسوعة فرنسية: « أميز بين وسيلتين لدارسة العلوم : الأولى زيادة من حجم المعرفة عن طريق الاكتشافات . والثانية تقريب هذه الأخيرة والتنسيق فيما بينها بحيث يتمكن الإنسان من أن يتنور، وبهذا يكون جميعنا قد أسهم من خلال قدرته في تنوير عصره » . وهذا القول ينطبق على هؤلاء العلماء المسلمين المؤلفين الذين لم ينيروا عصورهم فحسب بل وحتى عصور الأجيال السابقة اللاحقة لهم ،بمعرفة كثر مؤلفوها الذين لا يعدون ولا يحصون بمؤلفاتهم تمثلت في كتب موسوعية أضحت ظاهرة من ظواهر الفكر العربي الإسلامي المنتج . فقد كانت حقا تلك المعرفة نتاج اتصال العارف بالمعّرف به ، إنّ تقدم هذه العلوم عند هؤلاء المؤلفين يفتح لنا عالم بدون حدود ويجعلنا لا نشك بالقدرات النحويَة اللغوية ويعكس لنا أصنافا من أفراد تلك المعرفة التي تفجّرت إلى ما لانهاية . وما هذه الكتب الموسوعية إلاّ مرآة عاكسة لعالم كله بحث عن حقائق مجهولة المعالم ،فنكون في الأخير قد امتلكنا قائمة من المعارف . ومثل هذا الفكر الموسوعي بمثابة النصب الآثري الذي شيّده كل من مؤلفينا « القلقشندي» والخوارزمي وأمثالهما الذي فتحوا نافذة الإنجازات الكبرى .

وما يمكن قوله على هذا النوع من الفكر إلاّ إنه حالة معرفية من الإدراك ،تضمن المشاركة والفهم النشط فضلا عن مقدرة على الارتقاء بمستوى من الفهم لمقابلة احتمالات الحياة . وبالتالي يمكن اعتبارهذه المعرفة ذلك السجل المنظم لخبرة بشرية المقدمة في شكل مادي من قبل « القلقشندي » و« الخوارزمي» اللذان قدما لنا مادّة معارفهم من خلال أعمالهم ممثلة في كتابهما الموسوعيين «صبح الأعشى» و«مفاتيح العلوم» .

وفي سياق هذا الكلام يفترض بنا أولا التعايش مع المصادر الغير ورقية، ونتأقلم معها وأيضا علينا أن نتفقد أولا المصادر الورقية ؛حتى لا تفقد ولا يأكل عليها الدهرويندثر ثم مقابل ذلك نكتشف ونتعامل مع المصادر الغير ورقية الإلكترونية منها لأنها ضرورية ومهمة بالرغم من صعوبة قراءة هذا النوع من المصادر على صفحات الويب العربية خاصة وأنها كثيرة الأجزاء ثم لا يوجد بها طريقة بحث فعالة فيها.

البيبليوغرافيا



▪ المصادر :

أ- الموسوعات والقواميس :

1-**ابن منظور**، محمد بن مكرم. لسان العرب.ط3 .- مج 8 .- بيروت:دار صادر ، 1994 .-482ص.

2-**جان ، جوليفه** ، ترجمة المؤسسة الثقافية العربية/إشراف رشدي راشد.- تصنيف العلوم. عن موسوعة تاريخ العلوم العربية الثقافة. الكيمياء. - علوم الحياة .-ط1.-ج.- بيروت : مركز الدراسات الوحدة العربية ،1997.-1409ص.

3-**صالح** السيد ، فؤاد . معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين. بيروت :دار المناهل،1992.

5-**مجموعة مؤلفين** . الموسوعة العربية العالمية .- ط2 . الرياض : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، 1999.- مج16.- 758ص .

6-**نكري** الأحمدي ، عبد النبي الرسول، ترجمة عبد الله الخالدي ،محمد العجم . موسوعة مصطلحات جامع العلوم . الملقب بدستور العلماء .- بيروت : مكتبة لبنان ،1997.- 1326 ص .

7-**البستاني**،بطرس . محيط المحيط. ج2.-بيروت : مكتبة لبنان ،1870.- 2308ص.

8- **الزكلي** ،خير الدين . قاموس تراجم الأعلام .- ط2.- ج6.- بيروت : دار الملايين ، 1955.- 367ص.

9- **الشنتاوي** أحمد ،خورشيد و[أخ].ترجمة الشنتاوي أحمد دائرة المعارف الإسلامية.- مج7. القاهرة : وزارة المعارف العمومية ،[-19].- 687ص

10 **العجم**، رفيق . موسوعة مصطلحات التاريخ العربي الإسلامي .- بيروت :مكتبة لبنان ،1999 .

11- **المنجد** في اللغة والإعلام. ط31 .- بيروت : دار المشرق ،1991 .- طبعة الكاثولكية.- 709ص.

ب -الكتب:

12-**البخاري**، محمد بن إسماعيل . الجامع الصحيح تقديم أحمد محمد شاكر.- ج1.- بيروت: دار الجيل ، **1313هـ/ 1892م**.- 220ص..

13- **البغدادي**، أبي بكر أحمد بن علي الخطيب .تاريخ بغداد .أو مدينة السلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام 463هـ .بيروت : دار الكتاب العربي. - مج11،[ب.ت] .507ص.

14- **التهانوي**، محمد علي الفاروقي .كشاف اصطلاحات الفنون،تحقيق لطفي عبد البديع. - القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة والطباعة ، 1963 .- 386 ص

15- **الجاحظ** عمرو أبي عثمان . كتاب الحيوان ،تحقيق عبد السلام هارون.- مج1.- القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.- ،1950 . 428ص .

16- **حاجي** ،خليفة.كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .-مج2/1.- استنبول : وكالة المعارف، [1941] ،2056ص .

17- **الحنبلي**، أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد . شذرات الذهب في أخبار من ذهب .- مج.بيروت دار إحياء التراث العربي ،[-19] ،. 429ص

18- **الحموي**، شهاب الدين ياقوت. معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب . ط.- ج13 .- القاهرة : مطبعة هندية بالموسيكى ، 1923.

الخوارزمي ،أبي عبد الله محمد بن يوسف.مفاتيح العلوم ، تحقيق: نهى النجار. بيروت : دار الفكر اللبناني ،1993 .- 288ص.

19- **الدميري** كما ل الدين بن موسى. حياة الحيوان الكبرى .- الجزء الأول .- القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاؤه، 1956. 602ص

20- **ابن سعد**. الطبقات الكبرى / تأليف ابن سعد ،تحقيق إحسان عباس .ج1.- بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر،1966 .

21- **السيوطي** ،عبد الرحمن جلال الدّين:المزهرفي علوم اللغةوأنواعها ..بيروت:منشورات المكتبة العصرية ،1987 . الجزء الأول 651 ص .

22-**الإصطرخي**، محمد الفارسي.المسالك والممالك،تحقيق الحيني عبد العال.القاهرة:دار القلم،1961. - 214ص.

23- **الأصفهاني**،أبو الفرج علي بن الحسين. الأغاني.- مج3/1.- بيروت:دارالثقافة ، 1962.

24- **طاش كبري** زادة، أحمد بن مصطفى. مفتاح السعادة ومصباح السيادة .- حيدرآباد: مطبعة دار المعارف النظامية ،1328 هــ- 1907م

25-**ابن عبد ربه** ،محمد الأندلسي.العقد الفريد ،شرح وضبط أحمد أمين ،إبراهيم الأبياري بيروت : دار الكتاب العربي ، 1982 .مج3. -507ص .

26- **الفارابي**، أبي نصر. إحصاء العلوم ،تقديم عثمان محمد أمين . القاهرة : مكتبة الخانجي، 1931 .- 79ص.

27–ابن خلدون عبد الرحمن. كتاب العبر والمبتدأ و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.مج 1.–ط3.– بيروت:دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،1967.– 1188ص

28–ابن خلكان، أحمد شمس الدّين. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق :إحسان عباس.–ج13.– بيروت : دار الثقافة ، 1970.

29–ابن قتيبة ،عبد الله بن محمد. عيون الأخبار.– مج2/1. بيروت : دار الكتب العلمية ، 1998.– 822 ص .

30–القلقشندي،أبي العباس أحمد بن علي.صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،تقديم محمد عبد القادر حاتم.–ج1.– القاهرة :المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963.–481ص .

31– المسعودى ، علي بن الحسين . مروج الذهب ومعادن الجوهر تقديم عبد الحميد محي الدّين . الجزء الثاني .– القاهرة : شركة الإعلانات المصرية ،1967 –.640 ص.

32– المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.– القاهرة : مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر (طبعة بولاق) ، 1670 هـ– 1091م، ج1. 639ص.

33–ابن النديم، محمد بن إسحاق. كتاب الفهرست تحقيق: رضا تجدّد. طهران: [د.ن] ، 197. 425 ص .

34– النيسابوري، محمد بن عبد الله أبي عبد الله . معرفة علوم الحديث .– بيروت : مركز الموسوعات العالمية ،1935. 266 ص.

- **<u>المراجع باللغة العربية:</u>**

35– أمين،**أحمد**.– ظهر الإسلام . ج1.– ط3. بيروت:دار الكتاب العربي،1945.– 324ص

36– أبوشعيع ، مصطفىعلي . دراسات في الوثائق ومراكز المعلومات الوثائقية .القاهرة : دار الثقافة العلمية ، 2001 م. 389ص.

37– باهي،مصطفى حسين. الإحصاء التطبيقي في مجال البحوث التربوية النفسية والاجتماعية والرياضية .– ط1 . القاهرة : مركز الكتاب للنشر ،1999 .– 213ص.

38– جرجي،زيدان .تاريخ التمدن الإسلامي.– ج3.– بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة،1967م .– 719ص .

39- **الحديدي**، خالد. فلسفة علم تصنيف الكتب .كمدخل لفلسفة العلوم .- ط1.القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ،1969م .- 252ص

40- **الحلوجي** ،عبد الستار . المخطوط العربي.- ط2 . جدّة : مكتبة مصباح ،1989.

41-**الحلوجي** ،عبد الستار.- مدخل لدراسة المراجع. القاهرة: دار الثقافة،[ب.ت].1ص

42- **حمادة** ،محمد ماهر.المصادر العربية والمعربة .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1971 .- 335ص.

43- **الخطيب** ،محمد عجاج .الوجيز في معرفة علوم الحديث ونصوصه.الجزائر:المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،1998.- 511ص

44- **خليفة** ،شعبان عبد العزيز.البيبليوغرافيا أوعلم المكتبات دراسة في أصول النظرية البيبليوغرافية وتطبيقاتها النظرية العامة .- ط2 .القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، 1998م . 532 ص

45- **رزق** ،**سليم محمود**.عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي و الأدبي .-ج3.القاهرة : المطبعة النموذجية ،1955م.-330 ص .

46- **روزنتال** ، فرانتز. مناهج المسلمين في البحث العلمي .ترجمة أنيس فريحه.- ط4 . بيروت: دار الثقافة،1961. 230ص

47-**سعيدوني** ، ناصر الدّين . أساسيات منهجية التاريخ . الجزائر: دار القصبة، 2000 م.209ص

48- **سيزكين** ، فؤاد. تاريخ التراث العربي إلىغاية سنة -430 هـ ترجمة محمود فهمي حجازي .-مج1.- القاهرة :الهيئة المصرية للكتاب ، 1977 .. 650ص.

49- السيد ،سالم عبد العزيز. التاريخ والمؤرخون العرب . بيروت : دار النهضة العربية ، 1981 . 311ص.

50- **الشعكة**،مصطفى .مناهج التأليف عند العلماء العرب .- ط11.- بيروت : دار العلم للملايين، 1998.- 784ص.

51- **الصباغ** ،محمد .الحديث ومصطلحه بلاغته كتبه.- دمشق:المكتب الإسلامي ،1981.

51-**عبد المنعم**،ماجد. تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى. [د .ط].القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، 1963م . 328ص .

52-**عبود** فتوحي، ميري . تقويم المراجع العربية والأجنبية . الكويت : وكالة المطبوعات ، [19-] 365 ص.

53-عطوي،جودت عزت . أساليب البحث العلمي مفاهيمه .أدواته . طرقه الإحصائية.-ط1.عمان : دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2000.-320ص.

54- قاسم ،حشمت المكتبةوالبحث.-ط2.- القاهرة : دار غريب للطباعة والنشروالتوزيع ، 1993.- 257 ص.

55- ميتز،آدم. الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري.عصر النهضة في الإسلام ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. بيروت : دار الكتاب العربي ،1967 . -570ص.

56- المشوخي، عادل سليمان .أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري ط1.- الرياض : مكتبة فهد الوطنية، 1994.- 323ص

57- نخبة من الأساتذة .أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى.القاهرة : الهيئة المصرية العامة ، 1973 . 270ص.

58- النشار، السيد السيد . دراسات في المكتبات والمعلومات . القاهرة : [د .ن.]،2002. 336ص

59-هارون،عبد السلام.تحقيق النصوص.-ط4.القاهرة:مكتبة الخانجي،1977.-126ص

60- الهجرسي، سعد محمد .المراجع ودراستها في علوم المكتبات .- القاهرة : جمعية المكتبات المدرسية ،1977م .

61- همشري،عمر أحمد. المرجع في علم المكتبات والمعلومات.- عمان :دار الشروق للنشر والتوزيع،1997.-587 ص

62-الورقي، السعيد. في مصادر التراث العربي . بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،1984.- 243ص .

ج- <u>المقالات باللغة العربية:</u>

63- تمراز، أحمد:«الاتصال العلمي في التراث الإسلامي من صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي» .عن دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلوماتَ ، س1، ع1، يناير، 1996.- صص 192-204

64- بن غريبة ،رضوان:«نشأة المصطلحات العلمية وتطوره وأهم مؤلفاته» .- عن الموافقات ج2.-ع2، 1993م. الجزائر: المعهد الوطني لأصول الدّين.صص207-231.

65- زايد، سعيد : «مفاتيح العلوم» .-عن تراث الإنسانية . القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ،[ب.ت] المجلد الرابع صص582-592 .

66- **صيام** ،محمد عبده:« تصنيف المعرفة في كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي» .- عن دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات .- مج 3 ،ج3 ماي ،1998م.- صص36-64

67-**عبدالحميد**،حمودة: «مآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي» .-عن مجلة الفيصل ع111 ، س 10 ،جوان ، 1986م. صص125-154

- <u>مصادر الإنترنت</u>: <u>Webographie</u>:

(page en ligne) http://mirror .al.eman.com /islamlib/ view.book page مكتبة الإسلام. كتاب صبح الأعشى للقلقشندي. consulter le14/08/02 à 10h.29.

كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي http: www.alwarag.com

- <u>المراجع باللغة الأجنبية</u> :

أ- <u>الموسوعات والقواميس</u> :

1-**ENCYCLOPEDIE De l'islam**. «Khwarazm» . nouvelle éd.- t4.- paris ,leiden: G.P Maisonneuve et larose s.a,1978 .-pp1098-1100.

2-**ENCYCLOPEDIE Encarta.**«encyclopédie»./sous forme de cdrom.1999. pp1-6.

3- **H.J. Martin, J.Toulet** . « livre».- in Encyclopédie Universalis.- vol.10.-paris :Ed SPADEM.ADAGP ,1980.pp17-35.

4- **MOLES Abrahams, ZELTMAN Claude**. « La communication ». dictionnaire du savoir moderne .- paris :ed : la presse des petit fils de léonard Donel,1971.-. 575 p.

ب- <u>الـكـتـب</u> :

5-**BLACHERE, Régis**. - classicisme et déclin culturel dans l'histoire de l'islam .acte du symposium international d'histoire de la civilisa tison musulmane .- paris :Ed. : maisoneuve et larose ,1977 -. 396p.

. 6-**BETHERY, Annie** .-Abrégé de la classification décimale de Dewey .nouvelle édition (à partir de la 1ére version intégrale française et xix éd en langue anglaise). Paris:Ed.: du cercle de la librairie ,1990.441p

7- **BOUAMRANE chikh, GARDET Louis**. Panorama de la pensée islamique..-paris.Ed.sindibad,1984.- 368p

8-FRANCESCO, Gabrieli (sous la direction).Histoire et civilisation de l'islam en Europe arabe turc en occident du vii é aux xx é siècle.- paris : bordas ,1983.- 279p

9-GRUNEBAUM ,G.E.von. trad Roger Stuvéras. L'identité culturelle de l'islam. paris.Ed.Gallimard,1969.294p.

10-MANTRAN, Robert. L'expansion musulmane vii- xi siecle.-2éme Ed. .- paris:puf,1969.-174p.

11- Nasr , Sayyed Hossein trad./ Jean -Pierre Guinhut.- Sciences et savoir en islam .-paris .Ed. : Sindibad.-344 p.

12-TAHMI, Mahamoud. L'encyclopédisme musulman à l'âge classique le livre de la création et l'histoire de Maqdisi.- paris Ed : Maisonneuve et larose, 1998.-292p.

ج- <u>المقالات باللغة الأجنبية</u> :

13-BATICLE, Robert. «La place de l'écrit comme mémoire» .in Revue de bibliologie schéma et schématisation.n°31.4é trimestre.Paris. Ed. : société de bibliogie,1989.pp29-38.

14-GDOURA, Wahid. la conception de la bibliologie chez Al- -kalkahandi xvé siècle .in les sciences de l'écrit .les encyclopédie du savoir moderne .- paris : Ed. .imprimerie SAGIM,1993.-pp.16-113

15-RICHAUDEAU, Françoise.- « le livre encyclopédique comme outil moderne d'enseignement» Schéma et schématisation revue de bibliologie n°29.- 4ème trimestre, 1988 .- paris :Ed :société de bibliologie.- p68-72 .

كشاف الأعلام



(حرف الألف)

(حرف الباء)

(حرف التاء والثاء)

(حرف الجيم الحاء والخاء)

(حرف الدال)

(حرف الراء والزاي)

(حرف السين والشين)

(حرف الصاد والضاد والطاء)

(حرف العين)

(حرف الفاء والقاف)

(حرف الكاف اللام الميم والنون)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الواو)

(حرف الياء)

الملاحق

الملحق الأول:

خاص بتصميم لمضمون «موسوعة» صبح الأعشى (**انظر الملحق رقم 1**) .

الملحق الثاني:

هو نموذج من المكاتبات التي احتوتها« الموسوعة » منهاالعلاقات في ما بين الدولة الإسلامية وبلاد المغرب منها تلمسان ([1])..(**انظر الملحق رقم2**).

الملحق الثالث :

نموذج لإجازة القلقشندي نفسه. (**انظر الملحق رقم 3**).

الملحق الرابع:

يتعلق بنماذج لبعض وثائق القلقشندي عبارة عن المكاتبات الصادرة عن ديوان الإنشاء والواردة إليه من مختلف الممالك سواء العربية أو الأجنبية في القرن التاسع الهجري العاشر ميلادي. منها رسالة صلاح الدين الأيوبي إلى الملك بردويل لتهنئته على جلوسه كرسي الملك وتعزيته بوفاته أبيه (**انظر الملحق رقم4**)

الملحق الخامس:

مكاتبات خاصة بالعلاقات الأوروبية بين مصر والدول الإسلامية ...

الملحق السادس: بعض الخرائط الجغرافية لأقاليم الإسلامية آنذاك كمصر،العراق ،بلاد فارس، ،بلاد الهند والسند، وبلاد ما وراء النهر، خوارزم و بلاد الروم . (**انظر الملحق رقم 6**)

الملحق السابع: خاص بأبواب بمقالاتي كتاب مفاتيح العلوم (انظر الملحق رقم 7)

[1] اخترنا نماذج من «موسوعة » القلقشندى لأنها فيها ما يتعلق بمنطقة المغرب العربي ولقصرها.

ترتيب مضمون "موسوعة" القلقشندي([1]): **الملحق رقم 1**



الفصل الثاني الفصل لأول

فضل الكتابة

- ذكر مدلول الكتابة لغة واصطلاحا
- مدح فضلاء الكتاب وذم حمقاهم
- تفضيل كتابة الإنشا على سائر أنواع الكتابة
- ترجيح النثر على الشعر .

الباب الثالث **الباب الرابع**

الفصل الأول في صفاتهم الفصل الأول التعريف بحقيقة ديوان الديوان

الفصل الثاني في آداب الكتاب وهي على نوعين / الفصل الثاني اصل وضعه في الإسلام وتفرقه عنه بعد ذلك في الممالك

الباب الخامس

الفصل الأول في بيان رتبة صاحب هذا الديوان

الفصل الثاني في صفة صاحب الديوان فيه 12 أمر.

الفصل الثالث فيما ينصرف فيه صاحب هذا الديوان فيه 12 أمر

الفصل الرابع ذكر وظائف ديوان الإنشا بالديار المصرية فيه ضربان.

المقالة الأولى الباب الأول فيما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العلمية فيه ثلاثة فصول

الفصل الأول فيما يحتاج إليه الكاتب إجمالا

الفصل الثاني فيما يحتاجه من الأدوات ويشمل:

خمسة عشر نوعا أو تسعة عشر

النوع الأول – المعرفة باللغة العربية وفيه أربعة مقاصد.

النوع الثاني – المعرفة باللغة العجمية الخ.. فيها مقصدان

النوع الثالث – المعرفة بالنحو ،فيه مقصدان

النوع الخامس – المعرفة بعلوم المعاني والبيان و البديع وفيه مقصدان

النوع السادس – حفظ كتاب الله العزيز مقصدان

النوع السابع – الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية فيه مقصدان

النوع الثامن– الإكثار من حفظ خطب البلغاء والتفنن في أساليب الخطباء وفيه مقصدان

النــوع التاســع – مما يحتاج إليه الكاتب فيه 3 مقاصد

---

[1] هذا الترتيب ماهو إلاّ اختصار من محتوى الجزء الأول والجزء الرابع عشر

النــــوع العـــاشر – الاستكثار من حفظ الأمثال وفيه مقصدان
النوع الحادي عشر – الإكثار من حفظ الأمثال وفيه مقصدان
النوع الثاني عشر – معرفة انساب الأمم من العرب و العجم
النوع الثالث عشر – المعرفة بخزائن الكتب وأنواع العلوم وفيه مقصدان
النوع الرابع عشر – في أوابد العرب.
النوع الخامس عشر– في معرفة عادات العرب وهي صنفان
النوع السادس عشر– النظر في كتب التاريخ و المعرفة بالأحوال وفيه مقصدان
النوع السابع عشر – المعرفة بخزائن الكتب وأنواع العلوم فيه مقصدان
النوع الثامن عشر – المعرفة بالأحكام السلطانية

الطرف الثاني في معرفة ما يحتاج الكاتب إلى وصفه في أصناف الكتابة ويشمل تســعة أنواع :

النوع الأول مما يحتاج إلى وصفه النوع الإنساني وهو ضربين
النوع الثاني مما يحتاج إلى وصفه هي دواب الركوب فيها أربعة أصناف
النوع الثالث ما يحتاج إلى وصفه من جليل الوحوش . وهو أصناف
النوع الرابع ما يحتاج إلى وصفه من الطيّور وهو أربعة أصناف
النوع الخامس فيما يحتاج إلى وصفه من نفائس الحجار، وفيه اثناعشر صنفا
النوع السادس نفيس الطيب وفيه أربعة أصناف
النوع السابع ما يحتاج إلى وصفه من الآلات وهي صنفان
النوع الثامن مما يحتاج إلى وصفه الأفلاك ، والكواكب فيه مقصدان
النوع التاسع مما يحتاج الكاتب إلى وصفه العلويات مما بين السماء والأرض **وهي علــى أصناف**

الطرف الثالث في صنعة الكلام ومعرفة كيفية إنشائه ونظمه وتأليفه وفيه مقصدان

الفصل الثالث في معرفة الأزمنة و الأوقات فيه أربعة اخراق.

الطرف الأول في الأيام وفيه ست جمّل
الطرف الثاني في الشهور وهي على قسمين طبيعي واصطلاحي
الطرف الثالث في السنين وفيه ثلاث جمل
الطرف الرابع في أعياد الأمم ومواسمها وفيه خمس جَمّل .

الباب الثاني ما يحتاجه الكاتب من الأمور العلمية ، وهو الخطّ وتوابعــه ولواحقــه **فيــه فصلان**

الفصل ذكر الآلات الخط ومباديه وصوره وأشكاله **في ثلاثة أطراف :**

الطرف الأول في الدواة وآلاتها **وفيه مقصدان .**
الطرف الثاني في الآلات التي تشتمل عليها الدواة هي **سبع عشرة آلة**
الطرف الثالث فيما يكتب فيه وهو أحد أركان الكتابة الأربعة **في ثلاث جمل.**

الخاتمة

أربعة أبواب

- في أمور تتعلق بديوان الإنشاء غير أمور الكتابة ، وفيها أربعة أبواب :

الباب الأول : في الكلام على البريد ، وفيه فصلان

❖ **الفصل الأول**: في مقدمات يحتاج الكاتب إلى معرفتها ويتعلق الغرض من ثلاثة أمور .

الأمر الأول ← معرفة معنى لفظ البريد لغة واصطلاحا

الأمر الثاني ← أول من وضع البريد وما آل إليه أمره إلى الآن

الأمر الثالث ← بيان معالم البريد

❖ **الفصل الثاني** : من الباب الأول من الخاتمة في ذكر مراكز البريد ، ويشتمل على ستة مقاصد.

المقصد الأول ← في مركز قلعة الجبل المحروسة بالدّيار المصرية التي هي قاعدة الملك ، وما يتفرع عنه من المراكز ، وما تنتهي إليه مراكز كل جهة .

المقصد الثاني ← في مراكز غزّة وما يتفرع عنها من البلاد الشامية

المقصد الثالث ← في ذكر مركز دمشق وما يتفرع عنه من المراكز

المقصد الرابع ← في مركز حلب ،وما يتفرع عنه من المراكز

المقصد الخامس ← في مركز طرابلس ، وما يتفرع عنه من المراكز

المقصد السادس ← في معرفة مراحل الحجاز الموصلة إلى مكة المشرفة والمدينة المنوّرة .

هذا ما تعلق بترتيب الجزء الأول والثاني من كتاب صبح الأعشى والملاحظ أنّ مؤلفه دائما يقسم مادته إلى أجزاء من الكلي الشامل إلى الجزئي البسيط ، غير أنّ ما يمكن قوله هو عدم التكافؤ في تقسيم هذه المادّة و كذلك عدم وجود ترابط في محتوى الأطراف ، فمثلا نجده في الطرف الثاني من الباب الأول في المقالة الأولى في معرفة ما يحتاج الكاتب إلى وصفه في أصناف الكتابة ، ويشمله في تسعة أنواع غير أن ما تحتوي عليها الأنواع يخرج عما يحتاج إليه الكاتب فيذكر في النوع الثاني : مما يحتاج إليه من ركوب الدواب ثم في النوع الثالث ما يحتاج من جليل الوحوش كما ذكر المؤلف وفي النوع الرابع ما يحتاج إلى وصفه من الطيور... يمكننا القول أنه كان بإمكان « القلقشندي » أن يخصّص لهذه الأنواع فصل مستقل خاص بها . وربما يعود سبب عدم فعل ذلك إلى عدم تخصص المؤلف في مجالات أخرى غير مجال الكتابة وما يحيط بها ، أوإلى عدم إعطاء أهمية كبيرة لتقسيمات الأبواب وفصولها بطريقة متجانسة وبتكافؤ ، لأنّ هدف المؤلف من هذا كله هو أن يقرأ كتابه سواء كان القارئ متخصصا أو غير متخصص ، بمعنى آخر لا يتوجه من كتابته إلى فئة متخصصة معينة . والدليل على ذلك أنّ الكتاب سهل التناول بسيط التعبير ، يشمل معلومات متنوعة كثيرة ومختلفة . وما يعيبه فقط أنه متشعب وواسع قد يصعب في بعض الأحيان الوصول إلى معلوماته الجزئية .

الملحق رقم 02

(من ممالك بلاد المغرب مملكة تِلِمْسانَ)

وهي مملكة الغرب الأوسط . وفيها جملتان :

(في ذكر حُدُودها، وقاعدتها، وما اشتملت عليه من المُدُن،

والطريق الموَصِّلةِ إليها)

أما حدودها ، لحدُّها من الشرق حُدُود مملكة أفريقيّة وما أُضيف إليها من جهة الغـرب ؛ وحدُّها من الشَّمال البحرُ الرومي ؛ وحدّها من الغرب حدودُ مملكة فاس الآتي ذكرها من الشرق؛ وحدّها من جهة الجنوب المَفَاوِزُ الفاصلةُ بين بلاد المغرب وبلاد السُّودان . وذكر في "العبر" : أن حدّها من جهة الغَرْب من وادي مَلَوِيّة الفاصـل بينها وبين الغرب الأقصى إلى وادي مجمّع في جهة الشرق الفاصـلِ بينها وبين أفريقيّة .

+ + +

وأما قاعدتها، لمدينـة (تِلِمْسانَ) بكسر المثناة من فوقُ واللامِ وسكونِ الميم وفتح السـين المهملة وألف ونون . وهي مدينـة من الغرب الأوسـط . وقالِ

صاكتا 02

فى "تقويم البُلْدان": من الغرب الأقصى متاخِمةٌ للغرب الأوسط شرقىّ فاس بميلة إلىٰ الشّمال . وموقعُها فى أوائل الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة قال ابن سـعيد : حيثُ الطولُ أربعَ عشرةَ درجة وأربعون دقيقـة ، والعرضُ ثلاثٌ وثلاثون درجةً واثنتا عَشْرةَ دقيقة . وهى مدينة فى سَفْح جبل ، ولها ثلاثةَ عشَرَ بابا ، وماؤها مجلوب من عين علىٰ سـتة أميال منها ، وفى خارجها أنهارٌ وأشجار ، ويستدير بقِبْليِّها وشرْقيِّها نهرٌ يَصُبُّ فى بِرْكة عظيمة من آثار الأُوَل ، ويُسْمَع لوَقْعه فيهـا خرير علىٰ مسافة ، ثم يَصُبُّ فى نهرٍ آخَر بعد مايمرّ علىٰ البساتين ، ثم يصبُّ فى البحر ، وعليه أرحاءٌ دائرة تدخل فيه السفُن اللّطاف حيث يصبُّ فى البحر ، وبُقْعتها شريفةٌ كثيرة المَرَافق .

ولها حصون كثيرة وفُرَضٌ عديدة .

منها (هُنَيْن) و (وَهْرانُ) و (مُسْتَغانم) . فهنين تقابل المَرِيّةَ من الأندلُس ووَهْران فى شرقىّ تِلِمْسانَ بشمالٍ قليل ، علىٰ مسيرة يوم من تِلِمْسان ، ومسـتَغَانِم تقابل دانيةَ من الأندَلُس ، وعَرْض البحر بينهـما ثلاثُ مجارٍ ونصفُ مَجْرًى . قال الإدريسى فى "كتاب رُجّار" : وبها آثار الأُوَل ، ولهـا أسواقٌ ضخمةٌ ومساجدُ جامعة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى علىٰ مابلغ حدَّ التواتُرُ أنها فى غاية المَنَعة والحَصَانة مع أنها فى وَطَاءة من الأرض ولكنها محصَّنة البناء . وبلغ من حَصَانتها انّ أبا يعقوب المَرِينىّ صاحب فاس حاصرها عشْرَ سنين ، وبنىٰ عليها مدينـةً سماها فاس الجديدة وأعجزه فتحُها ولها ثلاثةُ أسوار ، ومن جهة القَصَـبة وهى القلعة ستةُ أسوار ، وبها أنهارٌ وأشجار ، وبهـا شجر الجَوْز علىٰ كَثْرة ، ومِشْمِشها يقارب فى الحُسْن مِشْمِش دِمَشْق . قال فى "مسالك الأبصار" : زَكيّة الزرع والضَّرْع ، ويقصِدُها تُجّـار الآفاق للتّجارة . قال : ويطول مُكْثُ المخزونات فيهـا حتّى إنه ربمـا مَكَث القمحُ والشعير فى مَخَازنها ستَّ سنين ثم يُخْرَج بعـد ذلك فيُزْرَع فينْبُت .

ماكتب ٥٢



واما مُدُنها الداخلة فى مملكتها، فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن لها ثمان عشرة مدينة : وهى تلمسان، وجده، ومَدْيونة، وتَدْرومه، وهُنَيْن، ووَهْران، وتيمز غزران، وبرسك، وشرشال، وتونت، ومستغانم، وتَنَس، والجزائر، والقَصَبات، ومازونة، وتاجحمت، ومِليانة، والمَرِيّة .



وأما الطريق الموصل اليها، لقد تقدم فى الكلام على مملكة تُونُس الطريقُ من الديار المصرية الى تُونُس . وقد ذكر فى "الذيل على الكامل" أن من تُونُس الى باجة، ومنها الى تفريه وهى آخر بلاد أفريقية، ومنها الى قُسَنْطينةَ وهى أول بلاد بجاية، ومنها الى أول بلاد تِلِمْسان، ومنها الى قُلَيْلية، ومنها الى البُقَيْعة، ومنها الى تِلِمْسان .

الجملة الثانية

(فى حال مملكتها)

لم أقف على شيء من ترتيب مملكتها، والظاهر أنها تشبه مملكةَ تُونُس فى الحال والترتيب أو قريبٌ من ذلك . فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن بجايةَ ثانيةُ تُونُس فى الرُّتْبة والحال، والموجوداتِ، والمُعامَلات . وقد تقدم أن بجايةَ من الغَرْب الاوسط، فتكون تِلِمْسانُ فى معناها، وإن وقعت مخالَفَةٌ فى ترتيب المملكة فإنما تكون فى القَدْر اليسير . قال فى "مسالك الأبصار" وهى مَمْلكة كبيرةٌ، وسلطنةٌ جليلة، قريبُ الثانيين من مملكة بر العُدْوة، وهى وسيعة المَدى، كثيرة الخَيْرات، ذاتُ حاضرةٍ وباديةٍ، وبَرٍّ وبحرٍ .

الملحق رقم 03

من الباب الأول من المقالة العاشرة

فيما يُكتب عن العلماء وأهلِ الأدب، ثم هو على صنفين)

(الإجازاتُ بالفُتيا والتَّدريس والرِّواية وعِراضَاتِ الكُتُب ونحوها)

أما الإجازة بالفُتيا، فقد جرت العادةُ أنه إذا تأهَّل بعضُ أهلِ العلمِ للفُتيا والتَّدريس أن يأذنَ له شيخُه في أن يُفتِيَ ويُدرِّس، و يكْتُبَ له بذلك. وجرَت العادةُ أن يكونَ ما يُكتبُ في الغالب في قَطْعِ عريض، إما في فرخة الشَّاميِّ أو نحوِها من البلَديِّ، وتكونُ الكتابةُ بقلَم الرِّقاع أسطُرًا متوالية، بين كلِّ سطرين نحوُ أُصْبُعٍ عريض.

وهـذه نسخةُ إجازَة بالفُتيا والتَّدريس على مَذْهَبِ الإمام الشافعيِّ رضى الله عنه وأرضاه، كُتِبَتْ لِي حين أجازَني شيخُنا العـلَّامة سِراجُ الدِّينِ أبو حَفْصٍ عُمَرُ بن أبي الحسن الشهير بابن المُلقِّن، سَقَى الله تعالى عَهْدَه، عند قدومه ثغرَ الإسكندرية، وأنا مُقيمٌ به في شهور سـنة ثمـان وسبعين وسبعمائة، وكَتَب لي بذلك القاضي تاجُ الدِّين بن غنوم مُوَقِّعُ الحُكْم العزيز بالإسكندرية في دَرْجِ وَرَقٍ شاميٍّ في قَطْعِ الشاميِّ الكامل، وسِنِّي يومئذ إحدى وعشرون سنةً، فَضْلًا من الله ونِعْمة.

ونُسختُها بعد البسملة الشريفة :

الحمدُ لله الذى رفَعَ للعُلَماء مِقدارا ، وأجزَل نِعمَه عليهم إذ أعلىٰ لهم مَنارا ، ووفّق بسَواءِ الطَّريق مَن آقتدىٰ بهم إيرادًا وإصدارا ؛ أشرعَتْ هِمَمُهم العليّـةُ فى حَلْبة السّباق فهى لا تُجارىٰ ، وتحلَّوْا بالمفاخر جَهْرًا وقد عجَز غيرهم أن يتحلّىٰ بها إسرارا ؛ أبرز بهم فى هالاتِ المَفاخر أقمارا ، وأزالَ بضياءِ علومِهم رَيْبَ الشّكِّ حتىٰ عاد لَيلَ الجَهالةِ نهارا ؛ جَعَلهم لدينِه أنصارا ، وصيّرهم نُخبةَ أصفيائه إذ أودعهم من المَعارف أسرارا ، وآختصّهم بكونِهم وَرَثةَ أنبيائه : وناهيكَ بها فَخَارا .

أحمَـدُه حَمْدَ من هُدِىَ إلى الحقّ فجعله شِعارا ، وآستضاء بنُورِ الهُـدَىٰ فلجأَ إلىٰ مولاه فى حالَتَىْ سِرِّه وجَهْرِه آفتقارا ، وعجَز عن شُكرِ ما أسدَىٰ إليه من النِّعَم لمّا توالَى عليه وَبْلُها مِدْرارا ؛ وأشهدُ أن لاإلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لاشريكَ له تصديقًا وإقرارا ، وأشهدُ أن محمّدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه والأصنامُ قد عُبِدَتْ جِهارا ، والكُفّار قد أعرضوا عن الحقّ آستكبارا ؛ فقام بأمرِ الله آنتصارا ، وقهَر مَن أعرضَ عن الله آغترارا ، وأخمد بضياءِ نُورِه الباطلَ وأهدره إهْدَارا ؛ صلّى الله عليـه وعلىٰ آله وصَحْبِه صـلاةً تزيدنا فى ديننا آستبصارا ، وتَحُطُّ عنّا من ثِقَـلِ الذّنوب أوزارا ، وتُبوِّئنا إن شاء الله تعالىٰ فى دار الخُلود قَرَارا .

أما بعدُ ، فقد وضَح لذَوِى الأبصارِ والبصائر ، وآتّضح عند ذَوِى الأسْرار والسّرائر ، وآستقرّ عنـد ذوِى القُـلوب السّليمه ، والعقُولِ الرّاجحةِ المُستقيمه ؛ أنّ منزلةَ عِلمِ الشّريعة عند الله تعالىٰ أعلَى المَنازِل ، وفضلَه أفضلُ المآثر وآثرُ الفضائل ؛ وخُصوصًا معرفةُ تفاصيلِ أحكامِ أفعالِ المُكلّفين بالشّريعة المحمّديّة ، التى مَن علِمَها وعمِلَ بها وعلّمها فقد سَعِد السّعادةَ الأبديّه ؛ إذ هى الشريعةُ الجامعةُ لمصالح الدّنيا والآخِرَه ،

ما نُسب إلىَّ في هذه الإجازة المُبارَكة من الإذنِ لفلانٍ ـ أدام الله تعالىٰ النَّفعَ به ، وأجرىٰ كُلَّ خيرٍ بسَببه ، بتَدريس مَذهب الإمام المُطَّلبيِّ ، محمد بن إدريسَ الشافعيِّ ، قدَّس الله روحَه ، ونوَّر ضَريحَه ؛ والإفتاء به لفظًا وخطًّا ـ صحيحٌ . فإنه ممن فاقَ أقرانَ عَصره بذَكائه ، وبَرَع عليهم بالاستحضار وتحرير المَنقول ووفائه .

وقد اعتنىٰ وَفَّقه الله تعالى وإيَّايَ من جملة محفوظاته بـ"مُختَصَر الجوامع" لشيخنا العَلَّامة كمالِ الدين النشائيِّ تغمده الله تعالى بغُفرانه ، فاستحضر بحَضرَتي مواضِعَ منه جَمَّة ، وأزال ببديع فَصاحَته جُملَةً مُدلَهِمَّة ؛ وأظهر من مُشكِلاته ما يعجَزُ عنه اللبيب ، ومن أغاريبه ما يقف عنده البارع الأَريبُ .

فليتَّقِ اللهَ حينئذ فيما يُبْديه ، وليَتَحرَّ الصوابَ فى لفظه وخطِّه وليراقِبِ اللهَ فيه ؛ فإنه مُوَقِّعٌ عن الله تعالىٰ فَليَحذرِ الزَّلل ، ومُحاولَةَ الخطإ والخطَل ؛ ويَستَحضرْ ما اشتملت عليه من الجلاله ، فإن الله تعالىٰ تولَّاها بنَفسِه حيثُ قال : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ .

وأجزتُ له مع ذلك أن يروىَ عنِّى مالِى من التآليف ، ومنها "جامِعُ الجوامع" أعان اللهُ علىٰ إكماله ، وكذا شرح "صَحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيلَ البُخاريِّ" . ومنها "البَدرُ المنير ، فى تخريج الأحاديث والآثار الواقِعَة فى الشَّرح الكبير" للامام أبى القاسم الرَّافعيِّ . وبه تكمُلُ معرفة الفَقيه ويصير محدِّثا فَقيها .

وأجزتُ له مع ذلك ماجاز لِى وعنِّى روايتُه بشَرطه عند أهله ، زاده الله وإيَّايَ من فَضله . ومنها الكُتُب الستَّة : "البُخاريِّ" و "مُسلم" و "أبو داود" و "التِّرمذيِّ" و "النَّسائى" و "ابن ماجه" . والمسانيد : "مُسنَد أحمد" و "مُسنَد الشافعيِّ" وغير ذلك .

وكان ذلك في تاريخ كذا . وكَتَب عمرُ بن عليّ بنِ أحمدَ الأنصاريُّ الشافعي ، غفر الله لهم : حامدا ومُصَلّيا ومُسَلّما ، وأشهدَ عليه جماعةً من أهل العلم بآخره .

قلتُ : وتكون ألقاب المُجاز على قَدْر رُتْبته ، مثل أن يُكْتَبَ له : «الفقيرُ إلى الله تعالى ، الشيخُ ، الإمامُ ، العالِمُ ، العامِلُ ، الأوحَدُ ، الفاضِلُ ، المُفيد ، البارِعُ ، عَلَمُ المفيدين ، رُحْلةُ القاصدين ، فلانُ الدين ، أبو فلان فلانُ بن فلان» (بحسب رُتَب آبائه) . وإنما أهملتُ ذِكْرَ الألقابِ في هٰذه الإجازة ، من حيثُ إنه لايليقُ بأحدٍ أن يذكرَ ألقابَ نفسِه في مُصَنَّفٍ له ، لأنه يصير كأنَّه أثنى على نفسِه .

وأمّا الإجازة بمراضة الكُتُب ، فقد جَرَت العادةُ أن بعضَ الطَّلَبة إذا حفظ كتابًا في الفقه ، أو أصول الفقه ، أو النَّحْوِ ، أو غير ذلك من الفنون ، يَعرِضُه على مشايخ العصر ، فيقطعُ الشيخُ المعروضُ عليه ذلك الكتاب ، ويَفتَحُ منه أبوابًا ومواضعَ ، يَسْتقرئُه إيّاها من أيِّ مكان اتّفق ، فإن مضى فيها من غير توقُّف ولا تَلَعْثُمٍ ، استدلّ بحفظه تلك المواضعَ على حِفْظِه بجميع الكتاب ، وكتبَ له بذلك كلٌّ من عُرِضَ عليه ، في ورقٍ مربّعٍ صغيرٍ ، يأتي كلٌّ منهم بقَدْر ما عنده من المَلَكَة في الإنشاء ، وما يناسبُ ذلك المقامَ من براعة الاستهلال ونحوها : فمن عالٍ ، ومن هابِطٍ . وربّما خَفَّف بعضهم فكتبَ : «وكذلك عَرَضَ عليّ فلان» ، أو : «عُرِضَ عليّ وكتبه فلان» . إما رِياسَةً وتأبّيًا عن شُغْل فِكْرِه وكَدِّ نفسه فيما يكتبه ، وإما عجزًا عن مُضاهاة من يكتب معه .

وقد اخترتُ أن أضعَ في هذا المحلّ ما وافق الصنعةَ ، وجرى على أسلوب البلاغة .

فمن ذلك ما كتب به الشيخُ الإمامُ العلّامة ، لسانُ العرَب ، وحُجّةُ الأدب ، بدرُ الدين محمدُ بنُ أبي بكر المخزوميّ المالكيّ ، للنَّجْل النبيل الذي تنتهي الألقاب ولانهاية

لمناقبه، شهاب الدين أبي العباس أحمدَ ابن سيدنا الفقير إلى الله تعالى، ذي الأوصاف التي تكِلُّ شَبَا الألسُنِ عن حَدِّها، شمسُ الدّين أبي عبد الله محمد العُمَريّ الشافعيّ، حين عرض عليه "عمدةَ الأحكام" للحافظ عبد الغنيّ، و"شُذُورَ الذّهب" للشيخ جمال الدّين بن هِشَام، في رمضان سنة سبع عشرة وثمانمائة، وهو:

أما بعدَ حَمْدِ الله على كَرَمِه الذي هو عُمْدتنا في النّجاة يوم العَرْض وناهيكَ بها عُمْدَه، وسَنَدُنا الذي لايزال لِسَانُ الذّوق يَرْوِي حَدِيثَ حلاوته عن صَفْوانَ بن عَسَّال من طريق شُهْدَه، والصلاةِ والسلامِ على سيدنا محمد الذي أحْيا بِرُوحِ سُنّتِه الشريفة كلَّ من جاء ومن ذَهَب، وأعربَتْ كلماتُه النَّفِيسةُ عن عُقُود الجوهر و"شُذُور الذّهَب" وعلى آله وصَحْبه الذين أحسنوا الرواية والدّرايه، وبَنَوا الأمرَ على أساس التقوى وأعربوا عن طُرُق الهِدَايه، ما انْهَلّ من أفُقِ الكَرَم المحمديّ كلُّ عارض صَيِّب، وتحلّت الأسماعُ والأفواهُ من أخباره بنفائس الشُّذُورِ البديعة وحَلاوَةِ الكَلِم الطَّيِّب ـ فقد عَرَضَ على الجنابُ العالي البارعيُّ، الأوحديُّ، الألمعيُّ، اللّوذَعيُّ، الشّهابيُّ، شهابُ الدين، نُخْبة النُّجَباء، أوحدُ الألِبَّاء، نَجْلُ السّادَةِ العظماء، سُلالةُ الأعيانِ العلماء، أبو العَبَّاس أحمدُ ابنُ سيدنا المَقَرِّ الكريم العالي، المولويُّ، العالميُّ، الفاضليُّ، البليغيُّ، المُفِيديّ، الفَرِيديُّ، المُفَوّهيُّ، الشّمْسيُّ، العُمَريُّ، أطاب الله حَدِيثَه، وجمع له بالإعراب عن عُلُوّ الهِمَّة قَدِيمَ الفَضْل وحَدِيثَه ـ طائفةً متفرِّقةً من "عُمْدَة الأحكام" للحافظ عبد الغنيِّ المَقْدِسيّ، و"شُذُورِ الذّهَب" للعلامة جمالِ الدّين بن هِشَام رحمة الله عليهما ـ عَرْضًا قَصُرت دونَه القرائحُ على طُول جَهْدِها، وكانت الألفاظ المُورَدَةُ فيه لأمَة حَرْبِ الفِئَة الباغية عليه فأحْسَنَ عند العَرْض في سَرْدِها، وزَيَّن أبقاه الله تلك الأماكنَ بطِيب لَحْنِه وإعراب لَفْظه، وآذَنَ امْتِحَانُه فيها بأنَّ جَوَاهِرَ الكتابَيْنِ قد حَصَلت بمجموعها في خِزَانة حِفْظه.

«سيدى» أو «مولاى»

كما كتب أبو عبدالله بنُ الخطيب وزيرُ آبن الأحمر صاحبِ الأندَلُس عن نفسه إلىٰ السلطان أبى عِنَـان آبن السلطان أبى الحسن المَرِينىّ صاحب فاس، عند ورود كتابه إلىٰ الأندَلُس بفتح تِلِمْسان، معرّضا بأنّ صدور كتابه من عند قبر والده السلطان أبى الحسن بالأندَلُس، ما صورته :

مَوْلاىَ! فاتحَ الأقطار والأمصار، فائدةَ الأزمان والأعصار، أثيرُ هِبَاتِ الله الآمنةِ من الاعتصار، قُدوةُ أولى الأيْدى والأبصار، ناصرُ الحق عنـدَ قُعود[1] الأنصـار، مستصرخ الملك الغريب مِنْ وراء البِحار، مِصداقُ دعاءِ الأبِ المولىٰ فى الآصال والأسحار. أبقاكم الله! لاتقِفُ إيالتُكم عندحدّ، ولا تُحْصىٰ فتوحاتُ الله عليكم بعدُ؛ ولا يُفِيق أعداؤُكُم من كدّ، مُيَسّرا علىٰ مَقَامِكم الكريم ماعَسُر علىٰ كل أبٍ كريم وجدّ.

(١) فى الأصل قصور وهو تصحيف والتصحيح من ''ريحانة الكتاب'' ج ٢ ص ٢٣ .

عبدُكم الذى خَلصَ إبريزُ عبوديته لِمُلك مَلِكِكم المنصور، المعترفُ لأدنىٰ رحمةِ من رَحَماتكم بالعجزِ عن شكرها والقُصُور، الداعى إلىٰ الله سبحانه أن يَقصُر عليكم سعادةَ القُصُور، ويُذَلِّل بعز طاعتكم أنفَ الأسَد المَصُور، ويُبْقِيَ الملك فى عَقِبكم إلىٰ يومِ يُنْفَخُ فى الصُّور . فلان .

من الضَّريح المقدَّس : وهو الذى تعدَّدتْ علىٰ المسلمين حقوقُه، وسطع نُورُه وتلألأ شُرُوقُه، وبلغ مجدُه السماءَ لَمَّا بسَقَتْ فروعه ورسَخَتْ عُروقُه، وعظُمَ بتبوُّئكم فخرُه فما فوقَ البسيطة فخرٌ يفُوقه؛ حيثُ الجلالُ قد رسَتْ هِضابُه، والمُلْكُ قد سُتِرَتْ بأستار الكعبة الشريفةِ قبابُه، والبيتُ العتيقُ قد أُلحِفت الملاحِد الإمامية[1] أثوابُه، والقرءان العزيزُ تُرَتَّل أحزابه، والعملُ الصالحُ يرتفعُ إلىٰ الله ثوابُه، والمستجيرُ يخفى باطنُه سؤالَه فيَجْهَر بنَعْرة العزِّ جوابُه؛ وقد تفَيَّأ من أوراق الذكر الحكيم حديقه، ونحِيلةَ أنيقه، وحطَّ بجُودِيِّ الحقِّ نفسًا فى طُوفانِ الضُّرِّ غريقه، والتحف برقَ الهيبةِ الذى لاتهتدى للنفسِ فيها إلا بِهِدايةِ الله طريقه، واعتزَّ بعزِّ الله وقد توسَّط جيشَ الحرمةِ المَرِينيَّة حقيقه، إذ جعل المولىٰ المقدَّس المرحوم أبا الحسن مقدِّمه وأباه وجدَّه سقاه المولى الكريمُ بهذا الجدِّ سَحْب رُحْماه، وطَنَّب عليه من الرِّضا فُسْطاطا، وأعلىٰ به يَدَ العناية المَرِينيَّة اهتمامًا واغتباطا، وحرَّر له أحكامَ الحُرْمة نصًّا جليًّا واستِنْباطا، وضمِنَ له حُسْنَ العُقبىٰ التزاما واشتراطا؛ وقد عَقَد البصرَ بطريق رحمتكم المنتظرة المرتقَبه، ومدَّ اليَدَ إلىٰ اللطائف بشفاعتِكم التى تتكفَّل بعِتق المال كما تكفَّلَتْ بعتق الرَّقبه، وشرع فى المِراح بميدان نِعَمِكم بعد اقتحام هذه العقَبه؛ لما شنفت الآذانَ البشرىٰ التى لم يبقَ طائرٌ إلا سَجَع بها وصَدَح، ولا شِهابُ دُجُنَّةٍ إلا اقتبس من نُورِها واقتَدَح، ولا صدرٌ إلا انشرح، ولا غُصنُ عطفٍ إلا مَرِح؛ بُشرىٰ الفتح القريب،

(١) فى الريحانة الامامية . تأمل .

وخبرُ النّصر الصحيح الحسَن الغَريب، ونبأُ الصُّنع العجيب، وهدايةُ السميع المجيب: فتحُ تِلمسان الذى قلّد المنابرَ عقودَ الابتهاج، ووهب الإسلامَ منيحة النصر غنيّةً من الهِياج، وألحف الخلْق ظِلًّا ممدودا، وفتح بابَ الحجّ وكان مسدودا، وأقرّ عيونَ أولياء الله الذين يذكُرونَ اللهَ قِيامًا وقُعودا، وأضرع بسَيْف الحقّ جِباهًا أبيّةً وخُدُودا، وملّككم حقَّ أبيكم الذى أهانَ عليه الأموال، وخاض من دُونِه الأهوال، وأخلَص فى الضّراعة والسُّؤال؛ من غير كَدٍّ يغمِز عِطْفَ المَسَرّه، ولا جَهْد يُكدِّر صفْو النعم الثَّرّه؛ ولا حَصْرٍ ينفُض به المَنجنيقُ ذُؤابتَه، ويُظهِر بتكرُّر الركوع إنابتَه.

فالحمد لله الذى أقال العِثَار، ونظم بدَعْوتِكم الانتشار؛ وجعل مُلْككم يجدّدُ الآثار ويأخُذُ الثار. والعبدُ يهنئ مَوْلاه، بما أنعم اللهُ به عليه وأَوْلاه؛ وما أجدره بالشُّكر وأَوْلاه! فإذا أجال العبيدُ قِداحَ السُّرور فللعَبْد المعلَّى والرَّقيب، وإذا آستَهَمُوا حظُوظَ الجَذَل فلى القِسْمُ الوافرةُ والنصيب؛ وإذا آقتَسَمُوا فريضةَ شكر الله تعالى فلِيَ الحظُّ والتعصيب؛ لتضاعُف أسباب العبودية قِبَلِي، وترادُف النِّعَم التى عجز عنها قَولِي وعَمَلِي؛ وتقاصَر فى آبتغاء مُكافاتِها وَجْدى وإن تطاول أملى؛ فمقامكم المقامُ الذى نَفّس الكُرْبه، وآنَس الغُرْبه، ورعىَ الوَسيلةَ والقُرْبه؛ وأنعش الأرماق، وفكّ الوَثاق، [وأدرّ الأرزاق، وأخذ على الدّهر بالآستقالة بالعهد والميثاق][(1)] وإن لم يباشر العبدُ اليَدَ العاليةَ بهذا الهناء، ويَمْثُل بين يدى الخلافة العظيمة السّنا والسّناء، ويمُدّ بسبب البِدار إلى تلك السماء؛ فقد باشر به اليَدَ التى يَجِبُ مولاى لتذكُّر تقبيلها، ويُكمّل فروضَ المجد بتوفيَة حقوقها الأبويّة وتكميلها؛ ووقفت بين يدى مَلِكِ الملوك الذى أجال عليها القِداح، ووصل فى طلبِ وِصالها المَساءَ بالصّباح.

(1) الزيادة من الريحانة ج ٢ ص ٣٢ .

وكان فتحه إياها أبا عذرة الافتتاح ، وقلت يهنيك يامولاى ردُّ ضالتك المنشوده ، وخبر لقطتك المعرفة المشهوده ، [ودالتك المودودة](١) فقد استحقها وارثك الأرضى ، وسيفك الأمضى ، وقاضى دينك ، وقرة عينك ، مستنقذ دارك من يد غاصبها ، ورادُّ رتبتك إلى مناصبها ، وعامر المثوى الكريم ، وستر الأهل والحريم .

مولاى ! هذه تلمسان قد أطاعت ، وأخبار الفتح على ولدك الحبيب إليك قد شاعت ، والأمم إلى هنائه قد تداعت ، وعدوك وعدوه قد شردته المخافه ، وانضاف إلى عرب الصحراء فخفضته الإضافه ، وعن قريب تتحكم فيه يد احتكامه ، وتسلمه السلامة إلى حمامه ، فلتطب يامولاى نفسك ، وليستبشر رمسك ، فقد نمت بركتك وزكى غرسك . نسأل الله أن يورد على ضريحك من أنباء نصره ما تفتح له أبواب السماء قبولا ، ويرادف إليك مددا موصولا ، وعددا آخرته خير لك من الأولى ويتبرَّبه بركة رضاك ظعنا وحلولا ، ويضفى عليه منه سترا مسدولا .

ولم يقنع العبد بخدمة النثر ، حتى أجهد القريحة التى ركضها الدهر وأنضاها ، واستشفها الحادث الجلل وتقاضاها ، فلفق من خدمة المنظوم ما يتغمد حلمكم تقصيره ، ويكون إغضاؤكم إذا لقى معرة العتب وليه ونصيره ، وإحالة يامولاى على الله فى نفس جبرها ، ووسيلة عرفها مجده لما أنكرها ، وحرمة بضريح مولاى والده شكرها ، ويطلع العبد منه على كمال أمله ، ونجح عمله ، وتسويغ مقترحه ، وتميم مطمحه ، إن شاء الله تعالى :

[يا ابن الخلائف باسمى مجد * يامن علاه ليس يحصر حاصر!
ابشر فانت مجدد الملك الذى * لولاك أصبح وهو رسم داثر!

---

(١) الزيادة من "الريحانة" ج ٢ ص ٣٣ .

الملحق رقم ٥٤

(فى المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية إليهم)

كما كتب القاضى الفاضلُ عن السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلىٰ بردويل أحد ملوك الفَرَنج، وهو يومئذ مستولٍ علىٰ بيت المَقْدس وما معه، معزّيًا له فى أبيه ومهنّئًا له بجلوسه فى المُلك بعده، ماصورته :

أما بعد — خصّ الله الملك المعظّم حافظَ بيت المقدس بالجَدّ الصاعد، والسّعد الساعد، والحظّ الزائد، والتوفيقِ الوارد؛ وهنّاه من ملك قومه ماوُرِّثه، وأحسن من هداه فيما أتىٰ به الدهرُ وأحدثه، فإن كتابنا صادرٌ إليه عند ورود الخبر بما ساء قلوبَ الأصادق[1]، والنّعي الذى وَدِدْنا أنّ قائله غيرُ صادق؛ بالمَلِك العادل الأعزّ الذى لقّاه الله خيرَ مالَقِّ مثله، وبَلّغ الأرضَ سعادته كما بلّغه محلّه؛ مُعزّ بما يجب فيه العَزاء، ومتأسّف لفقده الذى عظُمت به الأرزاء؛ إلا أنّ الله سبحانه قد هوّن الحادث، بأنْ جعل ولَدَهُ الوارث؛ وأنسىٰ المُصابَ، بأن حفِظَ به النّصاب، ووهَبَه

(١) جمع جمع لصديق مفرده "صدق". ١

النعمتين : المُلكَ والشَّباب ، فهنيئًا له ماحاز ، وسَقيًا لقبر والده الذى حَقَّ له الفداء لو جاز ، ورسولُنا الرئيسُ العميدُ مختار الدين أدام الله سلامته قائمٌ عنا بإقامة العزاء من لسانه ، ووَصْفِ ما نالنا من الوَحْشة لِفراق ذلك الصديق وخُلُوِّ مكانِه ، وكيف لا يستَوْحِشُ ربُّ الدار لفُرْقة جيرانه . وقد آستفتحنا الملك بكتابنا وارتيادنا ، ووُدِّنا الذى هو ميراثُه عن والده من وِدادنا ، فليَلْقَ التحيَّةَ بمثلها ، وليأتِ الحسنةَ ليكون من أهلها ، وليَعْلَمْ أنّاله كما كنا لأبيـه : مودّةٌ صافيـه ، وعَقيدةٌ وافيـه ، ومحبّةٌ ثبت عَقْـدُها فى الحيـاة والوَفَاه ، وسريرةٌ حكمتْ فى الدنيا بالمُوافاه ، مع ما فى الدِّين من المخالَفَات . فليسترْسِلْ إلينـا آسـترسالَ الواثِق الذى لا يَخجَل ، وليعتمِدْ علينا آعتمادَ الولد الذى لا يحِلُ عن والده ما تحمّل ، والله يُدِيم تعميره ، ويحرُسُ تأميره ، ويقضى له بموافقة التوفيق ، ويُلهِمُه تصديقَ ظنِّ الصديق .

(فى الأجوبة الصادرة إليهم عن ملوك الغَرْب)

كما كتب أبو المطرِّف بن عميرة عن أبى جَميـل زَيَّان ، إلىٰ ملك قَشْتالة من بلاد الأنْدَلُس فى مُراوَدة الصُّلح :

كتابُنا إليكم ـ أسعدكم الله برضاه ، وأدام عِزَّتكم وكرامتَكم بتقواه ـ من مُرْسِيَةَ ، ونحن نحمَدُ الله الذى لا شيءَ كمثله ، ونلجأ إليه فى أمرِنا كُلِّه ، ونسأله أن يُوزِعَنا شكر إحسانه وفضلِه ـ وعندنا لجانبكم المُرَفَّع تكرِمةٌ نستَوْفيها ، ومبرّةٌ ننتهى إلىٰ الغاية فيها ، وعلمنا

بملكم الشهير، وكتابكم الخطير، يستدعى الزيادة من ذلكم ويقتضيها؛ وقد كان من فضل الله المعتاد، وجميل صُنْعه فى آنتظام الكلمة فى هذه البلاد، ما آكتنفته النعمه، وكُلّت به النّعمة والمِنّه؛ وتيسّر بمعونة الله فتحٌ أقرّ العيون، ورضيه الإسلام والمسلمون، وكانت مطالعتكم به مما آثرنا تقديمه، ورأينا أن نحفظ من الأسباب المرعيّة على التفصيل والجملة [حديثه وقديمه] وحين ترجّحت مخاطبتكم من هذا المكان، ومفاوضتكم فى هـذا الشان؛ رأينا من تكملة المَبرّه، وتوفية العناية البَرّه؛ ان تُنفِذ إليكم من يُشافِهكم فى هذا المعنىٰ، ويذكر من قَصْـدِنا ما نُولَع به ونُعْنىٰ؛ وهو فلان فى ذكر السّلْم ومحاولتها، ما يتأدّى من قِبَله على الكمال بحول الله تعالىٰ. وإن رأيتم إذا آنصرف من عندكم، أن توجّهُوا زيادةً إلىٰ ما تُلقُونه إليه من رجالكم وخاصّتكم، فى معنىٰ هذا العهد وإحكامه، ومحاولتِه وإبرامه؛ فعلتم من ذلك ما نرقُبُ أثره، ونصرِفُ إليه من الشكر أوفاه وأوفره، إن شاء الله تعالىٰ: وهو الموفّق لا ربّ سواه، والسلام الأتمّ عليكم كثيرا.

المكاتبات الصادرة إلى ملوك الكفر فى الأجوبه [...]

كما كتب بعض كُتّاب الدولة الأيوبية عن الملك الجَوَاد: أحد ملوكهم، فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر، جوابَ كتابٍ ورد عليـه من فرانك: أحد ملوك الفرَنج فى شعبان سنة ثلاثين وستمائة:

وردت المكاتبة الكريمةُ الصادرةُ عن المجلس العالى، المولى، الملك، الأجل، الأعز الكبير، المؤيد، الخطير، العالم العامل، الظهير، العادل، الأوحد، المجتبى، شمس الملة النصرانيه، جلال الطائفة الصليبيه، عضد الأمة الفرنجيه، فخر أبناء المعموديه، عمدة الممالك ضابط العساكر المسيحيه، قيصر المعظم فلان معز إمام روميه؛ ثبت الله لديه نعمه، وعزز موارد جوده وديمه، وأمضى صوارم عزائمه وأعلى هممه، ولا برحت أنوار سعده تتلالا، وأخبار مجده تُبسط وتتعالى، وسحابُ الألسنة الناطقة بحمده تستهل[1] وتتوالى، إلى أن يتحلى جيدُ الضحى بعقود الليل، وتطلع الشعرى من مطالع سهيل ـ بجدد الثناء على جلاله، وأكد المديح لإحسانه وإفضاله، وأنفس أسبابَ المودة والمصافاه، وشدد أواخيَ الإخلاص والموافاة فاستبشرت النفوس بوروده، وسرت القلوبُ بوفوده؛ ووُقف منه على الإحسان الذى نعرفه، ووُجد عقدُه مشتملاً على جواهر الوداد الذى نألفه؛ فشُكر الله على هذه الألفة المنتظمه، والمحبة الصادقة المكرمه. والمجلس العالى الملكُ الأجلُ أعلى الله قدره، ونشر بالخير ذكره، أولى من أهدى المسرات، بورود المراسم والحاجات، ووصل الأنس بكريم المكاتبات، مضمنة السوانح والمهمات.

فأما ماذكره المقام العالى السلطانى الملكى الكاملى الناصرى ـ زاده الله شرفا وعلوا ـ من أنه لا فرق بين المملكتين، فهذا هو المعتقد فى صدق عهده، وخالص وده، ولا زال ملكه عاليا، وشرفه ناميا، إن شاء الله تعالى.

---

(١) لعله تنهمل.

الملحق رقم ٢٥

(الكتبُ الواردةُ من جهة ملوك الفَرَنج بالأندلُس ، والجهاتِ الشمالية ،
وما والىٰ ذلك)

والعادة فيها أن تكتب باللسان الفَرَنجي ، وعادةُ الكتب الواردةِ عنهم جملةً أن تكتب فى فَرْخةِ ورق فَرَنجيّ مربّعة علىٰ نحو مقدار الفرْخة البلدى أو دُونَها ، باسطر متقاربة ، باللسان الفَرَنجي وقلمه ، ثم يُطوىٰ طيًّا مسطَّحا ويُعَنْوَن فى وَسَطه ، ويطوىٰ من جهتى الأوّل والآخر حتّى يصير العنوانُ ظاهرا من الطىّ ، ثم يُحزَز ويُختم بسحاءة ، ويختم عليه بطَمْغة فى شمع أحمر علىٰ نحو ماتقدم فى الكتب الواردة عن ملوك الغرب ؛ فإذا ورد على الأبواب السلطانية فُكَّ ختمُه ، وتُرجم بترجمة التُرْجُمان بالأبواب السلطانية وكُتب تعريبُه فى ورقة مفردةٍ وأُلصقت به بعد كتابة الجواب من التعريب علىٰ ما تقدم ذكره فى مقدمة الكتاب .

وهذه نسخة كتاب واردٍ من دُوج البنادقة ميكائيل ، علىٰ يد قاصده نُقُولا البندقى فى سادس عشر صَفَر المبارك سنة أربعَ عشرةَ وثمانمائة ، ترجمةُ شمس الدين سُنْقُر ، وسيف الدين سُودُون ، التراجمة بالأبواب الشريفة ، فى فرخةِ ورق فَرَنجى مربعةٍ متقاربةِ السطور ، وهو :

السلطانُ المعظّم ، ملكُ الملوك «فرجُ الله» ناصرُ الملة الإسلامية ، خلّد الله سلطانَه .

يقبّل الأرضَ بين يديه نُقُولا[1] دُوج البنادقة ؛ ويسألُ الله أن يزيد عظمتَه : لأنه ناصر الحق ومؤيِّده ، ومَوْئل الممالك الإسلامية كلِّها . ويُنْهى ما عنده من الشَّوق

(١) تقدم قبل باسطر أن اسمه ميكائيل وأن اسم رسوله نقولا . فتنبه

ملحق د

والمحبة لمولانا السلطان، وأنه لم تزل أكابر التجّار والمحتشمين والمتردّدين من الفرنج إلى الممالك الإسلامية شاكرين من عدل مولانا السلطان وعلوّ مجده، وتزايد الدعاء ببقاء دولته، وقد رغب التجّار بالتّرداد إلى مملكته الشريفة بواسطة ذلك، ولأجل الصّلح المتصل الآن بيننا والمحبة.

وأما غيرُ ذلك، فإنه بلغنا ما اتّفق فى العام الماضى من حَبْس العسكر فى ثغر دمياط المحروس، وأن مولانا السلطان مَسَك قُنصل البنادقة والمحتشمين من التجّار بثغر الإسكندرية المحروس، وزنّجرهم بالحديد، وأحضرهم إلى القاهرة، وحصلت لهم البهدلةُ بين جُنوسهم والضّرر والقهْر الزائد، وكسر حرمتنا بين أهل طائفتنا، فإن الذى فُعل مع المذكورين إنما فُعل معنا، وتعجّبنا من ذلك: لأنّ طائفتنا لم يكن لهم ذَنْب، وهذا مع كثرة عدْل مولانا السلطان فى مملكته، ومحبّتنا له، ومناداتنا فى جميع مملكتنا بكثرة عدْله، ومحبته لطائفتنا، وإقباله عليهم، وقولنا لجميع نوّابنا: إنهم يكرمون من يجدُونه من مَمْلكة مولانا السلطان ويراعُونه ويُحسنون إليه، والمسئول من إحسانه الوصيةُ بالقُنصل والتجّار وغيرهم من البنادقة، ومراعاتهم وإكرامهم والإقبالُ عليهم، والنظرُ فى أمورهم اذا حصل ما يُشبه هذا الأمر، ومنعُ من يشاكلهم لتحصُلَ بذلك الطُّمأنينةُ للتجّار، ويتردّدوا إلى مملكته.

+ + +

وهذه نسخة كتاب ورد من كَبْطان الماغُوصة والمستشارين بها، فى ثامن عشر صفر المبارك سنة أربع عشرة وثمانمائة، ترجمة شمس الدين سُنْقر وسيف الدين سودون التَّرجُمانَين بالأبواب الشريفة، وهو:

الملك المعظَّم، ملكُ الملوك، صاحبُ مصر المحروسة، الملك الناصر، عظّم الله شانه.

يقبّل الأرض بين أياديه الكبطانُ والمستشارون، ويُنْهُون أنهم آناءَ الليل داعُونَ بطول بقائه، مجتهدون فى آستمرار الصُّلح والمودّة التى لايشوبُها كَدَر بين القومون(؟) وبين مولانا السلطان، وأنّ فى هذا الوقت ثَمّ حراميّة غراب يتحرّمون باطراف هذه البلاد، والمين الإسلامية؛ ونحن لم نزل نُشْحِطهم بالمراكب والأغربة، وغنعُهم من ذلك جُهْدَنا وقدرتَنا، حتّى ان أحدًا صار لا يجْسُر علىٰ الدخول إلىٰ مِينَا الماغوصة جملةً كافيةً، مع أننا كنّا خلّصنا فى المدّة الماضيَة من الحراميّة المذكورين خمسةً وعشرين نفرا من المسلمين، وأكرمناهم وأطلقنا سبيلَهم [وعزمُنا أن](1) نجهّزهم إلىٰ دمْياط أو إلىٰ ثغر الإسكندرية .

وأما غير ذلك. فقد بلَغنا أن برطاما أوسق لواقف الشريفة صابونًا فى مَرَاكبه، وكان قصده أن يهْرُب بذلك، فالحال عمّرنا مركبا كبيرا. وأخذنا برطاما المذكور بالحارية. وأحضرناه إلى الماغوصة، وعهدنا بطروق المركب إلى شخص يسمّى (أيماك سليوريون) وهو رجلٌ مشكور السِّيرة، وقلنا له إنه يتوجّه إلىخازن الصابون المذكور ويستشيره إن كان يُوسِقُ شيئا من الأصناف لمولانا السلطان، ويجهّزه إلى أى مكان اختاره ليسلمه ليد من تبرُزُ له المراسيمُ الشريفة بتسليمه، فليفعل، وهذا القول كله يكون دليلًا عند مولانا السلطان علىٰ صِدْق الولاء، والتمسك بالصُّلح، والمسئول من الصدقات الشريفة الإقبالُ علىٰ التُّجار الجَنَويّة الذين عند مملكته، وكفُّ أسباب الضرر عنهم، وينشر مَعْدلته عليهم، والله تعالى يديم بقاءه بمنّه وكرمه .

---

(1) فى الأصل: «وعزمنا نجهزهم».

الضـــرب الثـالث

(الكُتُبُ الواردةُ عن ملوك الرُّوم، و رأسُ الكلِّ صاحبُ القُسْطَنطِينيَّة)

وقد وقفتُ علىٰ كتاب ورد منه فى السابع والعشرين من صَفَر سـنة أربعَ عشرة وثمانمائة فى دَرْج و رق فَرَنْجِيٍّ فى نحو عشرين وَصْلا قَطْع النصف، والبياضُ فى أعلاه وصلٌ واحد، وفى أسفله وَصْلانِ، وله هامشٌ عن يمينه وهامشٌ عن يساره، كلٌّ منهما تقديرُ إصبعين، ومقدارُ ما بين السُّطور متفاوتٌ: فأعلاه بينَ كلِّ سطرين أربعةُ أصابع معطُوفة، ثم بعد تقدير ثُلُث الكتاب بين كلِّ سطرين قدرُ ثلاثة أصابعَ، ثم بعد ذلك بين كل سطرين قدرُ إصبعين، ثم بعد ذلك بين كل سطرين قـدرُ ثلاثة أصابعَ إلىٰ آخر الكتاب، والقـلم فى غاية [الدقة بـ] قلم الرِّقاع الدقيق، و فى آخره ثلاثة أسطر وقطعةٌ بالحمرة بقلم أجلّ من الأوّل قليلا.

وهـذه نسخةُ كتاب معرَّبةٌ بترجمة بَطْرَك المَلِكانية، بحضور سيف الدين سُنْبُف[1] الترجمان، وهى:

المعظَّم، الممجَّد، المبجَّل، الضابط، السلطانُ، الكبيرُ، سلطان مصر ودِمَشْق وحَلَبَ وغيرها، الملكُ الناصر (فرج) ابن السلطانِ الكبير المرحومِ الظاهر (برقوق) المحبوبُ الحقُّ العزيزُ أكثر من أولاد مملكتى.

يُحيطُ علمه أنى ومملكتى طيِّبُون بنعمة الله تعالىٰ، وكذلك تكونُ ــ انْ شاء الله تعالى ــ سلطنَتُك الممجَّدةُ طيبةً فى خير، وأنَّ المحبةَ والمودّة لم تزل بين والدك المرحوم وبين والدى إلىٰ آخر وقتٍ. ونحن بحمد الله قد تزايدت محبَّتُنا علىٰ ذلك وتكاثرتْ،

(١) لعله سودون الآتى بعد فى الضرب الرابع.

ونتوكد أيضا المحبةُ بيننـا و بين سلطنتك المعظمة إلىٰ الأبد ، فإنّ ذلك واجبٌ ، وتتردد رُسُلكم بكُتُبكم إلينا ، وكذلك رسُلنا بكتُبِنا إلىٰ مُلككم ؛ وكان قصْدُنا أن نجهّز إليكم رســولا لكنّ الفتَنَ فى بلادنا ، وما بلَغَنا من ســفَر مولانا السلطان من تخت مملكته ، ولم نعرف إلىٰ أىّ مكانٍ توجّه ، أوجب تأخيرَ ذلك ؛ وأنّ حاملَ هذا الكتاب المتوجهَ به إلىٰ السلطان المعظم المسمّى (سورمش) التاجر من اسطنبول هو من جهتنا ، وله عادَة بالتردُّد إلىٰ مملكتكم المعظّمة ، ونحن نعلم أنّ سلطنتك تُحبُّ الطيورَ الكَوَاهِى ؛ فجهّزنا لكم صحبــةَ المذكور خَمس كواهى و بازْدَار ، ليكونَ نظرُكم الشريف عليهم ، وكذلك علىٰ البطاركة والنصارىٰ والكنائس علىٰ حُكْم مَعْدَلة السلطان ومحبّته ، والوصيةُ بهـم ، ومعاونَتُهم و رعايتُهم و إجراؤهم علىٰ جارى عوائدهم ، من غير تشــويش علىٰ ما ألِفُوه من إنصافكم أولا وآخرا لأجل محبتكم لنـا ومحبتنا ، واستمرار العناية بهـم ، مع أنّ البطاركة عرّفونا أنّ مولانا الســلطان يُبْرز مرسومه بمراعاتِهم ، والإحسانِ إليهـم ، ولم يزالوا داعِينَ له شاكرِينَ من مَعْدَلته ، ونُضاعفُ شكرنا من إحسانكم علىٰ ذلك ، وتكونوا انــ شاء الله تعالىٰ طيبين ، والمحبة متزايدة فى أيّامكم وأيّامنا ، ومهما كان لمولانا السلطان بمملكتنا من أطواع (١) ، فيرسمُ يعرّفُنا بهـا ونبادِرُ بذلك .

والذى بآخره بالحمرة علامةُ الملك مضمونهـا (مانويك المســيحى بنعمة الله ، ضابط مملكة الروم البَلَالُوغس) .

---

(١) كذا فى الأصل ومراده من خدم أو حاجات .

نموذج آخر من المكاتبات

وهذه نسخةُ كتاب على الطريقة الأولى، ورد عن السلطان « أحمد » صاحب مملكة إيران، من بني هُولاكُو المقدم ذكره ؛ وهو أوّلُ من أسلم منهم، كتب به إلى الملك المنصور « قلاوون » صاحبِ الديار المصرية ، تغمّده اللهُ تعالى برِضْوانه ؛ ورد مؤرّخا بأوسط جُمَادى الأولى سنة إحدى وثمانين وستمائة ، ورأيت في بعض الدساتير أنه من إنشاء الفَخْر بن عيسى المَوْصلي ، وورد بخطه وهو :

بسم الله　　　　بقوّة الله

الرحمن الرحيم　　　　تعالى

بإقبال قان .

فرمان أحمد .

إلى سلطان مصر، أما بعدُ، فإنّ الله سبحانه وتعالى بسابق عِنَايته، ونُور هِدَايته، قد كان أرشدَنا في عُنْفُوان الصِّبا، ورَيْعان الحَدَاثة، إلى الإقرار برُبُوبيّته، والاعتراف بوَحْدَانيّته ، والشهادة لمحمد، عليه أفضل الصلاة والسلام، بصِدْق نُبُوّته، وحُسْن الاعتقاد في أوليائه الصالحين من عباده وبَرِيّته «فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام» فلم نزَلْ نميلُ إلى إعلاء كلمة الدين، وإصلاح أمور الإسلامِ والمسلمين، إلى أنْ أفضى إلينا بعدَ أبينا الجليل، وأخينا الكبير، نَوْبةُ المُلْك، فأضفى علينا من

تابع ملحق د

جَلَابِيبِ ألطافه ولَطَائفه ، ماحقّق به آمالَنا في جَزِيل آلَائِهِ وعَوَارفه ، وجَلّى هذه المملكةَ علينا ، وأهدىٰ عَقِيلَتَها إلينا ، فاجتمع عندنا في قُورِيلْتَاي المبارك ـ وهو المجتمع الذى تُقْدَحُ فيه الآراءُ ـ جميعُ الإخوان والأوْلاد والأمراء الكبار ، ومقدّمو العساكر ، وزعماءُ البلاد ، واتّفقتْ كلمتُهم علىٰ تنفيذ ماسبَقَ به حُكْمُ أخينا الكبير ، فى إنفاذ الجَمّ الغفير ، من عساكرنا التى ضاقتْ الأرض برُحْبها من كَثرتها ، وامتلأت الأرضُ رُعْبا من عظيم صَوْلتها ، وشديد بَطْشتها ، إلىٰ تلك الجهة بهمة تخضع لها صُمُّ الأطواد ، وعزمة تلين لها الصُّمُّ الصِّلاد ، ففكّرنا فيما تمخّضت زُبَدُ عزائمهم عنه ، واجتمعت أهواؤهم عليه ، فوجدناه مخالفا لما كان فى ضميرنا من اقتفاء الخير العام ، الذى هو عبارة عن تَقْوِية شِعَار الإسلام ، وأن لا يصْدُرَ عن أوامرنا ما أمكننا إلّا مايُوجب حَقْنَ الدّماء ، وتسكينَ الدّهْمَاء ، وتجْرِى به فى الأقطار ، رُخَاءُ نَسَائِم الأمْن والأمَان ، ويستريحُ به المسلمونَ فى سائرالأمصار ، فى مِهَاد الشّفقة والإحسان ، تعظيماً لأمْرِ الله ، وشفَقةً علىٰ خَلْق الله ، فألهمَنا الله تعالى إطفاءَ تلك النائره ، وتسكينَ الفتَن الثائره ، وإعلامَ مَنْ أشار بذلك الرأى بما أرشَدَنا الله إليه : من تقديم مايُرْجىٰ به شفاءُ مزَاجِ العالَم من الأدواء ، وتأخير ما يجبُ أن يكونَ آخِرَ الدواء ، وأننا لا نحبُّ المسارَعَةَ إلىٰ هزِّ النِّصال للنِّضَال إلا بعدَ إيضاح المَحجّه ، ولا نُبادرُ لها إلا بعد تَبْيِين الحق وتركيبِ الحجّه ، وقوىٰ عَزْمَنا علىٰ مارأيناه من دَوَاعى الصّلاح ، وتنفيذ ماظهر لنا به وجهُ النّجاح ، إذ كان ، الشيخُ قدوةُ العارفين «كمال الدين عبد الرحمن» الذى هو نِعمَ العونُ لنا فى أمور الدين ، فأرسَلْناه رحمةً من الله لمن [لبّىٰ] دُعَاه ، ونقمةً علىٰ مَنْ أعرَضَ عنه وعَصَاه ، وأنفَذْنا أقضىٰ القُضاة قطبَ الملة والدِّين ، والأتابكَ بهاءَ الدين ، اللّذَيْنِ هما من ثِقاتِ هذه الدولةِ الزاهرةِ ليُعرِّفُوهم طريقَتَنا ، ويتحقّق عِندهم ماانْطوى عليه لعُمُوم المسلمين جميلُ نيّتنا ، وبيّنّا لهم أنّا من الله تعالىٰ علىٰ بصيرة ، وأنّ الإسلامَ

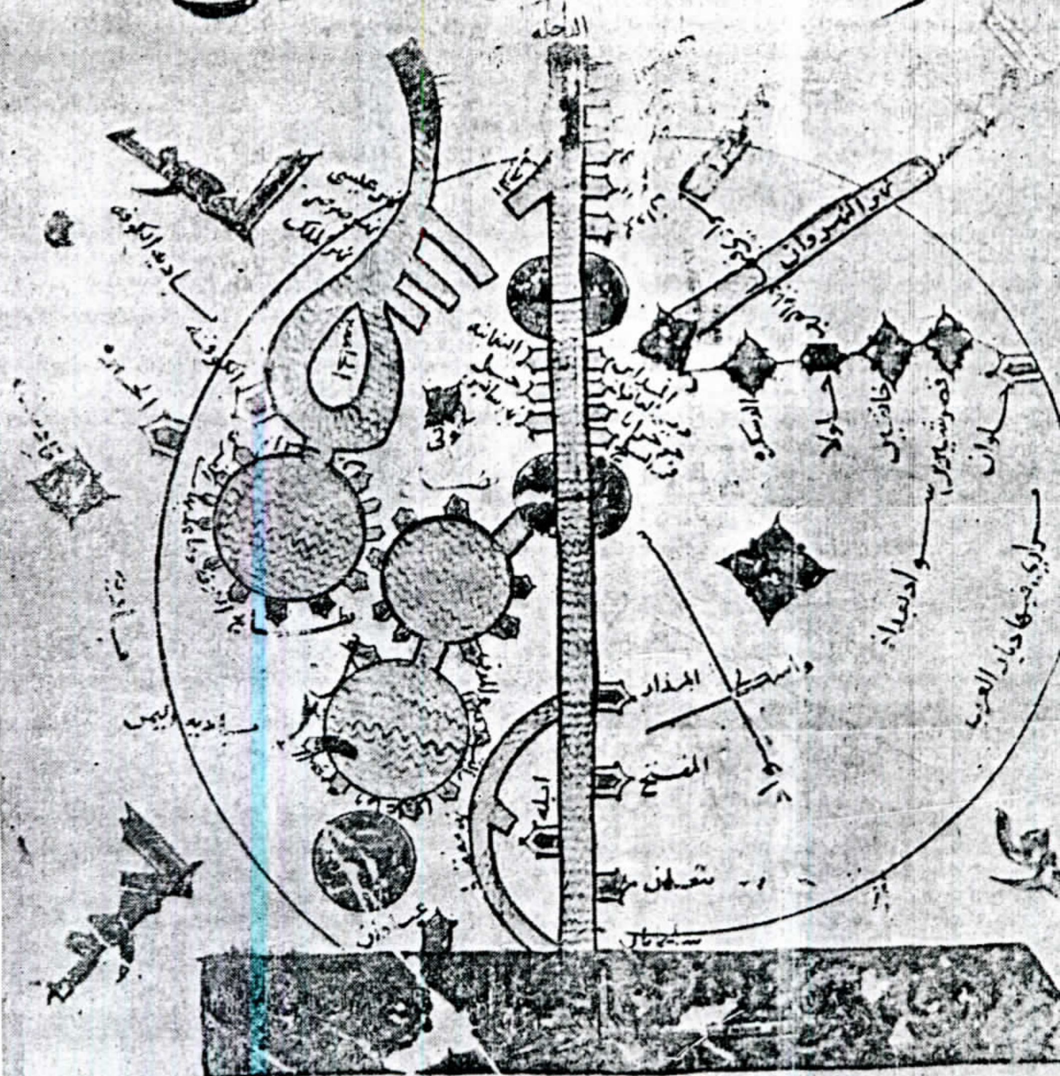
تابع ملحق ك

يحبُّ ماقبله ، وأنه تعالى ألقى فى قلوبنا أنْ نتّبع الحق وأهله ، ونُشاهِدَ أنّ عظيم نعمة الله للكافّة بمـا دعانا إليه من تقديم أسباب الإحسان ، أنْ لا يُحْرَمُوها بالنظر إلى سائر الأحوال فكُلّ يوم هُوَ فى شَان ؛ فإنْ تطلّعتْ نفوسُهُم إلى دليـل تستحْكم بسَبَبه دَواعِى الإعتماد ، وحُجة يثِقُون بها من بُلُوغ المُرَاد ، فلينظُروا إلى ما ظَهَر من أمرِنا ممـا اشتَهر خبَرُه ، وعَمّ أثَرُه ، فإنا ابتـدأنا بتوفيق الله بإعْلاء أعْلامِ الدِّين وإظهاره ، فى إيرادِ كلّ أمرٍ وإصْـداره ، تقديمـا لنَامُوس الشرع المحمّدى ، على مقتضَى قانُون العـدْل الأحمَدى ، إجلالا وتعظيما ؛ وأدخَلْنا السرور ، على قلوب الجُمْهُور ، وعفَوْنا عن كل من اجترَح سيئةً واقترف ، وقابلْناه بالصَّفح وقُلْنا عَفَا اللهُ عمَّا سَلَف ؛ وتقدّمنا بإصلاح أمور أوقافِ المسلمين من المَساجد والمَشاهد والمَدَارس ، وعِمارة بِقاع الدِّين والرُّبُط الدَّوَارس ؛ وإيصالِ حاصِلها بمُوجِب عوائدها القائمة إلى مستحقّيها بشُروط واقفِيها ؛ ومنَعْنا أن يُلتَمس شىءٌ مما استُحْدِث عليها ، وأنْ لا يَغيّر أحدٌ شيئا ممـا قُرّر أوّلا ؛ وأمرْنا بتعظيم أمر الحُجّاج وتجهيز وَفْدها ، وتأمين سُبُلها ، وتسْيِير قوافلها ؛ وإنّا أطلَقنا سبِيلَ التُّجّار المتردّدينَ إلى تلكَ البلادِ ليُسافِرُوا بحسَبِ اختيـارهم على أحْسنِ قَواعِدهم ؛ وحَرّمْنا على العساكر والقَراغُولاتِ والشّحانى فى الأطراف التّعرُّض لهم فى مَصادرهم ومَوارِدهم ؛ وقد كان قَراغُول صادَف جاسُوسا فى زِىّ الفُقَراء كان سبِيلُه أن يُهْلَك ، فلم نُهْرِقْ دَمَه : لحُرْمة ماحَرّمه الله تعالى وأعدْناه إليهم . ولا يخفَى عنهـم ما كان فى إنفاذ الجَوَاسيس من الضرر العامّ للسلمين ، فإنّ عساكِرَنا طالمَـا رأوْهم فى زِىّ الفقراء والنُّسّاك وأهـلِ الصَّلاح ، فساءتْ ظُنُونُهـم فى تلك الطّوائف ، فقتَلُوا منهم مَنْ قتَـلُوا ، وفعَلُوا بهم مافعَلُوا ، وارتفعتِ الحاجةُ بحمد الله إلى ذلك بما صدر إذْنُنا به من فَتْح الطريق وتَرَدُّد التُّجّار ، فإذا أمعَنُوا الفِكْر فى هـذه الأمُور وأمثالهـا لا يخفَى عنهم أنها أخلاقٌ جِبِلّيّةٌ طبيعيـه ، وعن شوائب

التكلف والتصنع عريه . وإذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعي المضرة التي كانت موجبة للمخالفة، فإنها إن كانت طريقًا للذب والذود عن حوزة الإسلام، فقد ظهر بفضل الله تعالى في دولتنا النور المبين، وإن كانت لما سبق من الأسباب، فمن يتحرى الآن طريق الصواب، فإن له عندنا لزلفى وحسن مآب . وقد رفعنا الحجاب، وأتينا بفصل الخطاب، وعرفناهم [طريقتنا و]ما عزمنا بنية خالصة لله تعالى على استئنافها، وحرمنا على جميع العساكر العمل بخلافها، لنرضى الله والرسول، ويلوح على صفحاتها آثار الإقبال والقبول، وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الأمة، وتنجلي بنور الائتلاف، ظلمة الاختلاف، والغمه، ويشكر سابغ ظلها البوادي والحواضر، وتقر القلوب التي بلغت من الجهل الحناجر . ويعفى عن سالف الجرائر؛ فإن وفق الله سلطان مصر إلى ما فيه صلاح العالم، وانتظام أمور بني آدم، فقد وجب عليه التمسك بالعروة الوثقى، وسلوك الطريقة المثلى، بفتح أبواب الطاعة والاتحاد، وبذل الإخلاص بحيث تعمر تلك الممالك وتيك البلاد؛ وتسكن الفتنة الثائره، وتغمد السيوف البائره، وتحل العامة أرض الهوينى وروض الهدون، وتخلص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهون . وإن غلب سوء الظن بما تفضل به واهب الرحمه، ومنع معرفة هذه النعمه، فقد شكر الله مساعينا وأبلى عذرنا، (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) والله تعالى الموفق للرشاد والسداد، وهو المهيمن على البلاد والعباد، إن شاء الله تعالى .



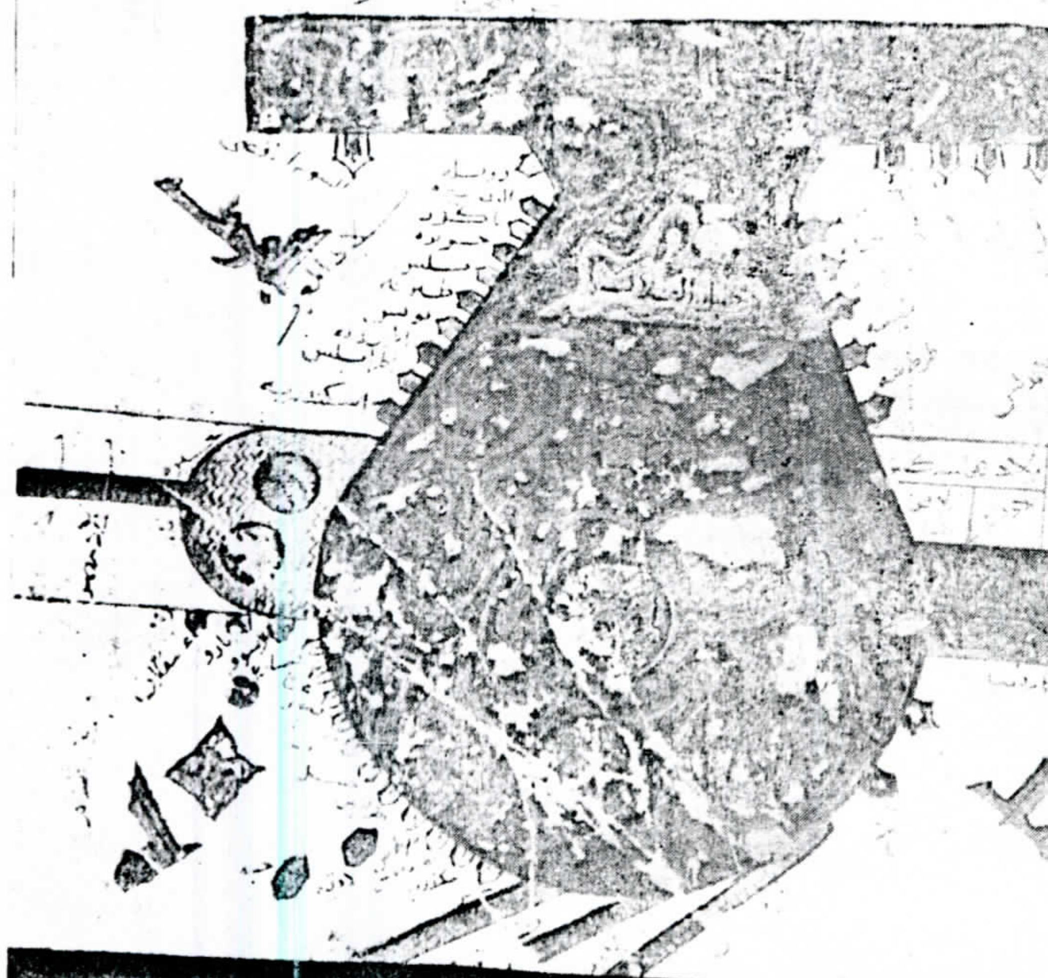
1. الملحق رقم 06 وما يتبعه من خرائط حسب ترتيب الملحق.



امدنها فان البصرة ... مدينة عظيمة لم تكن في ايام العجم وانما احدثها المسلمون ايام
ر بن الخطاب ومصرها عتبة بن غزوان حتى خطط وقبائل كلها ويحيط بغربيها البادية مفوشا

وهذه صورة فا

وهذه صورة بلاد السند



أبواب مقالتي المعجم الموسوعي« مفاتيح العلوم»

المقالة الأولى وهي ستة أبواب:

<u>الملحق رقم 7</u>

<u>الباب الأول في أصول الفقه وهو أحد عشر فصلا</u>

الفصل الأول : في أصول الفقه .

الفصل الثاني : في الطهارة .

الفصل الثالث : في الصلاة.

الفصل الرابع : في الصوم .

الفصل الخامس : في الزكاة .

الفصل السادس : في الحج وشروطه .

الفصل السابع : في البيع .

الفصل الثامن : في النكاح .

الفصل التاسع : في الديات .

الفصل العاشر: في الفريضة .

الفصل الحادي عشر: في النوادر.

- **<u>الباب الثاني في الكلام وهو في سبعة فصول :</u>**

الفصل الأول : في مواضعات متكلمي الإسلام فيما بينهم .

الفصل الثاني : في ذكر أرباب الآراء و المذاهب من أهل الإسلام .

الفصل الثالث : في ذكر أصناف اليهود ومواضعاتهم .

الفصل الخامس : في ذكر أرباب الملل والنحّل .

الفصل السادس : في ذكر عبدة الأوثان من العرب وأصنامهم .

الفصل السابع : في وصف الأبواب التي يتكلم فيها المتكلمون من أصول الديّن .

- **<u>الباب الثالث في النحو وهو اثنا عشر فصلا</u>**

الفصل الأول : في مبادئ النحو ووجوه الإعراب على مذهب النحويين عامة .

الفصل الثاني : في وجوه الإعراب وما يتبعها حسب الخليل بن أحمد .

الفصل الثالث : في وجوه الإعراب على مذهب فلاسفة يونان .

الفصل الرابع : في تنزيل الأسماء .

الفصل الخامس : في الوجوه التي ترفع بها الأسماء .

الفصل الخامس : في الوجوه التي ترفع بها الأسماء .

الفصل السادس : في الوجوه التي تنصب بها الأسماء .

الفصل السابع : في الوجوه التي تخفض بها الأسماء .

الفصل الثامن : في الوجوه التي يتبع بها الاسم ما قبله في وجوه الإعراب .

الفصل التاسع : في تنزيل الأفعال .

الفصل العاشر : في الحروف التي تنصب الأفعال .

الفصل الحادي عشر : في الحروف التي تجزم الأفعال .

الفصل الثاني عشر : في النوادر .

- **الباب الرابع في الكتابة وهو ثمانية فصول:**

الفصل الأول : في أسماء الذكور والدفاتر والأعمال

الفصل الثاني: في مواضعات كتاب ديوان الخراج .

الفصل الثالث : في مواضعات كتاب ديوان الخزن[2] .

الفصل الرابع : في ألفاظ تستعمل في ديوان البريد .

الفصل الخامس : في مواضعات كتاب ديوان الجيش .

الفصل السادس : في ألفاظ تستعمل في ديوان الضياع والنفقات .

الفصل السابع : في ألفاظ تستعمل في ديوان الماء .

الفصل الثامن :في مواضعات كتّاب الرسائل .

- **الباب الخامس في الشعر والعروض وهو خمسة فصول**

الفصل الأول : في جوامع هذا العلم وأسماء أجناس العروض وذكر ما يتقدمها ويتبعها.

الفصل الثاني : في ألقاب العلل والزحافات .

الفصل الثالث : في ذكر القوافي وألقابها .

الفصل الرابع : في اشتقاقات هذه الألقاب و المواضعات .

الفصل الخامس : في نقد الشعر و مواضعات نقاده .

- **الباب السادس في الأخبار وهو تسعة فصول :**

الفصل الأول : في ذكر ملوك الفرس وألقابهم .

الفصل الثاني : في ذكر الخلفاء وملوك الإسلام ونعوتهم وألقابهم .

الفصل الثالث : في ذكر ملوك اليمن في الجاهلية وألقابهم .

الفصل الرابع : في ذكر من ملك معدّا من ملوك اليمن .

الفصل الخامس : في ذكر ملوك الروم واليونانيين .

الفصل السادس : في ذكر ألفاظ يكثر جريها في أخبار الفرس .

الفصل السابع : في يكثر ذكرها في الفتوح والمغازي .

الفصل الثامن : في ألفاظ يكثر ذكرها في أخبار ملوك عرب الجاهلية .

الفصل التاسع : في ألفاظ يكثر ذكرها في أخبار ملوك الروم .

المقالة الثانية وهي تسعة أبواب:

- **الباب الأول : في الفلسفة وهو ثلاثة فصول:**

الفصل الأول : في أقسام الفلسفة وأصنافها .

الفصل الثاني: في جمل ونكت عن علم الإلهي وما يتصل به .

الفصل الثالث : في ألفاظ ومواضعات يكثر جريها في كتب الفلسفة .

- **الباب الثاني في المنطق وهو في تسعة فصول:**

الفصل الأول : في ايساغوجي .

الفصل الثاني : في قاطيغوراس .

الفصل الثالث : في باري أرمينياس

الفصل الرابع : في أنولوطيقا .

الفصل الخامس : في أفودقطيقي .

الفصل السادس : في طوبيقي .

الفصل السابع : في سوقسطيسي .

الفصل الثامن : في ريطوريقي .

الفصل التاسع : في بيوطيقي .

- **الباب الثالث في الطب وهو ثمانية فصول**

الفصل الأول : في التشريح.

الفصل الثاني : في ذكر الأمراض والأدوية.

الفصل الثالث : في الأغذية .

الفصل الرابع : في الأدوية المفردة .

الفصل الخامس : في أدوية مفردة مشبهة الأسماء .

الفصل السادس : في الأدوية المركبة .

الفصل السابع : في أوزان الأشياء ومكاييلهم .

الفصل الثامن : في النوادر .

- **<u>الباب الرابع في الأرثماطيقي وهو خمسة فصول:</u>**

الفصل الأول : في الكميّة المفردة .

الفصل الثاني : في الكميّة المضافة .

الفصل الثالث : في الأعداد المسطّحة والمجسمّة .

الفصل الرابع : في العيارات .

الفصل الخامس : في حساب الهند وحساب الجمل ومبادئ الجبر والمقابلة .

- **<u>الباب الخامس في الهندسة وهو أربعة فصول:</u>**

الفصل الأول : في مقدمات هذه الصناعة .

الفصل الثاني : في الخطوط .

الفصل الثالث : في البسائط .

الفصل الرابع : في المجّسمات .

- **<u>الباب السادس في علم النجوم وهو أربعة فصول :</u>**

الفصل الأول : في أسماء النجوم السيّارة والثابتة وصورها .

الفصل الثاني : في تركيب الأفلاك وهيئة الأرض وما يتبع ذلك .

الفصل الثالث : في مبادئ الأحكام ومواضعات أصحابها .

الفصل الرابع : في آلات المنجمين .

- **<u>الباب السابع في الموسيقى وهو ثلاثة فصول :</u>**

الفصل الأول : في أسامي آلات هذه الصناعة وما يتبعها .

الفصل الثاني : في جوامع الموسيقى المذكورة في كتب الحكماء .

الفصل الثالث : في الإيقاعات المستعملة .

- **<u>الباب الثامن :في الحيّل وهو فصلان :</u>**

الفصل الأول : في جّر الثقال بالقوة اليسيرة وآلاته .

الفصل الثاني : في آلات الحركات وصنعة الواني العجيبة .

- **<u>الباب التاسع في الكيمياء وهي ثلاثة فصول :</u>**

الفصل الأول : في آلات هذه الصناعة .

الفصل الثاني : في العقاقير وأدويتهم من الجواهر والأحجار .

الفصل الثالث : في تدبيرات هذه الأشياء ومعالجتها .

ملخص :

كوّن المرجعية العلمية العربية جاء على مراحل وبأسس منهجية .فنتجت عنها مراجع علوم الإسلامية مكنّنا من التعرف على أدوات البحث فيها والتأثير الذي حدث على علوم و المعارف الأخرى .فماهي مراحل المرجعية العلمية .

ولما كانت الأعمال المرجعية ضرورية ومهمة للاستشارة والمساعدة عند إقدام باحثين والدارسين على بحوثهم، وضعت الكتب والمعاجم الموسوعية العربية القديمة نها كنوع من أنواع هذه الكتب المرجعية . فكيف نشأت والظروف التي أدت إلى شأتها ؟ ، وماهي أنواعها ،خصائصها ومميزاتها ؟، ثم المعلومات التي يمكن استغلالها نها وجعلها في متناول الدارسين والباحثين ؟ هذه بعض الأسئلة من بين مجمل الأسئلة تي حاولنا الإجابة عنها من خلال تحليلنا لكتب القلقشندي والخوارزمي الموسوعية عن طريق دراسة إحصائية.

كلمات المفتاحية :

مرجعية العامية العربية ،التأليف الموسوعي العربي، الكتب والمعاجم الموسوعية عربية القديمة،مصادر الكتب والمعاجم الموسوعية، مصطلحات العلوم العربية القديمة، صنيف العلوم .

Résumé:

La réalisation des ouvrages référentiels a été constituée selon des étapes structurées et des méthodes déterminées, ce qui a été le résultat d'une référence scientifique arabe. Quelle est cette référence?

Comme tout type de support référentiels, l'ouvrage général e e le dictionnaire encyclopédique spécialiser (traitant les terminologie des sciences), jouent un rôle essentiel pour l'aide et le guide qu'il offrent aux utilisateurs de la bibliothèque dans leurs recherches Quels sont ces travaux référentiels ? Comment ils sont constitués Quelles sont leurs typologies et Leurs caractéristiques? Et que genre d'informations faut-il exploiter?

Ce sont quelques questions parmi d'autres auxquelles on essayée de répondre.

Mots clés:

Référence scientifique, écriture encyclopédique arabe, Ouvrage et dictionnaire encyclopédique arabe anciens, les sources de l'ouvrage et de dictionnaire encyclopédique, Terminologie des sciences arabe ancienne, classification des sciences.

فهرس الموضوعات

الشـكـر

الإهــداء

الموضوع: الصفحة

الفصل الثاني ،الكتب الموسوعية العربية مصدر للمعلومات العامة

الفصل الثالث، المعاجم الموسوعة مصدر المعلومات المتخصصة

ما وراء النهر

حائط عبد الله بن

مفازات دبرا

بكند

بلاد الغز

خوارزم

كرون

قرية براتكين

ارمار

وادي بالقتلس